دراسات في العلاقات الدولية
حول الحرب والسلم
٥

الدعوة والجهاد في العهد النبوي

آداب .. وحكم

تأليف

الدكتور علي بن عبد الرحمن الطيار

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٠٩

الدعوة والجهاد
في العهد النبوي

آداب .. وحكم

ⓒ علي بن عبد الرحمن بن علي الطيار ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الطيار ، علي بن عبد الرحمن بن علي
الدعوة والجهاد في العهد النبوي .. آداب وحِكَم .
علي بن عبد الرحمن بن علي الطيار . الرياض ، ١٤٢٤هـ
٣٤٠ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك : ٣ ـ ٦٧١ ـ ٤٣ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الجهاد في الإسلام ٢ ـ العسكرية الإسلامية . أ. العنوان
ديوي ٢٥٦ ١٤٢٤/٩٩

رقم الإيداع ١٤٢٤/٩٩
ردمك : ٣ ـ ٦٧١ ـ ٤٣ ـ ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ

المقـدّمـة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين، لقد كانت الدعوة الإسلامية منذ نشأتها خطاباً لكل الأمم، ودعوة صريحة للعربي والأعجمي والأسود والأبيض دون مفاضلة أو تمييز.

وقد استتبع هذه الدعوة الشاملة قبول من بعض الأمم المجاورة، ورفض من بعضها الآخر، واستتبع ذلك أيضاً قيام الصراع المسلح بين اتباع الدعوة الجديدة وخصومها.

إن الدين الإسلامي دين عالمي، وأن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لجميع البشر، وهي واجبة على كل مسلم ومسلمة بقدر استطاعته وهي الجانب العملي للإيمان، وليست تشريعاً مقصوراً على إقليم أو فئة أو جنس معين من الناس دون غيره، إنما هي لكل الناس بغض النظر عن المكان أو اللون أو الجنس أو الطبقة، فمن أخص خصائص الدعوة الإسلامية هي شمولها وعمومها الذي يتفق مع كونها خاتمة الرسالات وناسخة لها.

إن أهل الكفر كلهم ملة واحدة، وإن اختلفت نحلهم وتباينت لهجاتهم أو اختلفت ألوانهم أونأت بهم ديارهم، فهم متحدون للقضاء على الإسلام والمسلمين ولا سبيل لانتصار المسلمين عليهم إلا إذا اعتزوا بدينهم ووحدوا صفوفهم وأعدوا عدتهم؛ ليرهبوا أعداءهم ويكونوا أهلاً لنصرة الله وتأييده؛ لأن نصر الله لا يكون بالعناية الإلهية وحدها دون الأخذ بالأسباب.

وقد جعلت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول على الوجه الآتي :

المقدمة: تبين أهمية الموضوع :

الفصل الأول: الدعوة الإسلامية وصلتها بالجهاد:

- المبحث الأول : مفهوم الدعوة .
- المبحث الثاني : خصائص الدعوة .
- المبحث الثالث : صلة الدعوة بالجهاد .
- المبحث الرابع : أساليب نشر الدعوة ووسائلها .

الفصل الثاني: مفهوم الجهاد وتشريعه:

- المبحث الأول : تعريف الجهاد .
- المبحث الثاني : تشريع الجهاد .
- المبحث الثالث : أدلة تشريع الجهاد .

الفصل الثالث: تطبيقات إسلامية للجهاد في العهد النبوي:

- المبحث الأول : الأسس التي قامت عليها الدولة الإسلامية الناشئة .
- المبحث الثاني : حروب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع المشركين .
- المبحث الثالث : حروب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع اليهود .

المبحث الرابع: حروب الرسول عليه الصلاة والسلام - مع النصارىٰ.

المبحث الخامس: نظرة عامة حول الحروب في العهد النبوي .!

إضافة إلىٰ **خاتمة** تتضمن أهم نتائج الدراسة وخمسة **ملاحق** مع ذكر **فهارس** للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمصادر والمراجع والموضوعات.

وبعد، فإنني إذ أقدم للقارئ الكريم هذا الجهد المتواضع ؛ لأدعو الله العلي العظيم أن يجد فيه العلم النافع وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يوفقني لمايحبه ويرضاه وأسأله تعالىٰ أن يتجاوز عني فيما زل به القلم أو جنح به الفكر وأن يتقبل عملي بقبول حسن وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه من كل زلل وخطأ فالكمال لله وحده، ورحم الله من أهدىٰ إليَّ خطأي وتقصيري، وعلىٰ هذا فإنني أود ممن يطلع علىٰ هذه الدراسة أن يزودني مشكوراً بما يراه من نقص أو خطأ وقد أوضحت أدناه عنوان المراسلة للتواصل العلمي ولتسهيل المهمة علىٰ الأخوة الأعزاء في إيصال المعلومة النافعة لرصدها في الطبعات اللاحقة سائلاً المولىٰ القدير ذو الجلال والإكرام لي ولهم المزيد من العلم النافع والعمل الصالح المقبول.

واستغفر الله العظيم وأتوب إليه من كل زلل ونقص، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

والله الموفق ؛؛؛

أبو عبدالرحمن ،
علي بن عبد الرحمن الطيَّار
في٢٢/٩/١٤٢٢هـ
الرياض: ١١٤٦٦
ص.ب: ٢٥١٣٦

الفصل الأول
الدعوة الإسلامية وصلتها بالجهاد

المبحث الأول : مفهوم الدعوة .

المبحث الثاني : خصائص الدعوة .

المبحث الثالث : صلة الدعوة بالجهاد .

المبحث الرابع : أساليب نشر الدعوة ووسائلها .

المبحث الأول
مفهـــوم الدعـــوة

مفهوم الدعـوة

أ ـ الدعـوة لغـة :

كلمة « دعـوة » في اللغة لهـا معان مـتعددة ، فـهي تدور حـول الطلب أو النداء أو الرغبة بهدف تحقيق غرض معين (١) .

والدعـاية مـرادفـة للدعـوة ، حـيث وردت في كـتـاب النبي ﷺ إلىٰ هرقل : «**أدعوك بدعاية الإسلام** » (٢) أي دعـوته ، وهي كلمـة الشـهادة التي يُدعىٰ إليها أهل الملل الكافرة (٣) .

وعلىٰ الرغم مما يقـصد بهـا اليوم من ترويج للبـاطل وتمويه للفاسـد علىٰ سبيل قلب المعنىٰ ، فإن الـدعـاية تظل قـائـمة علىٰ المعنىٰ الأصـلي الذي هو توصيل الحق ، وإذا اسـتـخدمت للبـاطل فـلا يمنعنا ذلك من أن نسـتـعملهـا للحق(٤) .

وقد جاء في أسـاس البلاغـة أنهـا كمـا تفيـد الحث علىٰ الحق ، قـد تفيـد الحث علىٰ البـاطل فيقـال : دعوت فـلانا ، ناديته وصِحتُ به ، والنبي داعي

(١) ابن منظور ، لسان العرب : ١٤ / ٢٥٧ ، (دعو) .
والفيروز آبادي ، القاموس المحيط : ١٦٥٥ ، (دعو) .

(٢) البخاري بحاشية السندي : ١ / ٩ (كتاب بدء الوحي ـ باب كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ .

(٣) ابن الأثير . النهاية في غريب الحديث والأثر : ٢/ ١٢٢ ، (دعو) .
وابن منظور ، لسان العرب : ١٤ / ٢٥٨ ، (دعو) .

(٤) الألوري ، تاريخ الدعوة : ١٧ .

الله ، وهم دعاة الحق ، ودعاة الباطل ، ودعاة الضلالة [١] .

فالدعوة إذاً في معناها اللغوي تفيد المحاولات بهدف تحقيق مطلب أو إيجاد عمل مصحوب بالجهد والإلحاح .

ب ـ المعنى الاصطلاحي للدعوة :

عرَّف العلماء الدعوة الإسلامية بتعريفات كثيرة منها :

١ ـ ماجاء في كتاب « الدعوة إلى الإصلاح » لمحمد خضر حسين ، بأن الدعوة هي :

حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بالسعادة ويكونوا خير الأمم [٢] .

٢ ـ وجاء في كتاب « مع الله » لمحمد الغزالي ، بأن الدعوة هي :

برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم ، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين [٣] .

٣ ـ كما جاء في كتاب « تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم » للألوري ، بأن الدعوة هي :

صرف أنظار الناس وعقولهم إلى عقيدة غيرهم ، أو مصلحة تنفعهم ،

---

(١) الزمخشري ، أساس البلاغة : ١ / ٢٧٢ .

(٢) حسين ، الدعوة إلى الإصلاح : ١٠ ، ١٢ .

(٣) الغزالي ، مع الله : ١٧ .

وهي أيضاً : ندبة لانقاذ الناس من ضلالة كادوا يقعون فيها ، أو مصيبة كادت تحدق بهم [١] .

فهذه التعريفات تجتمع من حيث الهدف ، وهو تبصير الناس بأمور دينهم ودنياهم ، كما يتضح من هذه التعريفات أيضاً أن كلمة « دعوة » من الألفاظ المشتركة ، التي تطلق على الدين نفسه ، وتطلق في نفس الوقت على عملية النشر ، على أن الترابط وثيق بين الدعوة بمفهوم الدين ، والدعوة بمفهوم تبليغ الدين [٢] ، فبقدر فعالية وسائل التبليغ وقوتها ينتشر الدين ويقوى .

ومن ناحية أخرى فكلما كان الدين منتشراً وسائداً وقوياً كانت الدعوة إليه قوية فعالة ومنتشرة ، ويؤكد الواقع ذلك فعندما كان الإسلام قوياً في النفوس له دولته ورجاله ، كانت الدعوة إليه هي الأخرى بالغة في القوة الأمر الذي لم يتحقق يوم ضعفت دولته في أرضه وفي نفوس أتباعه[٣] .

والدعوة ليست دعوة قولية مجردة ، كما أنها ليست تبليغ كلمات فحسب ، وإنما هي : « دعوتهم ليفعلوا أموراً معينة تغير كل نظرتهم للحياة ، وتغير حياتهم كلها ، وتجعلهم أعضاء ذوي تأثير فعال في تغيير مجتمعهم الذي يعيشون فيه ، وهذا أمر بالغ الأهمية ، إنه ليس مجرد عملية كالتي يقوم بها دعاة التنصير في تعميد أو تنصير الأفراد ، بل إن الدعوة الإسلامية

(١) الألوري ، تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم : ١٧ .

(٢) الدعيج ، الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية : ٢٠٠ .
ويوسف ، الدعوة الإسلامية : ١٣ .

(٣) الدعيج ، الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية : ٢٠٠ .

تعمد إلى إحداث التغيير اللازم في جوهر كيانهم والتغيير المنشود في المحيط الذي يعيشون فيه »(١) .

فالدعوة إذاً عملية جهادية تستهدف التعريف والتغيير وهي تعني الدين الذي ارتضاه الله للعالمين وعندما تطلق يراد بها النشر والتبليغ .

---

(١) حسين باشا ، دراسة الأسلوب التنظيمي للعمل الإسلامي واحتياجاته العملية في ميدان الدعوة والفكر ـ من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر : ٦٩ ، ٧٠ ـ أبحاث ووقائع اللقاء الثاني للندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض في ٢٣ / ١١ ـ ٣ / ١٢ / ١٣٩٣ هـ ـ ١٧ ـ ٢٧ ديسمبر ١٩٧٣ م ـ إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الطبعة الثالثة .

المبحث الثاني
خصـــائص الدعـــوة

خصائص الدعوة

إن الدين الإسلامي ، دين مودة وسلم لمن مد يده له وسالمه ، وإذا كان الإسلام هو خاتم الديانات السماوية والذي ارتضاه الله دينا لاتباع خاتم النبيين محمد - عليه الصلاة والسلام - فإن هذا يعني أن يكون المسلمون رحمة للعالمين ، كما كان نبيهم رحمة للناس أجمعين كما دل على هذا قوله لنبيه الكريم : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[١] ، فهو الدين الذي يهدي الضالين ، ويعيد المنحرفين إلى سواء السبيل وأن يكونوا للإنسانية أسوة بالطبيب للمريض حيث يقدم له الدواء مصحوباً بالكلمات الطيبة الحانية الواعدة بالأمل والرجاء في الصحة والعافية[٢] . والله تعالى يقول : ﴿ **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[٣] .

ولما كانت الدعوة الإسلامية خاتمة الرسالات السماوية كان لابد لها أن تحيط بكل ما حملت الرسالات السماوية من خير وهدى للناس ، أرادها الله تعالى لتكون في صحبة ملازمة للإنسانية إلى أن ينتهي دور الإنسان على هذا الكوكب الأرضي[٤] . لذلك كانت الدعوة إلى الله دعوة تنطوي على الإيمان بالله ، فهي بذلك إيمان ودعوة ، إيمان بلغ الغاية في قوته وخصبه

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

(٢) الخطيب ، الدعوة إلى الإسلام : ١٥ .

(٣) الممتحنة : ٨ .

(٤) الخطيب ، الدعوة إلى الإسلام : ٢٥ .

ونمائه .. إيمان عمل وحركة للدعوة إلى الله . . إيمان يدعو المؤمن إلى بذل نفسه وماله في سبيل الذي خلقه فهو إيمان يحتم على المسلمين تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس جميعاً بكل وضوح وبيان ليكون الناس على هدى وبصيرة من أمرهم ، وليحي من حيَّ عن بينة ويهلك من هلك عن بينة(١) قال تعالى ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾(٢) . فكان الرسول ﷺ ومن تبعه من المسلمين يدعون لدين الله وهم على بصيرة أي على علم ويقين وهذا أمر يلزم العمل عليه ؛ لأن عدم القيام به يعد خللا في إيمان الفرد يجب تداركه تمشياً بهذا الواجب ، وهو الدعوة إلى الله(٣) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعون إلى مادعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي »(٤) .

فالدعوة إلى الله إذن هي الجانب العملي للإيمان والثمرة الفعلية التي يسعى المسلمون للوصول إليها . لقد أعلم الله جل شأنه رسوله ﷺ بأن رسالته تتلخص بكلمة واحدة هي : الدعوة إلى الله ، وقد ورد وصف هذه

---

(١) المصري ، سبيل الدعوة الإسلامية : ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٥ .

(٢) يوسف : ١٠٨ .

(٣) الخطيب ، الدعوة إلى الإسلام : ٥٠ .

(٤) تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٥٨ .

الدعوة في كتاب الله الكريم على أنها دعوة قائمة على البصيرة أي الحجة الواضحة واليقين الذي يتميز بالحق دون الباطل ، تتفق مع الفطرة السليمة وتوقن بها العقول المستنيرة .

كما أنها ليست مقصورة على الرسول ﷺ وحده ، ولكنها دعوته ودعوة كل متبع لهديه ومقتد بسنته . هكذا كان المجتمع الإسلامي ولا يزال مجتمعا يحمل أفراده جميعاً رسالة واحدة يشرون أنفسهم في سبيلها ، تلك السبيل التي أدت إلى انتزاع أصحاب رسول الله من الجاهلية ليكوّنوا مجتمعاً مسلماً حمل أفراده الرسالة عينها ، فبلغوها إلى العالم بأسره .

وأنها تنابذ الشرك منابذة تامة ، ولا تهادنه بل تسعى إلى القضاء عليه كلية[1] ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

لقد أورث الله سبحانه وتعالى المسلمين كل ما أنزله على الإنسانية من خيري الدنيا والآخرة ، فكان الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه الله لعباده كافة كما قال تعالى في هذه الأمة المسلمة : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[2] ، وما كانت هذه الخيرية لهذه الأمة من بين الأمم التي آمنت بالله إلا لأنها ـ مع هذا الإيمان بالله ـ لم تحبس هذا الإيمان في صدرها ، ولم تمسك بهذا الخير في ذات نفسها ، بل كان من زكاة هذه النعمة الجليلة ـ نعمة الإسلام ـ أن جعلت منها نصيباً مفروضاً لهداية الصالحين ، واستنقاذ التائهين من ظلمات الغواية ، وذلك لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأول ما يدخل في الأمر

(١) المصري ، سبيل الدعوة الإسلامية : ٦٤ .

(٢) آل عمران : ١١٠ .

بالمعروف والنهي عن المنكر الدعوة إلىٰ الله وحده ، والبراءة من الشرك بأنواعه[١] وقد أكد القرآن الكريم ذلك بأن جعل من صفات المؤمنين الدعوة إلىٰ الله ، بخلاف المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله ويدعون إلىٰ غيره قال تعالىٰ : ﴿ **الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ** ﴾[٢] وتبع ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾[٣] .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة : « فجعل الله تعالىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقا بين المؤمنين والمنافقين ، فدل علىٰ أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها الدعاء إلىٰ الإسلام »[٤] .

والمسلم يدعو إلىٰ الله باعتباره مسلماً مؤمناً بالله ورسوله ، وبهذا وحده كانت هذه الأمة خير الأمم .

فينبغي أن يقوم بهذا الواجب كل مسلم حسب قدرته ، ولا سيما في زماننا هذا حيث لا يزال الشرك والوثنية والجاهلية تتفشىٰ بين مجتمعات بشرية كثيرة سواء في أفريقيا وآسيا وأمريكا وغيرها من أقطار الأرض المختلفة . كما أن نشر الدعوة إلىٰ الله في هذه المجتمعات الجاهلية كثيراً ما يحتاج إلىٰ جهود جبارة يشترك فيها جميع المسلمين كل حسب استطاعته

(١) الخطيب ، الدعوة إلىٰ الإسلام : ٩ .

(٢) التوبة : ٦٧ .

(٣) التوبة : ٧١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٤٧ .

ومالديه من قدرات وهبها الله إياه سواء أكانت بمال أم بتعليم أم بفكر أم بسلطان(١) ، وأن يستخدموا كل الوسائل الممكنة ليتحقق المقصود من قيامهم بهذا الأمر وهو إقامة دين الله ونشر دعوته ، فإن لم يفعل المسلمون ذلك فقد أثم الجميع ، المتأهل للدعوة وغير المتأهل(٢) ، ومن ذلك يتضح أن الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته ، حيث فرض سبحانه وتعالى على المسلمين أن يحملوا مواريث النبوة ، وأن يضطلعوا بأعباء الرسالة ويقودوا الناس إلى الله ، ويوجهوهم وجهة الحق والخير والفلاح (٣) .

ولا شك أن في هذا شرف عظيم لهذه الأمة أضفاه الله تعالى عليها ، إذ أوجب على المؤمنين أن يكونوا حملة رسالة مبشرين ومنذرين ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر (٤) .

وخلاصة ذلك : أن الدين الإسلامي دين عالمي ، وأن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لجميع البشر .

وهذه الخصيصة للدعوة الإسلامية قد بينها الله تعالى في كتابه الكريم في أكثر من آية : من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾(٥) قال الطبري في تفسير هذه الآية : «وما أرسلناك يامحمد إلى قومك خاصة ، ولكنا أرسلناك للناس أجمعين ، العرب منهم والعجم ،

---

(١) زيدان ، أصول الدعوة : ٣١٤ .

(٢) الشاطبي ، الموافقات : ١/ ١٧٦ .

(٣) السيد سابق ، دعوة الإسلام : ٢٨٥ .

(٤) الخطيب ، الدعوة إلى الإسلام : ٩ .

(٥) سبأ : ٢٨ .

والأحمر والأسود ، بشيراً لمن أطاعك ونذيراً لمن كذبك »(١) .

وقال تعالىٰ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾(٢) .

قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : « يقول الله تعالىٰ لنبيه ورسوله محمد ﷺ : قل للناس ، وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ أي جميعكم ، وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين ، وأنه مبعوث إلىٰ الناس كافة ، والآيات في هذا كثيرة ، كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مرسل إلىٰ الناس كلهم »(٣) .

ومن خصائص الدعوة ماروواه جابر بن عبد الله (٤) ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال : « **أُعطيتُ خمساً لم يعطهن أحد قبلي : نُصرتُ بالرعب مسيرة شهر، وجُعلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليفعل ، وأحِلتْ لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبي يُبعَثُ إلى قومه خاصة ، وبُعِثتُ إلى الناس عامة** »(٥) .

---

(١) الطبري ، جامع البيان : ١٠ / ٣٧٧ .

(٢) الأعراف : ١٥٨ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٢٣٤ ، ٢٣٥

(٤) أبو عبد الله ، جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري السلمي ، ولد في سنة ١٦ ق هـ ، من مشاهير الصحابة ومن المكثرين في الرواية للحديث ، كف بصره آخر عمره وتوفي سنة ٧٨ هـ بالمدينة وعمره ٩٤ سنه وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة . (الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ١/ ٤٣ ، وابن حجر ، تقريب التهذيب : ١ / ١٢٢) .

(٥) فتح الباري : ١ / ٥١٩ (كتاب التيمم ـ باب حديث نزول آية التيمم) .
ومسلم بشرح النووي : ٥ / ٣ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) .

ومعنى قوله : « **بُعِثتُ إلى الناس عامة**»، أي أرسِلتُ إلى الخلق كافة(١)، على اختلاف ألوانهم وألسنتهم .

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسِلتُ به إلا كان من أصحاب النار** » (٢) .

فقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، أي ممن هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة . فكلهم يجب عليهم الدخول في طاعته، وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيهاً على من سواهما وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتبهم ، فإذا كان هذا شأنهم وقد أُرسِلتْ إليهم كتباً سماوية فإن غيرهم ممن لا كتاب له أولى (٣) .

وعن أبي هريرة أيضاً ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : «**فُضِّلتُ على الأنبياء بست** » ، ذكر منها ﷺ : « **وأرسِلتُ إلى الخلق كافة ، وخُتِمَ بي النبيون** »(٤) .

وفي رواية أخرى عند مسلم (٥) : « **كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة**

---

(١) ابن حجر ، فتح الباري : ١ / ٥٢٣ .
والنووي ، شرح النووي على مسلم : ٥ / ٥ .

(٢) مسلم بشرح النووي : ٢ / ١٨٦ (كتاب الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ) .

(٣) النووي ، شرح النووي على مسلم : ٢/ ١٨٨ .

(٤) مسلم : ١ / ٣٧١ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) .

(٥) أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري ، حافظ من أئمة المحدثين، ولد بنيسابور سنة ٢٠٤ هـ ، ومات بها سنة ٢٦١ هـ ، أشهر كتبه صحيح مسلم، جمع فيه اثني عشر ألف حديث ، كتبها في خمس عشرة سنة (الذهبي ، =

وبعثت إلى كل أحمر وأسود »(١) .

فكون الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مبعوثاً إلىٰ الناس كافة ، ودعوته عامة للثقلين الجن والإنس ، فإن ذلك معلوم من دين الإسلام بالضرورة (٢) مما يؤكد عموم الإسلام وعالمية الدعوة .

لقد كان من واقع التطبيق العملي أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أرسل إلىٰ الملوك والأمراء في عصره ، كالنجاشي ، وكسرىٰ ، وقيصر ، والمقوقس وغيرهم ، كتباً يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام ، وكان شعاره في ذلك قوله ﷺ : «**أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين**»(٣) . و﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾(٤) .

وبهذه الكتب كان النبي ﷺ قد أبلغ دعوته إلىٰ أكثر ملوك الأرض ، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر .

= تذكرة الحفاظ : ٢ / ٥٨٨ ، وابن العماد ، شذرات الذهب : ٢/ ١٤٤) .

(١) مسلم : ١ / ٣٧٠ ، ٣٧١ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٢٣٥ .

(٣) العامة والفلاحين ، والمراد : إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك . ولو أسلمت فإنك تسلم من كل شيء تخافه ، أي السلام الروحي ، والنجاة الأخروية ، والاطمئنان الذي يتوفر بالإيمان .

مسلم ، صحيح : ٣/ ١٣٩٦ (كتاب الجهاد ـ باب كتاب النبي إلىٰ هرقل) .

والحلبي ، السيرة الحلبية ٣/ ٢٨٧ .

(٤) آل عمران : ٦٤ .

فهذه الحركة العالمية نقلت الإسلام من المحيط المحلي إلى المحيط العالمي، وقد صدقه البعض ودخل الإسلام؛ كنجاشي الحبشة، وحاكم البحرين، وملك عُمان .

على أن من خالفه لم يكن لعدم تصديقه، بل من الخوف على سلطانه وملكه، كما حصل من هرقل عظيم الروم ومقوقس حاكم مصر[١] .

ولما كانت تلك البلاد تجمع كل الديانات من يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها، فإن مثل هذه الرسائل تؤكد على أن دعوته ـ عليه الصلاة والسلام ـ كانت عالمية، وإلا لما أرسل إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، ويأمرهم باعتناق هذا الدين، ويحملهم إثم اتباعهم في حالة الإعراض عن قبول الدعوة .

ومما يؤكد هذه العالمية كذلك : انطلاق المسلمين الأولين في مجاهل الأرض وآفاق الدنيا يعلنون للناس أجمعين، أنهم دعاة حق وحملة رسالة يبلغون وينشرون رسالة الإسلام ويدعون إلى الإيمان بالله وبوحدانيته . من ذلك قصة ربعي بن عامر[٢] مع

(١) البخاري بحاشية السندي : ١ / ٨، ٩ (كتاب بدء الوحي ـ باب كيف كان بدء الوحي . . .) .
والحلبي، السيرة الحلبية: ٣/ ٢٨١ـ ٣٠٤ .
والغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية: ٣/ ٥٥، ٥٦ .

(٢) ربعي بن عامر بن خالد بن عمرو التميمي، كان من أشراف العرب، وفد على رستم قائد الفرس سنة ١٤هـ، ولما فتح الأحنف خراسان ولاه على طخارستان سنة ٢٢ هـ، لم تذكر المصادر تاريخ ولادته أو وفاته . ذكر خبره الطبري في تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٤٠١، ٥٤٧، بيروت : دار القاموس الحديث، وابن كثير في البداية =

رستم(١) قائد الفرس عندما سأل ربعي قائلا: ما جاء بكم؟ قال له ربعي: «الله ابتعثنا، والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلىٰ عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلىٰ سعتها، ومن جور الأديان إلىٰ عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلىٰ خلقه لندعوهم إليه»(٢).

وقصة النعمان بن مقرن(٣) عندما وصل ومعه جماعة من الدعاة إلىٰ يزدجرد(٤) ملك الفرس الذي سألهم: «ما جاء بكم ودعاكم إلىٰ غزونا، والولوغ ببلادنا؟ أمن أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟». فقال النعمان: «إن الله رحمنا، فأرسل لنا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر،

=والنهاية: ٧/ ٣٩، ٤٤، الطبعة الأولىٰ، بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٦٦م، وابن حجر، الإصابة: ١/ ٥٠٣، ترجمه: ٢٥٧٢.

(١) قائد فارسي في معركة القادسية الفاصلة التي انتصر فيها المسلمون علىٰ الفرس بقيادة سعد ابن أبي وقاص في سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م.
الطبري، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٢٨٦.

(٢) المصدر السابق: ٢/ ٤٠١.

(٣) أبو عمرو، النعمان بن مقرن بن عائذ المزني، صحابي فاتح، من الأمراء القادة الشجعان، غزا أصفهان ففتحها، وهاجم نهاوند فاستشهد فيها سنة ٢١ هـ، ابن حجر، تقريب التهذيب: ٢/ ٣٠٤.

(٤) يزدجرد الثالث ابن شهريار بن كسرىٰ آخر ملوك الفرس، بعد أن افتتح المسلمون فارس إبان معركة القادسية، هرب يزدجرد من المدائن إلىٰ حلوان ثم إلىٰ أصبهان وإلىٰ خراسان، وتمكن المسلمون العرب الفاتحين من اللحاق به والقبض عليه في خراسان وقتله سنة ٦٥١هـ.
البلاذري، فتوح البلدان: ٣١١، ٣١٢.
وابن كثير، البداية والنهاية: ٧/ ١٦٧، ٢٠٨، القاهرة: دار الفداء العربي.

ووعدنا على إجابته خيري الدنيا والآخرة فلم يَدْعُ قبيلة إلا قاربه منها فرقة ، وتباعد عنه منها فرقة ، ثم أمر أن نبتدئ بمن خالفه من العرب ، فبدأنا بهم ، فدخلوا معه على وجهين :

مُكْرَهٍ عليه فاغتبط ، وطائع فازداد ، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ، ثم أمرنا أن نبتدئ بمن جاورنا من الأمم ، فندعوهم إلى الإنصاف . فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسَّن الحسن ، وقبَّح القبيح»(١) .

وهذا عقبة بن نافع (٢) الذي وقف في آخر المغرب العربي على شاطئ المحيط الأطلسي وقال ـ وقد خاض جواده بالماء ـ : «اللهم ربّ محمد ، لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك . . اللهم فاشهد! !»(٣) .

وهذا قتيبة بن مسلم الباهلي الذي توغل في آخر الشرق ، وأبى إلا أن يدخل بلاد الصين ، فقال له أحد أصحابه محذراً مشفقاً : «لقد أوغلت في

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٣ / ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، بيروت : مؤسسة عز الدين للطباعة .

(٢) عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري ، من كبار القادة الفاتحين في صدر الإسلام ، وهو باني مدينة القيروان ، ولد في السنة الأولى ق هـ ، شهد فتح مصر ، ووجهه عمرو بن العاص إلى أفريقيا سنة ٤٢ هـ ، فافتتح كثيراً من بلادها وأوغل في بلاد أفريقيا حتى أتى وادي القيروان فأعجبه فبنى فيه مسجداً لا يزال إلى اليوم يعرف بجامع عقبة ، ووصل إلى المغرب الأقصى فبلغ ساحل المحيط الأطلسي ، مات مقتولاً في أرض الزاب بأفريقيا سنة ٦٣ هـ . البلاذري ، فتوح البلدان : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، والطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٥ / ١٢٢ ، بيروت : مؤسسة عز الدين للطباعة ، والذهبي ، تهذيب سير أعلام النبلاء : ١ / ١٢٤ ، ترجمه : ٣٧٣ .

(٣) علوان ، وجوب تبليغ الدعوة : ٣١ .

بلاد الترك ياقتيبة، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر».

فأجابه قتيبة، والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ: «بثقتي بنصر الله توغلت، وإذا انقضت المدة لم تنفع العدة!!».

فلما رأىٰ صاحبه المحذر عزمه وتصميمه على المضي لإعلاء كلمة الله قال له: «اسلك سبيلك حيث شئت يا قتيبة، فهذا عزم لا يفله إلا الله!!»(١).

انسجاماً مع هذه الدعوة العالمية، انطلق الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، هذه الانطلاقة لإعلاء كلمة الله وإنقاذاً للبشرية من وهدة الشقاء إلىٰ قمة السعادة والمجد، وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾(٢)، وذلك تمشياً مع الواجب وخشية من العقاب الذي قال به سبحانه وتعالىٰ علىٰ لسان نبيه محمد ﷺ: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾(٣). فأمة الإسلام بذلك مكلفة بأن تدعو نفسها بتحقيق أمر الله فيما بينها، وأن تدعو الناس جميعاً إلىٰ الدخول في دين الإسلام، وما علىٰ الأمة الإسلامية وهي ترىٰ واقعها وما وصلت إليه ـ ليس لها إلا أن تعتصم بكتاب الله الكريم لتستطيع أن تؤدي رسالتها وأن تبلغها للناس أجمعين.

---

(١) علوان، وجوب تبليغ الدعوة: ٣١، ٣٢.

(٢) التوبة: ٣٣.

(٣) الأنعام: ١٩.

إن هذه الدعوة الإسلامية، ليست تشريعاً مقصوراً على إقليم أو فئة أو جنس معين دون غيره؛ إنما هي لكل الناس، بغض النظر عن المكان أو اللون أو الجنس أو الطبقة، فلا عنصرية في هذه الدعوة، ولا عصبية في هذا التشريع، ولا طبقية في هذا الإسلام، وإنما الناس سواء، لا فضل لفرد منهم على فرد، ولا لفئة على أخرى بحكم الخلق والنشأة[١] وإنما التفاضل بالتقوى، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٢]. وهذا نابع من أن الإسلام هو الدين الذي أنزله الله تعالى للبشر جميعاً، علاوة على كونه نظاماً كاملاً للحياة يحدد للشخص هدفاً واضحاً لنشاطه في جميع نواحي الحياة من اجتماعية واقتصادية وسياسية ويحدد خصائص شاملة ومنفردة في كل هذه المناحي ومن ثم فإنه يسترعي انتباه المثقفين والعامة، والأغنياء والفقراء، والمتخصصين والعاديين، رجال فكر أو عامة[٣]، والله سبحانه وتعالى يقول لرسوله في محكم التنزيل: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[٤]، ويقول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾[٥].

---

(١) علوان، هذه الدعوة ما طبيعتها: ١٧.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) طالب الب، الدعوة إلى الإسلام: ٢٩٩ ـ الدعوة الإسلامية: الوسائل. الخطط. المداخل ـ أبحاث ووقائع. اللقاء الخامس للندوة العالمية للشباب الإسلامي، نيروبي، ٢٦/ ٦ ـ ١/ ٧/ ١٤٠٢هـ الموافق ٢٠ ـ ٢٤/ ٤/ ١٩٨٢م.

وأبو الأعلى المودودي، إلى أي شيء يدعو الإسلام: ٤٢١، ٤٢٥ ـ المرجع السابق.

(٤) الأنبياء: ١٠٧.

(٥) سبأ: ٢٨.

ومن ذلك يتضح لنا أن أخص خصائص الدعوة الإسلامية التي امتازت بها على غيرها من الشرائع هي شمولها وعمومها الذي يتفق مع كونها خاتمة الرسالات وناسخة لها.

وبالإضافة إلى ذلك فإن لها من الخصائص الأخرى ما يؤكد كونها الدعوة الوحيدة الصالحة للبشرية فهي تعلن وحدة الجنس البشري وتعتبر الإنسانية جامعة للناس وأن ميزان التفاضل فيما بينهم هي التقوى، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾(١).

وأن أساس التعاون بين الناس يكون مبني على هذه التقوى، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾(٢).

كما أنها قررت وحدة الدين في أصوله، وأن الفرقة فيه تتنافى مع أصول الدين العامة، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**﴾(٣).

وقد جاءت الدعوة بالتسامح من غير ضعف، فهي تبني العلاقات الإنسانية سواء أكانت بين آحاد الناس أم بين الجماعات على التسامح من غير

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) المائدة: ٢.

(٣) الشورى: ١٣.

ذلَّة ، قال تعالىٰ : ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(١) .

وأقرَّت الدعوة الحرية الإنسانية سواء أكانت للأفراد أم للجماعات أم للدول علىٰ أساس الاختيار وعدم الإكراه ، فالحرية الحقيقية في نظر الشريعة الإسلامية هي التي تبتدئ بتحرير النفوس من سيطرة الأهواء والشهوات وجعلها خاضعة لسلطان الإيمان بالله ، كما أقرَّت حرية العقيدة ، وبالرغم من أن الإسلام لايعترف بالأحقية لعقيدة غير العقيدة التي جاء بها ، فإنه مع ذلك يترك للناس حرية أن يعتنقوا ما يشاءون بعد أن يهيئ لهم الجو السليم بعيداً عن الضغوط السياسية أو الاجتماعية أو المادية(٢) .

ولذلك فإن الإسلام لا يجيز لمسلم أن يخضع لدولة غير إسلامية لا يستطيع فيها أن يمارس شعائر دينه ، ولا للمسلمين أن ينضووا تحت لواء دولة غير إسلامية ؛ لأنهم لا يتمكنون من تنفيذ أحكام دينهم إلا في ظل دولة إسلامية تعمل بهذا الدين الذي جاء لإصلاح أوضاع الناس ، مما جعل الإسلام يقرر بأن لكل دولة غير إسلامية أن تختار في علاقاتها مع دولة الإسلام مصيرها ، ولذلك كان المسلمون يخيّرون من يغزونهم بين الإسلام أو العهد أو القتال ، فإن اختاروا الإسلام فإخوان في الدين ، وإن اختاروا العهد كان الوفاء بالعهد واجباً علىٰ المسلمين ، وإن اختاروا القتال كان بسبب ما اختاروا(٣) .

(١) فصلت : ٣٤ .

(٢) أبو زهرة ، العلاقات الدولية : ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) حسن البنا ، السلام في الإسلام : ٣٣ ، ٣٤ .
وأبو زهرة ، العلاقات الدولية : ٣١ .

ومن خصائص الدعوة أيضاً : تمسكها بالآداب في حالتي السلم والحرب وأيا كان الجنس أو النوع الذي يتعاملون معهم ؛ لأن قواعد الآداب في الإسلام شاملة وعامة، لهذا كانت وصاياه ـ عليه الصلاة والسلام ـ لجنده : « **اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ، أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ...** »(١) .

ومن خصائص الدعوة أيضاً العدالة، وإن ثمة تفاضل ، فبالأعمال والجزاء عليها، فنصوص القرآن الكريم على ذلك متضافرة ؛ ومنها قوله تعالى : ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ**﴾(٢) .

ويتفرع عن العدالة مبدأ المعاملة بالمثل سواء أكان من يعامله مسلماً أم غير مسلم، ولا يتنافى ذلك مع الآداب الإسلامية ولا مع التسامح ؛ لأنه لا يصح أن يؤدي التسامح إلى شيوع الظلم الذي يترتب عليه شيوع الفساد، كما أن الفضيلة الإسلامية ليست مستخذية ، وبمقتضى ذلك يبني الحاكم المسلم علاقاته مع غيره، فإن اعتُدي عليه رد الاعتداء، وإن سالمه أحد قبل منه مسالمته، وإن لم يسالمه كان حرباً عليه ، وإن سالمه ونكث عهده نبذ إليه عهده (٣) .

فالطابع العالمي إذن ، مستخلص من المبادئ العامة التي يدعو لها هذا

---

(١) مسلم، صحيح : ٣ / ١٣٥٧ (كتاب الجهاد والسير ـ باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث).

وابن ماجه ، سنن : ٢ / ٩٥٣ (كتاب الجهاد ـ باب وصية الإمام).

(٢) المائدة : ٨ .

(٣) أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام: ٣٦ .

الدين الحنيف وهي مبادئ تخص الطبيعة البشرية، من حيث هي طبيعة بشرية في أي مكان، وفي أي جيل من الأجيال، وهذه الخصائص تتلاءم مع هذه الأسس والمبادئ لانسجامها مع طبيعة الإنسان. . أي إنسان ، وليس بشيء آخر وراءها[١] ، ولعل ذلك راجع إلىٰ أن رسالة الإسلام جمعت في طياتها دعوة الأنبياء والرسل جميعاً، وزادت عليها شمولية التشريع الواقعي المتكامل الأبدي المتجدد علىٰ مر العصور إلىٰ أن يرث الله الأرض ومن عليها[٢] .

فهي رحمة للعالمين، وهي هداية للناس كافة ، وهي منهاج للبشرية عامة، لتحقيق وحدة التشريع العالمي لأمم الأرض وبناء العقيدة الصحيحة علىٰ أسس من الفضيلة وترك الفواحش، وصون الكرامات الإنسانية وحماية حقوق الإنسان والاطمئنان علىٰ مقاصد الشريعة الإسلامية وأصول الدين الكلية، التي تتمثل في المحافظة علىٰ الدين والنفس والعقل والعرض والمال وحماية المستضعفين والدعاة المسلمين، ليتوفر لأمم الأرض الأمن والاستقرار ويعم السلام.

---

(١) البهي، الإسلام دعوة وليس ثورة: ١٠.

(٢) علوان ، وجوب تبليغ الدعوة: ٤٩.

وهذه الدعوة ما طبيعتها : ١٣.

المبحث الثالث
صلة الدعوة بالجهاد

صلة الدعوة بالجهاد

لما كان من خصائص الدعوة الإسلامية السهولة واليسر اللذان تمتاز بهما هذه الدعوة عن غيرها ـ مما كان سبباً في اعتناق الناس لها من غير قهر ولا إكراه ـ فإن الإكراه على اعتناق الإسلام قد نهى عنه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لا إكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١) .

قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: «إنه تعالى لما بيَّن دلائل التوحيد بياناً شافياً قاطعاً للمعذرة، قال بعد ذلك: إنه لم يبق بعد إيضاح هذه الدلائل عذر للكافر في الإقامة على كفره إلا أن يقسر على الإيمان ويُجبر عليه وذلك مما لايجوز في الدنيا التي هي دار الابتلاء، إذ أن في القهر والإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء والامتحان»(٢) .

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(٣) ، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٤) ، وقال أيضاً: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾(٥) .

---

(١) البقرة: ٢٥٦ .

(٢) التفسير الكبير: ٧/ ١٤ .

(٣) الكهف: ٢٩ .

(٤) يونس: ٩٩ .

(٥) الشعراء: ٣، ٤ .

فمن هنا لا قيمة لإيمان يجيئ عن طريق الإكراه؛ لأن طبيعة الإسلام تأبئ الإكراه ، وترفض التحكم؛ لأن هديه بيِّن وشريعته سمحة .

ومما يؤكد هذا القول إنه سبحانه وتعالىٰ قال بعد هذه الآية : ﴿**قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ ، يعني : ظهرت الدلائل ، ووضحت البينات ، ولم يبق بعدها إلا طريق القسر والإلجاء والإكراه، وذلك غير جائز ؛ لأنه ينافي التكليف(١) .

وقد ورث المسلمون نبيهم في الدعوة إلىٰ الله والحفاظ عليها من غير أن يكرهوا أحداً علىٰ اعتناقها ، وجعلوا حرية التدين مكفولة لكل إنسان في كل زمان ومكان يجب تمكينه من التمتع بها غير باغ ولا عاد، ولهذا جاءت الآيات الكريمة تثبت الجانب الآخر من الدعوة وهو : إزالة العقبات السياسية والاجتماعية والعسكرية وغيرها من طريقها حتىٰ يتهيأ للناس الاعتقاد بما يريدون في ظل نظام يكفل الحرية ويقوم علىٰ العدالة واللتين لا تتوفران إلا في ظل الإسلام، ولذلك قال تعالىٰ : ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾(٢) .

إذن فمن المنطق المعقول أن تكون لهذه الدعوة العالمية قوة تحميها وتزيح من طريقها كل عقبة ؛ حتىٰ تصل للناس جميعاً، سواء أكانت تلك العقبة يمثلها حكام متسلطون عبدوا أنفسهم وأجبروا الناس لعبادتهم من دون الله ، أو كانت سلطة المجتمع وأوضاع البيئة .

---

(١) الفخر الرازي ، التفسير الكبير : ٧/ ١٥ .

(٢) الأنفال : ٣٩ .

والحقيقة الأكيدة أن الشرك متمثلاً بأهله يضاد الإيمان متمثلاً بأهله كذلك؛ لأن الإيمان منبع الخير العام، والشرك منبع الفساد العام، ونتيجة لهذا التناقض يبقى الصراع مع الشرك مستمراً ما وجد التناقض بينهما ووجود أحدهما مرهون بعدم وجود الآخر في مجتمع واحد في زمن واحد، ولذلك كان موقف المشركين مع الرسل الصد والسخرية والاعتداء عليهم [١]، فمتى قام الدعاة بهذا الدين وأعلنوا ربوبية الله في الأنفس وعلى الأرض، فإن المغتصبين لحق الله تعالى والمعادين لحريات المستضعفين لا يسالمون المسلمين إلا إذا كان للإسلام ظهور عليهم، والإسلام ليس مجرد عقيدة حتى يقنع الناس به بوسيلة البيان؛ وإنما هو بالإضافة لذلك شريعة منظمة لحياة الناس، ومن ثم يتحتم على الدعاة إزالة كل عقبة تقف في سبيل دعوتهم، ومن هنا شرع الله الحرب في الإسلام وجعلها ضرورة تمليها طبيعة الشرك نفسه، فلولا ما شرع الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك على مقدرات الشعوب وعطلوا ما بنته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع ذلك بأن أوجب القتال ليتفرغ المؤمنون لعبادة الله وحده، ودعوة خلق الله إلى هذه العبادة، فالجهاد أمر متقدم في الأمم وبه صلحت الشرائع [٢].

فليس من العدل في شيء أن تغتصب أمم أو تذل شعوب، وليس من

(١) ابن العربي، أحكام القرآن: ٣/ ١٢٨٦.
والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٦٩.
وابن القيم، زاد المعاد: ٢/ ٤٠.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ١٢/ ٧٠.

العدل التفرقة بين لون ولون أو عرق وعرق، وليس من العدل أن تصادر الحريات وأن يبتلع القوي الضعيف، عندئذ تكون الحروب ضرورة لا بد منها ودفعاً لا بد من وقوعه، وإلا فسدت الأرض وهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله، أي بطل الأمن وذهبت مقدسات الإيمان، وصدق الله العظيم حين قال: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا**﴾(١)، وقال تعالىٰ: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ...**﴾(٢).

ومن هنا كانت القوة التي طالب الإسلام بها وأمر أتباعه المسلمين أن يحققوها والتي تساند الدعوة؛ هي قوة أمن تحرس الحق وترعاه، وترد الظلم ولا ترضاه، وهي في الوقت نفسه قوة لا تصدر عن هوىٰ أو تسلط(٣). فهي قوة عدل في الأرض لتحقيق الأمن بين الخلق، قال تعالىٰ: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾(٤)، فهو قتال لرد الاعتداء ودفع الظلم، الغرض منه تأمين الدعوة؛ حتىٰ تتوافر للناس حرياتهم وتسلم لهم مقدساتهم، فهو دفع لتأمين البِيَع والصلوات والمساجد، وتلك ليست أماكن العبادة للمسلمين وحدهم وإنَّما يشاركهم في ذلك غيرهم من غير المسلمين.

وبذلك يتبين لنا أن دعوة الإسلام تقوم علىٰ جهاد له مفهوم خاص

---

(١) الحج: ٤٠.

(٢) البقرة: ٢٥١.

(٣) الراوي، الدعوة الإسلامية: ٥٤٩.

(٤) البقرة: ١٩٠.

يؤدي الغرض المطلوب منه، فالمسلمون يستخدمونه بحسب واقعهم وظروف حياتهم وطبيعة عدوهم، كما استخدمه المسلمون الأوائل ؛ لأنه ليس ديناً خاصاً لجماعة خاصة من البشر، وفي بيئة محدودة من الأرض . كما هو الشأن في الديانات السابقة للإسلام، وإنما هو بحكم الواقع لا بد له من دولة ذات شوكة يبسط سلطانه عليها ثم يقدم هذا الدين للناس واقعاً عملياً لا فلسفة فكرية فقط، فمن رآه وعرف محاسنه انجذبت نفسه إليه، واطمأن إليه قلبه ، وعرف أنه يلبي حاجاته الفطرية بشكل متوازن فيميل إليه راضياً مختاراً، وهذا الأثر كان ظاهراً في البلاد التي انقلبت إسلامية في عقائدها وآدابها وسائر شؤون حياتها في العصور الأولى للفتح الإسلامي(١) .

لقد انتشر الإسلام في بقاع الأرض وشع نوره في قارات العالم كلها دون حرب ، بل ربما حمله إلى أطراف الأرض تاجر أمين أو عالم سائح، والإسلام لم يعلن حرباً على أحد، وإنما أعلن عن عدله وصدقه ، ولم يقاتل إلا حين منع من حقه في الحياة ، ومع أن الإسلام يقوم على المودة والرحمة والتعاون ، ويمد يد المسالمة إلى الناس ، فإنه بنفس الوقت يأبى كل الإباء أن تداس مقدساته ، وأن يقوم السلم على حساب هضم الحقوق؛ لأن الإسلام يأبى الظلم في أية صورة لمتبعيه أو مخالفيه على حد سواء(٢) .

وعلى هذا فالإسلام دين لكل البشر في كل عصر ، فكما كان دين للجيل الذي بُعث في عصر النبوة، فهو دين لكل جيل يأتي من بعد عصر

(١) أبو زهرة، الدعوة إلى الإسلام : ١٩ .

(٢) الراوي ، الدعوة الإسلامية: ٥٤٨ ، ٥٨٨ .

النبوة حتىٰ تقوم الساعة .

فهذه الدعوة كانت وما تزال إعلاناً عاماً لتحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالىٰ وحتىٰ تكون العبودية لله وحده ، فجاءت شاملة للاعتقاد ومنهج الحياة، قال تعالىٰ : ﴿إنِ الْحُكْمُ إلاَّ للَّهِ أمرَ ألاَّ تَعْبُدُوا إلاَّ إيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لايَعْلَمُونَ﴾[١] .

وهذا الغرض النبيل من الدعوة إلىٰ الله يكشف عن حقيقة مهمة في طبيعة هذه الدعوة هي براءتها من الأغراض المادية ، كما تبرأت من قبل دعوات الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من هذه الأغراض[٢] ، فالمبدأ عند الجميع واضح ، دعوة خالصة لله تعالىٰ ، ليست تجارة ولا هي وسيلة لها ، قال تعالىٰ : ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عندي خَزائِنُ اللَّهِ ولا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إنِّي مَلَكٌ إنْ أَتَّبِعُ إلاَّ ما يُوحىٰ إلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ﴾[٣] .

فالدعوة إذن مبرأة من اتخاذها مبدأ للارتزاق أو سبباً للحكم[٤] .

إن الدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر المشتمل علىٰ تقدم العلوم وتعقيدات الحياة وقوة الأعداء المادية وضعف المسلمين ، تحتاج إلىٰ مهارة فائقة وإلىٰ حسن المناظرة عند تقديم الإسلام لغير المسلمين كما تحتاج إلىٰ علم

---

(١) يوسف : ٤٠ .

(٢) كما في الآيات التالية : الفرقان : ٥٧ .

والشعراء : ١٠٩ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ .

وسبأ : ٤٧ .

(٣) الأنعام : ٥٠ .

(٤) شلبي ، الجهاد في الإسلام منهج وتطبيق : ١٢٢ .

وحكمة ودراية كافية وحسن تصرف وصبر ومصابرة وإخلاص وتضحية وجهاد مستمر لا يسيطر عليه الملل على أسس من النقاش الهادئ المقترن بالدليل والحوار المتزن المقنع .

والدعوة الإسلامية واجب إسلامي يقع على جميع المسلمين سواء أكانوا أفراداً أم جماعات أم حكومات ؛ لأنهم مُلزمون بالقيام بعبء وراثة الرسالة الإسلامية في تبليغ دعوة الله وشريعته إلى غير المسلمين في كل زمن ومكان ؛ لأنها دعوة ذات خصائص عالمية ، الغرض منها تحقيق الخير والسعادة لكل الناس ؛ لكونه خاتم الرسالات الإلهية وشريعة الحق والعدل والمحبة والسلام . فليس القصد من تبليغ الدعوة الإسلامية للعالم الوصول إلى أغراض نفعية دنيوية أو تحقيق مصالح مادية ، أو لبسط النفوذ واستعمار الشعوب ؛ وإنما من أجل الأخذ بيد الإنسان ليكون سعيداً في الدنيا والآخرة على أساس من العقيدة الصحيحة والآداب الفاضلة ، والبعد عن المظالم ودفع العدوان وصون معالم الحق والخير والسلام تنفيذاً للأوامر الإلهية بنشر الإسلام وتعريف الناس به .

ولذلك فإن للحرب في الإسلام غاية تهدف إلى تأمين الحياة للناس ، وهي تعتمد على المنطق السليم والحجة الواضحة ، فلا يكره أحد على الدخول فيه ، فهي دعوة إلى الإسلام تقوم على السلم حتى يتوفر الأمن والسلم لمتبعيه المسلمين ومخالفيه من غير المسلمين على حد سواء .

ولذلك فإنه إذا وقف إنسان في سبيل ذلك ؛ فإن القتال في هذه الحالة يكون مشروعاً . قال النووي : «المختار عندي في هذا مسلك الأصوليين فإنهم قالوا : الجهاد دعوة قهرية فيجب إقامته بحسب الإمكان حتى لا يبقى

إلا مسلم أو مسالم»(١) . ذلك أن العدالة تقتضي ذلك ، ولذا قال الله تعالىٰ : ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ (٢) ، فإن من حق هذا الدين أن يؤمن عمل الدعاة المسالمين ، ويمنع الذين يحولون بين الناس وبين أسباب الحياة(٣) .

وقد بيَّن الله تعالىٰ أن من دوافع الحرب في الإسلام القضاء علىٰ الفتنة في الدين ، فقال تعالىٰ : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٤) .

إن معنىٰ الفتنة في الدين في هذه الآية الكريمة هو الابتلاء والمحنة في الدين، ومما يؤكد هذا المفهوم أن أصل الفتنة في اللغة يعني الابتلاء والاختبار(٥) ، أي قاتلوهم حتىٰ لا يوجد من يفتن الناس في دينهم فيقف حائلاً في طريق طالبي الحق قال تعالىٰ : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾(٦) أي أن القتل وإن كان فيه شر وفساد؛ ففي فتنة الكفر من الشر والفساد ما هو أكبر منه(٧) . قال تعالىٰ : ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾(٨) . وبهذه الآية أيضاً يظهر معنىٰ الفتنة في الدين .

(١) روضة الطالبين: ١٠ / ٢٠٩ (كتاب السير) .
(٢) البقرة: ١٩٤ .
(٣) الراوي ، الدعوة الإسلامية: ٥٢٥ .
(٤) البقرة: ١٩٣ .
(٥) الراغب الأصفهاني ، المفردات : ٣٧١ .
(٦) البقرة: ٢١٧ .
(٧) ابن تيمية ، السياسة الشرعية : ١٣٣ .
وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم: ١ / ٤٥٠ .
(٨) البقرة : ٢١٧ .

إن رفع الفتنة التي يمتد لهيبها إلى الإنسانية دون تفرقة تعد قوة أمن ذاتية لتأمين الناس تقوم في الإسلام بشكل طبعيّ عادة؛ لتنحسر الفتنة وينكمش الفساد، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**﴾(١) .

وعلى هذا فإن الأمر بقتال الذين يفتنون المسلمين عن دينهم أمر مطلق حتى يزول الإيذاء والتعذيب الذي يفضي إلى حمل أصحاب الحق على ترك دينهم والتحول عنه ، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾(٢) . أما قول رسول الله ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ...**» (٣) فالمراد بالناس هنا : المشركين.

لم يكن الإسلام ليقيم علاقاته مع الدول الأخرى على التقاتل والتخاصم ، بل إنه يقيمها على الرحمة والتعاون بالرغم من اختلاف العقيدة، ولا يمنع ذلك من أن يلتقي الإسلام مع غيره على صلة الرحم والبر والعدل، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾(٤) .

---

(١) الأنفال: ٧٣.

(٢) البقرة: ١٩٠.

(٣) فتح الباري: ٣/ ٣٨٠ (كتاب الزكاة ـ باب وجوب الزكاة) .
ومسلم ، صحيح : ١ / ٥٢ (كتاب الإيمان ـ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله).

(٤) الممتحنة : ٨ .

وهذا يفسّر لنا روح المودة والتسامح في الإسلام، ومنه ندرك أن الدعوة الإسلامية لم تعتمد على القوة والبطش والاضطهاد، وأن القوة مهما بلغت فهي أعجز من أن تقيم عقيدة أو تحرس دعوة ما لم يكن للعقيدة أصالتها وللدعوة عوامل بقائها، فكم هُزم المسلمون وبقي الإسلام، وكم ديست دياره فسيطر على الغاصبين نوره، فتحولوا من عداوته إلى عون له، ومن حرب عليه إلى تأييد له مدافعين عنه(١).

ولذلك، فإن الإسلام لا يقاتل إلا المحاربين فقط الذين يصدون عن دين الله، ويقفون محاجزين عن تبليغه، ولم يتعرض الإسلام للمسالمين معه مهما كانت مخالفتهم لعقيدة الإسلام، ولو كان قصده الإكراه على الدين لقاتل جميع من لم ينتم لغير الإسلام.

فالإسلام يجعل من المسلمين قوة أمن ذاتية تقوم على حراسة الأمن وحماية الحق والعدل ودفع الظلم ومنع الاعتداء، ولذلك قال تعالى: **﴿وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾**(٢).

ولما كان الدين الإسلامي دين واقعي، فإنه ينظر إلى الحرب على أنها سمة من سمات الحياة، والدعوة الإسلامية إذا لم يكن هناك من يدافع عنها ويذود عن كرامتها؛ فإن الكفار يقفون في طريقها، ويريدون أن يطفئوا نورها، ومصداق ذلك من كتاب الله الكريم، قوله تعالى: **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾**

---

(١) الراوي، الدعوة الإسلامية: ٥٤٧.

(٢) البقرة: ١٩٠.

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾(١) .

فالحق مهما كان واضحاً ، إذا لم تسنده القوة ؛ علا عليه الباطل وإن كان زائفاً .

ولذلك فإن الحروب التي وقعت في العصر النبوي مع أعداء الإسلام ، لم يكن الدافع لها العدوان أو استغلال خيرات الشعوب ؛ وإنما كان الدافع لها تبليغ الدعوة الإسلامية وإيصالها إلى الناس جميعاً ، وصد العدوان الواقع على بلاد المسلمين ، ومنع الظلم ، وضمان حرية ممارسة العقيدة الإسلامية للمسلمين ، وعدم الفتنة بالدين ، وتوطيد أركان الأمن والسلام بين الناس .

---

(١) الصف : ٧ ـ ٩ .

المبحث الرابع
أساليب نشر الدعوة ووسائلها

١ ـ أساليب نشر الدعـوة .

٢ ـ وسـائل نشر الدعـوة .

أساليب نشر الدعوة ووسائلها

لا شك أن أساليب الدعوة ووسائلها(١) تختلف من زمن إلىٰ زمن ومن أمة إلىٰ أمة ومن مجتمع إلىٰ آخر .

والدعوة إلىٰ الله قد تؤدَّىٰ بصورة فردية ، حيث يقوم بها المسلم بصفته فرداً مسلماً . وقد تؤدَّىٰ بصورة جماعية ، بأن يؤدَّىٰ هذا الواجب أو جانباً منه بصفته فرداً في جماعة تدعو إلىٰ الله تعالىٰ : يدلّ علىٰ هذا كله قول الله تبارك وتعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢) . قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : «والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجباً علىٰ كل فرد من الأمة بحسبه»(٣) .

إن تجمع الدعاة للقيام بواجب الدعوة بصورة جماعية ، يكون ضرورياً في واقع الأحوال اليوم ، ذلك أن مهمة الدعوة جسيمة ، خاصة لو أريد نشر الدعوة إلىٰ الله في المجتمعات الوثنية الجاهلية كما في الأقطار الوثنية في أفريقيا وآسيا ونحوهما ، نظراً لما تحتاجه هذه الأقطار من جهود كبيرة منظمة

---

(١) أساليب : جمع أسلوب ، وهو الفن ، فأساليب الدعوة هي فنون الدعوة ، كالحكمة والموعظة وغيرهما من الأساليب ، فهي الشكل الذي يتم به الأداء .

أما الوسائل : فهي القنوات أو أدوات التوصيل لهذه الأساليب فهي مجرد أدوات ، لتوصيل الدعوة إلىٰ الناس .

(٢) آل عمران : ١٠٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٨٦ .

ومدعمة بغرض تعليم الناس أمور الإسلام حيث لا يقوىٰ عليها جهد فرد[١]، ويكون عرض هذه الدعوة علىٰ الناس في تلك المجتمعات بأساليب ووسائل علمية محببة للمدعوين وفق قدراتهم وظروفهم حتىٰ يتقبلوا مايعرض عليهم وذلك وفق الآتي:

١ ـ أساليب نشر الدعوة:

ولما كانت أساليب الدعوة تختلف باختلاف حال من هم في حاجة للدعوة، فالشخص الداعي لكبير السن لا بد أن يختلف في لهجته وأسلوبه عن الدعوة الموجهة للصغير. كما أن التوجيه المقدم لمن يسود العشيرة أو القوم يختلف حكماً عن توجيه أي فرد عادي. فالقادة مثلاً ومن في حكمهم تكون دعوتهم بالقول اللين، قال تعالىٰ لموسىٰ وهارون: ﴿**إِذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾[٢]. أما العلماء النابهون والفلاسفة والمتكلمون ومن علىٰ شاكلتهم فتكون الدعوة لهم بالدلائل القطعية المتبادلة بينهم. وبالنسبة لأهل الكتاب فتكون ببيان محاسن الإسلام، وبيان شدة حاجة الناس إليه في كل زمان ومكان... وهكذا[٣].

ومنه يتضح أن كل أسلوب لا ينفع في جميع الأحوال، فلكل حال ظروفها، بمعنىٰ أنه لا بد من التفكير والتقدير ودراسة مختلف الأوضاع كي تأتي الوسيلة المنتقاة بأثرها المطلوب حال تطبيقها.

---

(١) زيدان، أصول الدعوة: ٣١٠.

(٢) طه: ٤٣، ٤٤.

(٣) بيومي، ادع إلىٰ سبيل ربك: ٣٩ ـ ٤١.
ويوسف، الدعوة الإسلامية: ٢٢.

ولا ريب أن المصدر الأساس الذي يستند إليه الداعية في أسلوبه للدعوة هو كتاب الله الكريم وسنة رسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ ثم تأتي سيرة السلف الصالح وعلماء الأمة ، قال تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾(١) .

وتقوم أساليب الدعوة الناجحة على تشخيص الداء في المدعوين ومعرفة الدواء والتأكيد على ذلك ، وإزالة الشبهات التي تمنع المدعوين من التعرف على هذا الداء والإحساس به ، مع ترغيبهم في استعمال الدواء ، وتشجيعهم على التمسك به ، ثم تعهد المستجيبين منهم بالرعاية والتربية والتعليم لتحصل لهم المناعة ضد دائهم القديم(٢) .

وقد بيَّن الله تبارك وتعالى أساليب الدعوة وضرورة التعرف على أحوال المدعوين بقوله : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣) .

والخطاب ـ وإن كان هنا موجهاً لرسول الله ﷺ فإن كل فرد قادر من المسلمين مشارك فيه ، لأن الخطاب الموجه له تدخل فيه أمته ما لم يرد على التخصيص (٤) .

ففي هذه الآية يبين سبحانه لرسوله ﷺ وللدعاة من بعده ، المرتكزات الأساسية لأساليب الدعوة إلى الإسلام .

---

(١) الأنعام : ٩٠ .

(٢) زيدان ، أصول الدعوة : ٤٠٤ .

(٣) النحل : ١٢٥ .

(٤) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن : ٢ / ٤٣ .

وأهم هذه الأساليب ثلاثة ، هي :

أ ـ الحكمة:

١) الحكمة في اللغة: العدل والعلم والحلم [١] ، وأحكم الأمر : أتقنه ، وأحكمته التجارب : يقال للرجل إذا كان حكيماً [٢] ، والحكمة : إصابة الحق بالعلم والعمل ، كما وردت بمعنى الحلم وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب [٣] .

٢) الحكمة في الاصطلاح: هي الإصابة في القول والعمل معاً [٤] ، ووضع كل شيء في موضعه [٥] ، وهي إنما تعني مطابقة الدعوة لمقتضى الحال ؛ لأن الحكمة مهما تعددت معانيها ومفاهيمها فمرجعها كلها إلى أصل واحد هو : وضع الشيء في موضعه ، فلكل مقام مقال [٦] .

والحكمة : مصدر من الإحكام وهو الإتقان في القول والعمل [٧] ، مما يقتضي تحري أفضل السبل وأجداها في استجابة المدعوين ، واختيار

(١) الفيروزآبادي ، القاموس المحيط : ١٤١٥ ، (حكم) .
(٢) ابن منظور ، لسان العرب : ١٥/ ٣٠ ، (حكم) .
(٣) الزبيدي ، تاج العروس : ٨/ ٢٥٣ ، (حكم) .
(٤) الطبري ، جامع البيان : ٣/ ٨٧ ، تحقيق : محمود شاكر .
وابن حيان ، البحر المحيط : ٢/ ٣٢٠ .
(٥) المرجع السابق : ١/ ٣٩٣ .
(٦) محمد عبده يماني ، الدعوة في العهد الحاضر وتطور نظمها وأساليبها : ١٠٦ ـ مجلة المنهل ، العدد : ٤٤٩ ، الربيعان ، ١٤٠٧هـ ـ نوفمبر وديسمبر ١٩٨٦م .
(٧) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٣/ ٣٣٠ .
وابن حيان ، البحر المحيط : ٢/ ٣٢٠ .

الأنسب من الوقت والمكان والكلام وأسلوب الحوار [١]، وصولاً للإقناع المتسم بالصبر الذي جعله الله حجة عليهم في كتابه [٢].

ففي حياة الرسول ﷺ مواقف سادت فيها الحكمة، ومن أمثلتها ما كان من مظاهر الصبر في مكة وكيف تحمّل ـ وهو الشريف في قومه ـ السب والسخرية والإيذاء، وتحمّل مع هذا كله إيذاء أصحابه، فكم يتأذىٰ القائد الصادق بأذىٰ الجنود[٣].

وقد يكون من الحكمة أخذ الأمور بالشدة فيما لا يجوز فيه التهاون، إذ ليست الحكمة دوماً تتسم بأسلوب الملاينة، وإنَّما هي وضع الأمور في مواضعها الصحيحة التي من خلالها تستتب شؤون المصلحة العامة ويمتنع الفساد، كما أن التدرج في إقرار الأشياء إنما يكون من الحكمة أيضاً.

والدعاة ليس لديهم والحالة هذه من سلاح سوىٰ طول الأناة والتصبر ولو إلىٰ حين، وبذلك يجنون ثمرة سعيهم وجهاد أنفسهم في سبيل تثبيت دعائم الحق وإبطال محاولات الباطل[٤].

ب ـ الموعظة الحسنة:

هي النصح والتوجيه والتذكير بالعواقب بأسلوب لطيف محبب، وبطريقة مقبولة وكما أن الحكمة في القول مطلوبة، فإن الموعظة أسلوب من

---

(١) آل موسىٰ، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية: ١٩٤.

(٢) الصابوني، وصالح رضا، مختصر تفسير الطبري: ١ / ٤٦٩.

(٣) جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها: ١٥٢.

(٤) الكيلاني، كيف انتشر الإسلام: ٦٤.

أساليب حكمة القول (١) . وقد وردت إشارات إلىٰ تطبيقات الموعظة في آيات عديدة من ذلك ما ساقه الأنبياء لأقوامهم ينذرونهم ويحذرونهم خشية عليهم من العذاب :

فهذا شعيب يقول لقومه : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾(٢) .

ويقول : ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾(٣) .

جـ ـ المجادلة بالتي هي أحسن :

يعني الجدل في القرآن الكريم المحاورة لإظهار الحق، فقد يضطر الداعي في موقفه أمام خصمه العنيد إلىٰ استعمال الحجج المقنعة والمجادلة المفحمة، فالجدال لم يكن مسلكاً مقصوداً بذاته، ولكن قد يضطر له الداعي عندما يكون الخصم مشاغباً، فالجدال إذن لا يكون إلا بقدر الحاجة(٤) ، فالمدعو في مناقشته وجداله مع الداعي قد يصل إلىٰ حد اتّهام الداعي بالضلال المبين ، فلا يثور الداعي إذا ما اتهمه المدعو بالضلال ، بل يجب أن

---

(١) جريشة ، مناهج الدعوة وأساليبها : ١٥٥ .

وآل موسىٰ ، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية : ١٩٤ .

(٢) هود : ٨٤ .

(٣) هود : ٨٨ ـ ٩٠ .

(٤) النيسابوري، غرائب القرآن : ١٤/ ١٣١ .

لا يخرجه ذلك عن هدوئه واتزانه ، من باب الشفقة عليه، وتفهمه لموقفه، وأن يكون كلامه في الجدال والمناقشة بالحسنىٰ ، والكلمة الطيبة، والأدب الجم المصحوب بالتواضع والهدوء ، دون رفع الصوت، وعدم محاولة إثارة الشخص المقابل أو الاستهزاء به ، وليكن التحدث معه علىٰ مستوىٰ عال رفيع رقيق ليّن محبب، تغلب عليه قوة الإقناع ووضوح الحق(١) . قال تعالىٰ : ﴿ ... وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢) ، فالداعي إذاً مقيد فيما يصبو إليه حيث الوصول إلىٰ الحق هو غايته، ومقيد بأن تكون الحسنىٰ وسيلته.

وقد وردت للمجادلة ألفاظ مرادفة كالمحاجة والمخاصمة، فإن كانت الغاية حقاً كان الجدال محموداً ، وإلا كان مذموماً، فالغاية هي التي تفرق بين الجدال المذموم والمحمود. والوسيلة إن كانت حسنة كان الجدال محموداً، وإلا كان مذموماً(٣) .

ومن نماذج ورود كلمة الجدال في القرآن الكريم :

قوله تعالىٰ : ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٤) . فهذا الجدال محمود.

وقوله تعالىٰ : ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾(٥) ، وقوله تعالىٰ :

---

(١) زيدان ، أصول الدعوة: ٤٧٨ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

(٣) جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها: ١٦١ .

(٤) العنكبوت : ٤٦ .

(٥) غافر: ٥ .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾(١) . فهذه من آيات الجدال المذموم(٢) .

والدعوة الإسلامية، وهي دعوة الحق وسبيل الخير ، والطريق المستقيم، عندما تجيز الجدال والمناظرة اضطراراً لما حملها عليه حال المدعو بسلوكه الملتوي، المجافي لفطرة الله التي فطر الناس عليها، فإنها تُقيد تلك المجادلة بالحسنىٰ، والرفق في الجدال، واللين في الجانب ، والخطاب الحسن، لجذب المدعو وتذكيره، وإتاحة الفرصة له ليعمل فكره وعقله، وهي بهذا تجافي الإكراه، وتبتعد عن الالتواء والأهواء(٣) .

ومن الوقائع العملية في تطبيق الأساليب المطلوبة للدعوة والتي أرشد إليها القرآن الكريم، حسب ظروف وأحوال المدعوين، من ذلك محاولة استمالة الرسول ﷺ وإقناعه بالعدول عن الدعوة، فعندما أدرك زعماء قريش فشلهم في مختلف الأساليب عرضوا علىٰ محمد ﷺ الملك والمال والسلطان والجاه، فأرسلوا إليه أحدهم وهو عتبة بن ربيعة(٤) سيد قومه ، فجاء إلىٰ النبي ﷺ فكلمه واستعمل معه كل وسائل الإغراء بأسلوب مؤثر،

(١) الحج: ٣.

(٢) جريشة، مناهج الدعوة وأساليبها: ١٦١.

(٣) آل موسىٰ، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية: ١٩٥.

(٤) أبو الوليد، عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كبير قريش وأحد سادتها في الجاهلية، كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل، خطيباً نافذ القول، أدرك الإسلام ، وشهد بدراً مع المشركين ، وقاتل قتالاً شديداً، فأحاط به علي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث فقتلوه في بدر سنة ٢هـ.

(السهيلي، الروض الأنف: ١/ ١٢١، والزركلي، الأعلام: ٤/ ٢٠٠).

ورسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يسمع لقوله، دون أن يقاطع حديثه، أو يقسو عليه منتهجاً الحكمة والموعظة الحسنة في مناظرته، حتىٰ إذا ما فرغ عتبة من كلامه، قال له ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «أفرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم. قال ﷺ: «استمع مني»، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ...﴾(١). حتىٰ انتهىٰ إلىٰ آية السجدة فسجد، ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذلك» فقام عتبة إلىٰ قومه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به! فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش: أطيعوني، واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل، وبين ما هو عليه، فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر علىٰ العرب فملكه ملككم وعزه عزكم، وأنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم(٢).

كما أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ اتبعوا في دعوتهم نفس أسلوب

---

(١) فصلت: ١ ـ ٣٨.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ١/ ٣١٣، ٣١٤.
وابن كثير، السيرة النبوية: ١/ ٥٠١ ـ ٥٠٥.

اللين والرفق والحلم والصبر ، تجاه الأناس المستضعفين المسالمين ، فنالوا بذلك ثقتهم ، وبادرت جماهيرهم إلىٰ اعتناق الإسلام طواعية ، وذلك من خلال ما لمسوه لديهم من حسن المسلك ونقاوة السيرة وما يتفق مع العقل والمنطق .

ما كان الإسلام ليقر مبدأ العسف لنشر دعوته ولا التضليل بالناس والتغرير بهم ، وإنَّما جاء ليناصب العداء للرذائل ويمحو الزيف والبطلان ، فالغاية الطيبة تستلزم دون شك الوسيلة الطيبة(١) .

٢ ـ وسائل نشر الدعوة:

لما كانت وسائل تبليغ الدعوة إلىٰ الله تختلف ـ كما سبقت الإشارة إلىٰ ذلك ـ باختلاف الظروف والمواقف ، وتتعدد وفقاً للطريقة المستخدمة فيها أو الغرض المقصود منها ، سواء أكانت بالكلمة الطيبة ، أم بالأسوة الحسنة التي تجعل الداعية قدوة لغيره فتجذب المدعوين إلىٰ الإسلام ، فلعله في الإمكان القول بأن من أهم وسائل نشر الدعوة ، الكلمة الطيبة والسيرة الحسنة وفعل الخير .

أ ـ الكلمة :

الكلمة هي الأصل في تبليغ الدعوة إلىٰ الله ، فالقرآن ، وفيه معاني الدعوة إلىٰ الله ، هو كلام رب العالمين قال تعالىٰ : ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾(٢) .

---

(١) الكيلاني ، كيف انتشر الإسلام : ٤٨ .

(٢) التوبة : ٦ .

كان تبليغ رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لرسالة ربه للناس بالكلمة(١)، قال تعالىٰ ـ مخاطباً رسوله وآمراً له أن يقول للناس :ـ ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾(٢) . فالكلمة الطيبة في تبليغ الدعوة لها الأثر البالغ في النفوس .

من هنا وجب أن تكون هذه الكلمة واضحة بينة لا غموض فيها ولا إبهام ؛ لأن الغرض من الكلام إيصال المعاني المطلوبة بكل وضوح إلىٰ من يكلمه الداعي ، ولهذا أرسل الله سبحانه وتعالىٰ رسله بأَلْسنة أقوامهم حتىٰ يستوعبوا مايدعونهم إليه. قال تعالىٰ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(٣) .

وهذا ما فعله الرسول ﷺ ، فما أصلح هذه الأمة يصلح غيرها من الأمم ، ولذلك ينبغي الاهتمام باللغة العربية ـ وذلك بالنسبة لمن يتحدثون بلغة الضاد ـ والعناية بها عناية كبيرة ، لأن هذه اللغة هي الوسيلة الأساس لإيصال الدعوة إلىٰ الناس(٤) .

إن قضية الدعوة إلىٰ الإسلام ـ اليوم ـ تُعدُّ تحدياً من أكبر التحديات التي تواجه المسلمين ، فالبلدان المسلمة ، والمؤسسات الإسلامية يتوجب عليها وضع مخطط إعلامي مدروس يستثمر كل ما يمكن استثماره من

---

(١) زيدان، أصول الدعوة: ٤٧٠ .

(٢) يونس : ١٠٨ .

(٣) إبراهيم : ٤ .

(٤) جعفر شيخ إدريس ، أساليب الدعوة ووسائلها ـ ندوات إصدار تسجيلات التقوىٰ الإسلامية ـ الرياض ـ شريط كاسيت رقم ٥٨٩١ ، ٥٨٩٢ .

وسائل الإعلام والكلمة المباشرة، بحيث تعمل على إعداد عناصر إعلامية فنية مدربة ، تستطيع أن تقدم الصحيفة الناجحة ، والكتاب الجيد، والدورية الممتازة، والقصة المؤثرة، والعلم النافع وغير ذلك لنقل فكرة أو شرح مطلب أو دعوة لقضية(١) .

والكلام في مجال نشر الدعوة الإسلامية **أنواع**، منها :

الخطبة، والدرس، والمحاضرة، والوعظ والإرشاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكتابة باعتبارها أداة من أدوات النشر، وتؤدي مايؤدي إليه الكلام بالنسبة لمن لا يمكن للداعي المشافهة معهم(٢) .

فالخطبة : هي وسيلة جيدة لنشر الدعوة وتكون عادة لجمع من الناس في المساجد والمراكز الثقافية والمنتديات والاحتفالات العامة، فهي مؤثرة في النفوس خاصة إذا كانت صادرة من قلوب مخلصة، وكان صاحبها ممن وهبهم الله طلاقة اللسان وحسن التعبير عما يكنه فؤاده، وإذا كان موضوع الخطبة مما له علاقة بأحوال الناس مع ربط هذا كله بمعاني العقيدة الإسلامية(٣) .

الدرس : يتميز الدرس بآثاره الحسنة والمؤثرة المباشرة في نفوس رُواده

---

(١) طه جابر فياض العلوان، من وسائل الدعوة الإسلامية : ٧٦ ، ٧٨ـ الدعوة الإسلامية : الوسائل. الخطط . المداخل ـ أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ نيروبي ٢٦/ ٦ ـ ١/ ٧/ ١٤٠٢هـ ـ ٢٠ ـ ٢٤ / ٤/ ١٩٨٢م.

(٢) زيدان، أصول الدعوة: ٤٧٤ .

(٣) جرار ، الدعوة إلى الإسلام: ١٧٦ .

وزيدان ، أصول الدعوة: ٤٧٤ ، ٤٧٦ .

خاصة إذا كانت مادته محضرة تحضيراً جيداً، وتميز موضوعه بالتسلسل المنطقي في معالجة مسألة من المسائل، سواء أكانت شرحاً لآيات من القرآن الكريم أو إيضاح الأحاديث النبوية أم بيان مسألة من مسائل الفقه أو العقيدة، أم عرضاً لأحوال المسلمين وحلاً لمشكلاتهم.

وعادة ما يكون الدرس في المسجد أو المدرسة أو في مكان مخصص لذلك كالندوات أو غيرها.

والغالب في الدرس أن يحضره عدد قليل من الناس جاءوا قاصدين سماع الدرس مما يعطي فرصة طيبة للداعي أن يتعرف عليهم ويوثق علاقته بهم، فالمدرس الماهر يستطيع صياغة هذه النفوس في القالب الذي يحب(١).

المحاضرة: والغالب في المحاضرة أنها تعالج موضوعاً معيناً من خلال الاستقصاء والإحاطة وذكر الأدلة والبراهين والإشارة إلى ما قيل حول الموضوع وإبراز نواحي الصواب من هذه الأقوال.

والمحاضر الناجح هو الذي يسعى إلى تحقيق هدف معين مع البيان الشافي المقنع، وعلى الداعي تحري الدقة في حديثه، فلا يلقي الكلام جزافاً، ولا يكون جافاً أو متعالياً، بل عليه أن يضفي على محاضرته شيئاً من التحريك العاطفي الوجداني بما يذكره من حقائق الإسلام ومعاني العقيدة الإسلامية، لإثارة ما في النفوس من معاني الإيمان(٢).

---

(١) جرار، الدعوة إلى الإسلام: ١٧٧.
وزيدان، أصول الدعوة: ٤٧٦.

(٢) المرجع السابق: ٤٧٧، ٤٧٨.

الوعظ والإرشاد : لا ريب أن هذا العنصر يعد وسيلة هامة من وسائل الدعوة إلى الله ، لا يستغنى عنها بحال ، ولا سيما إذا قام بها داعية ذو قلب حي ، وعقل نيّر ، فإن الله يهدي به من يشاء ، وإذا كان الحديث من القلب وصل إلى القلوب .

لقد كان الوعظ والإرشاد جزءاً من مهمة الأنبياء والمرسلين ، الذين بعثهم الله مبشرين ومنذرين ، وستظل جزءاً من مهمة ورثة الأنبياء وحملة دعوتهم في كل زمان ومكان(١) .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : وغالباً ما يكون ذلك بالكلام ، وقد يكون بدعوة غير المسلم إلى الإسلام ، أو بدعوة المسلم العاصي إلى طاعة الله سبحانه وتعالى ، والإقلاع عن مخالفة شرعية ، كما أن هذا الأمر والنهي بأنواعه قد يكون موجهاً إلى شخص بعينه أو إلى عدة أشخاص أو طائفة من الناس أو بشكل دعوة إلى الناس لاتباع ما جاء به الإسلام وترك ما يخالفه(٢) .

الكتابة : والمقصود بها الكتابة بأسلوب أدبي مؤثر ، يحرك أوتار القلوب ويؤثر على العواطف والعقول ، فهي وسيلة جيدة للدعوة إلى الله .

والكتابة إما أن تكون بتأليف الكتب والأبحاث والمقالات في المجلات وغيرها ، تعكس أفكار الناس وتشرح مبادئهم وتعاليمهم ، وتبين للمسلمين مايحاك حولهم من مؤامرات ، وإما أن تكون عن طريق الرسائل ، كما كان

---

(١) القرضاوي ، الحل الإسلامي : ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) زيدان ، أصول الدعوة : ٤٧٩ .

رسول الله ﷺ يكتب إلىٰ حكام البلاد غير الإسلامية يدعوهم فيها إلىٰ الإسلام، كرسائله ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلىٰ كسرىٰ في فارس والعراق، وهرقل في الشام، والمقوقس في مصر(١) .

ولا شك أن تأليف الكتب وكتابة الأبحاث والمقالات والرسائل، في معاني الإسلام، من الوسائل المفيدة في الدعوة إلىٰ الله ولا سيما إذا ترجمت إلىٰ لغات من يراد تعريفهم بالإسلام ودعوتهم إليه فيمكن بهذه الوسيلة نشر الإسلام وتبليغه إلىٰ ملايين الناس الذين لا يعرفون اللغة العربية، ولم تصلهم معاني الإسلام(٢) . وكما تكون الكلمة مشافهة أو مكتوبة ، فقد تتم أيضاً بالصورة المرئية المسموعة، أو بالكلمة المسموعة وحدها، أو قد تشترك مع القوة البشرية المتمثلة في الداعية بمختلف صفاته وخصائصه تعزيزاً له وتمكيناً لأداء رسالته .

والكلمة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية قد تكون باللسان العربي الذي اختاره الله في القرآن الكريم، كما قد تكون بغيره من لغات البشر المتعددة الألسن(٣) .

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد: ٣/ ٦٨٨ـ٦٩٧ .

(٢) جرار ، الدعوة إلىٰ الإسلام: ١٧٧ .
وزيدان ، أصول الدعوة: ٤٨١، ٤٨٢ .

(٣) عبد المجيد العبد، الدعوة الإسلامية بعض الوسائل والإستراتيجيات والمداخل : ٢٢٨ ، ٢٢٩ ـ الدعوة الإسلامية : الوسائل . الخطط . المداخل ـ أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ نيروبي ٢٦/٦ ـ ١ / ٧ / ١٤٠٢هـ ـ ٢٠ـ ٢٤/ ٤/ ١٩٨٢م .

إن الكلمة اليوم تدخل إلىٰ كل بيت ، وتنفذ إلىٰ كل مكان ، ومع وسائل الإعلام الحديثة تلاشت المسافات وغدت الإنسانية أينما وجدت وكأنها تعيش في بيت واحد ، فعن طريق الأقمار الصناعية وبواسطة مكبرات الصوت أو الإذاعة أو الرائي ؛ وقد أصبحت تلك الوسائل في متناول الغني والفقير علىٰ حد سواء ، ومن هنا صار الداعية يُسمع الألوف المؤلفة من الناس ، بل ربما إذا كانت شهرته واسعة أسمع الملايين ، ولهذا فعلىٰ الداعية في الوقت الحاضر أن يستغل ما أثمره العلم والتقنية الحديثة وانتشارها في شتىٰ أنحاء العالم من حافظات للصوت ومسجلاته كالفيديوهات والأشرطة ، وذلك لخدمة الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام والدفاع عنه(١) .

فالإعلام في أي بلد إسلامي يجب أن يكون معبراً عن حقيقة هذه الأمة ، وما يجب أن تكون عليه ، فيكون الإعلام داعياً إلىٰ الله يسمع الناس ما يجب أن يقتدوا به ، فالجانب الإيجابي في الإعلام أنه وسائل عالمية لدين عالمي ، وتلك تضيف علىٰ المسلمين واجباً نحو الإدراك بأنهم مطالبون بتبليغ دعوة الله للعالمين مستخدمين هذه الوسيلة العالمية لتوصل الكلمة إلىٰ أي مكان .

ب ـ القدوة:

وهي الأسوة الحسنة ، أي الاقتداء والتأسي ، وهي شيء فطري في الإنسان . فالطفل يقتدي بما يراه من سلوك ويقوم بتقليده بشكل تلقائي

---

(١) محمد عبده يماني ، الدعوة في العهد الحاضر : ١٠٩ ـ مجلة المنهل ، العدد (٤٤٩)ـ الربيعان ١٤٠٧هـ/ نوفمبر وديسمبر ١٩٨٦م .

فطري ويتخذ من والديه ومن يكبره من إخوته قدوة يقتدي بها . والكبير يكون تأثيره بعادات المجتمع والوسط الذي يعيش فيه عن طريق الاقتداء والتقليد العفوي سواء شعر بذلك أم لم يشعر به (١) .

ولذلك حذَّر رسول الله ﷺ من مجالسة الأشرار بقوله : «**إنَّما مثل الجليسُ الصالح والجليس السُّوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة**»(٢) .

والقدوة من الوسائل الأساسية المهمة في تبليغ الدعوة إلى الله وجذب الناس إلى الإسلام، فالسيرة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية، وأخلاقه الزكية تجعله قدوة حسنة لغيره، ويكون بها كالكتاب المفتوح يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها؛ لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام وحده(٣) .

وخير مثل على ذلك ، هي حياة رسول الله ﷺ فهي مجموعة متكاملة من المثل والقيم والمبادئ ، فكان في حياته العامة إماماً وقائداً، وفي حياته الخاصة زوجاً وأباً ، وقد لقب ﷺ قبل النبوة بالصادق الأمين. وبعد النبوة، كان خلقه القرآن، حتى استحق ثناء خالقه ومرسله جل شأنه : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾(٤) .

---

(١) الضياف ، القدوة الحسنة وأثرها في الإعلام بالإسلام : ٢١٥ .

(٢) مسلم بشرح النووي : ١٦/ ١٧٨ (كتاب البر والصلة والآداب ـ باب استحباب مجالسة الصالحين) .

(٣) زيدان ، أصول الدعوة : ٤٨٥ .

(٤) القلم : ٤ .

ومن الشواهد العملية في أهمية السيرة الحسنة للداعي وأثرها في تصديقه فيما يدعو إليه ، أن خديجة بنت خويلد[١] ـ رضي الله عنها ـ عندما أخبرها رسول الله ﷺ بما حدث له في غار حراء قالت له : «**أبشر والله لا يخزيك أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتعين على نوائب الدهر...** » إلى غير ذلك من الصفات الجميلة التي عددتها من أخلاقه تصديقاً منها لقوله وإعانةً له على الحق[٢] .

والله سبحانه وتعالى يوجه المسلمين باتخاذه ـ عليه الصلاة والسلام ـ قدوة في القول والعمل حيث يقول : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾[٣] يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : «هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في مصابرته ومرابطته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل ـ

---

(١) هي : أم المؤمنين ، خديجة بنت خويلد بنت أسد بن عبد العزى ، من قريش ، زوجة رسول الله ﷺ الأولى ، وكانت أسن منه بخمسة عشر سنة ، ولدت بمكة سنة ٦٨ ق هـ ، ونشأت في بيت شرف ويسار ، كانت ذات مال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام ، تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة ، فلما بلغ رسول الله ﷺ الخامسة والعشرين خرج في تجارة لها إلى سوق بصرى (بحوران) وعاد رابحاً ، تزوجها رسول الله ﷺ قبل النبوة ، ولما بعث رسول الله ﷺ ، دعاها إلى الإسلام ، فكانت أول من أسلم من الرجال والنساء ، وأولاد النبي ﷺ كلهم منها غير إبراهيم من مارية وكانت وفاة خديجة بمكة سنة ٣ ق هـ .
(ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٨ / ١٤ ـ ١٩) .

(٢) المقريزي ، إمتاع الأسماع : ١ / ١٣ ، ١٤ .

(٣) الأحزاب : ٢١ .

صلوات الله وسلامه عليه ـ . . ولهذا قال تعالىٰ للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب : ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ أي فهلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ »(١) .

من أجل ذلك كانت القدوة واحدة من أنجح الوسائل لنشر الدعوة وأيسرها . وينسحب نفس الشيء علىٰ أصحاب الرسول ـ رضي الله عنهم ـ ومن بعدهم التابعون ، ثم من بعدهم الدعاة المخلصون .

لقد انتشر الإسلام في كثير من بلاد الدنيا بالسيرة الطيبة والقدوة الحسنة للمسلمين والتي كثيراً ما سبقت دخول الإسلام لهذه الدول فكانت محل جذب أنظار غير المسلمين وحملت العديد منهم علىٰ اعتناق الإسلام ، فالقدوة الحسنة التي يتمتع بها الداعي هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها غير المسلم علىٰ حقيقة الإسلام ، ومن ثم محبة هذا الدين ، وأنه من عند الله ، ولا سيما إذا كان سليم الفطرة سليم العقل(٢) .

والواقع التاريخي يثير الإعجاب ؛ ذلك لأن الإسلام وصل إلىٰ جنوب الهند وسيلان وجزر المالديف في المحيط الهندي ، وإلىٰ التبت وإلىٰ سواحل الصين ، وإلىٰ الفلبين واليابان وجزر أندونيسيا وشبه جزيرة الملايو ، وإلىٰ أواسط أفريقيا في السنغال ونيجيريا والصومال وتنزانيا ، ومدغشقر ، وزنجبار وغيرها من البلاد ـ حيث وصل الإسلام إلىٰ كل هذه الأمم ـ بواسطة تجار مؤمنين ، ودعاة صادقين مخلصين ، أعطوا الصورة الصادقة عن

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٥/ ٤٣٧ .

(٢) زيدان ، أصول الدعوة : ٤٨٥ .

الإسلام في سلوكهم وأمانتهم وصدقهم ووفائهم ، ثم أعقب ذلك الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، والدعوة اللينة الطيبة ، إلى الحق والعدل[١] ، فكان لذلك أكبر الأثر في انتشار الإسلام ، فدخل الناس في دين الله أفواجاً ، وآمنوا بالدين الجديد عن صدق وإيمان وقناعة ورغبة ، دون ضغط أو إكراه .

بهذه الهمة العالية ، اتسعت رقعة الإسلام إلى درجة لم يبلغها دين آخر ، ففي كل قارات العالم أسلمت دول كثيرة ، وما كان لينتشر الإسلام بهذه السرعة إلا لكونه دين الحق ، وما كان لباطل أن ينتشر هذا الانتشار ويبقى طوال أربعة عشر قرناً يزيد فيه معتنقوه كل يوم ، وتدخل فيه كثرة وافرة ممن يدرسون ويتأملون ويتفكرون[٢] .

لم تعتمد العقيدة الإسلامية في انتشارها في أرجاء القارات على مؤسسات تنظيمية وإرساليات تبشيرية ، وميزانيات معتمدة تستهدف إغراء الناس باعتناق الإسلام مثلما تفعله الصهيونية العالمية ، ودولة العدو الصهيوني حيث تمول كثيراً من الإرساليات التبشيرية في إفريقيا وغيرها مكافحة للإسلام والمسلمين ؛ لأن انتشار الإسلام يهدد مصالحها ويؤدي إلى أن يشارك معتنقوا الإسلام إخوانهم المسلمين في الوطن الإسلامي عداوتهم للصهيونية العالمية والعدو الصهيوني[٣] ، وإنما اعتمدت العقيدة الإسلامية

(١) علوان ، وجوب تبليغ الدعوة : ٤٢ ، ٤٣ .
ونوفل ، الدعوة إلى الإسلام : ٧٤ ، ٧٥ .
ويوسف ، الدعوة الإسلامية : ٤٠ ، ٤١ .
(٢) نوفل ، الدعوة إلى الإسلام : ٦٨ ، ٦٩ .
(٣) محمود شيت خطاب ، أهمية الدعوة : ٢٣ ـ مجلة المنهل ، العدد : ٤٤٩ الربيعان ١٤٠٧هـ / نوفمبر وديسمبر ١٩٨٦م .

في انتشارها على الجهود الذاتية المنبعثة عن عمق العقيدة في قلوب أصحابها من علماء الإسلام والرحالة والتجار والجغرافيين والمعلمين ، إضافة إلى اهتمام التجمعات الإسلامية بإنشاء الجوامع والمساجد والمدارس والكتاتيب وغيرها من الأبنية الدينية والتعليمية التي كانت ولا تزال تقوم أساساً على الجهود الذاتية المادية والعينية(١) .

ولعل ذلك يكون دافعاً لكل مسلم أن يسعى إلى نشر العقيدة الإسلامية وفقاً لاستطاعته وإمكاناته .

فالعمل الصالح يعمله المسلمون ويجعلون من أنفسهم فيه للناس أسوة، ومثالاً يُحتذى ، فما لم يحولوا ما يدعون إليه إلى سلوك عملي لهم ، فيدرك المخاطبون إخلاص المسلمين وصدق نياتهم من خلال الروح السارية في كلماتهم، والمؤكدة بالسلوك العملي لهم ، فإن لم يفعلوا ذلك ، فلن يجدوا من يصغي إليهم (٢) .

ولهذا يشدد الله تعالى النكير على أولئك الذين يقولون ما لا يفعلون :

---

(١) عبد القادر ورأفت الشيخ ، قضايا إسلامية معاصرة : ٢٠ .
ومحمد حسن كاسولي ، الدعوة الإسلامية في أفريقيا : الطرق والأساليب والخطط : ٣١٨ ـ الدعوة الإسلامية : الوسائل . الخطط . المداخل ـ أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ نيروبي : ٢٦/ ٦ ـ ١/ ٧/ ١٤٠٢هـ/ ٢٠ ـ ٢٤/ ٤/ ١٩٨٢م .

(٢) طه جابر فياض العلوان، من وسائل الدعوة الإسلامية : ٧٨ . الدعوة الإسلامية : الوسائل . الخطط . المداخل ـ أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ نيروبي : ٢٦/ ٦ ـ ١/ ٧/ ١٤٠٢هـ/ ٢٠ ـ ٢٤/ ٤/ ١٩٨٢م .

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾(١) .

فتقولون القول الذي لا تصدقونه بالعمل، فأعمالكم مخالفة لأقوالكم(٢) . فالإسلام يطلب من المسلمين لتحقيق السلم أن يكون قولهم خيرا وفعلهم خيراً، وليس في قولهم ولا فعلهم إيذاء لأي مخلوق ، ولا اعتداء عليه بل يكون القول الحسن الذي يصدقه العمل .

جـ ـ مجال الخدمات الاجتماعية:

وهو القيام بنشر الدعوة إلى الله عن طريق العمل الفردي أو الجماعي ، وذلك بالخدمة العامة التي يستفيدمنها مجموعة من الناس مثل : بناء المساجد وعمارتها وتأسيس المدارس والمعاهد والجامعات وإنشاء الأندية الثقافية والمراكز الاجتماعية ، وإقامة الجمعيات الخيرية والمستشفيات ، أو نحو ذلك مما يسهم في تخفيف البؤس والمعاناة عن بعض المجتمعات، وإشاعة البر ، ومساعدة المحتاج ، ومحاربة الأعداء الثلاثة المتمثلة في الجهل والفقر والمرض، ليسهِّل ذلك أو يحقق إقامة شرع الله في جانب من جوانبه ، ويكون هذا العمل دعوة صامتة إلى نشر الإسلام ، ولا سيما إذا تم الاستعانة بأهل العلم والرأي والخبرة للعمل في هذه الميادين (٣) .

---

(١) الصف : ٢ ، ٣ .

(٢) الطبري، جامع البيان : ١٢/ ٧٩ .

(٣) جرار ، الدعوة إلى الإسلام : ١٨٠ .
وزيدان ، أصول الدعوة : ٤٨٢ .
والقرضاوي ، الحل الإسلامي : ٢١٨ .
ويوسف ، الدعوة الإسلامية : ٢٢ .

إن فعل الخير جزء من مهمة المسلم في الحياة ، كما أمره الله تعالىٰ ؛ حين قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ (١) .

فعلاقة المسلم بربه العبادة ، وعلاقته بمجتمعه فعل الخير : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾(٢) ، وعلاقته بأعدائه الجهاد في سبيل الله ، ولا يسع المسلم أن يعيش في قرية لا يجد مرضاها العلاج ، أو لا يجد أيتامها الكفالة ، أولا يجد فقراؤها القوت ، ثم يقف متفرجاً ، لا يمد إليهم بالعون يداً ، ولا يضمد لهم جرحاً ، ولا يمسح لهم دمعة .

إن هذا جزء من نشر الدعوة ، فنشر الدعوة لا يتخذ صورة المحاضرة ، أو الحديث ، أو الكتابة فقط . فكما سبق أن ذكر بأن من بين وسائل نشر الدعوة ، هو نقل الفكرة إلىٰ الناس بواسطة تقديم العمل والمثل الصالح إليهم وإسداء المعروف إليهم ومن ثم تُفتح قلوبُهم لِحبُك ، وعقولهم لفهمك ، وآذانهم للإصغاء إليك(٣) .

كما أن في هذه الأعمال الاجتماعية مجالاً ليتعرف الدعاة علىٰ أحوال الناس ، ودراسة مشكلاتهم ، والاتصال اليومي معهم .

ولما كان الدعاة كلهم ليسوا قادرين علىٰ نشر الدعوة باللسان أو القلم ، حيث تختلف مواهب الناس وقدراتهم ، فلا عجب إذن أن تجد كثير ين من

---

(١) الحج : ٧٧ ، ٧٨ .

(٢) المائدة : ٢ .

(٣) القرضاوي ، الحل الإسلامي : ٢٢٢ .

القادرين على العمل الاجتماعي ، غير قادرين على العمل الفكري، وعليه فمن الخير أن يشغل مثل هؤلاء بما يناسب استعدادهم وخبراتهم(١) .

إن العمل الإسلامي لا يكون إلا بالطريقة التي أمر بها الدين الحنيف والتي التزم بها الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ والتي تؤكد المسؤولية الشخصية في حمل أعباء الدعوة الإسلامية(٢) .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(٣) ، والرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان** »(٤) .

يتضح مما سبق أن الإسلام أمانة في أعناق المسلمين ، وليس ملكاً لأحدهم دون الآخر ، ومن الوفاء بالأمانة أن تؤدّى إلى جميع المسلمين وخاصة إلى من هو أقدر على القيام بها والحفاظ عليها ، وهو مغزى قول رسول الله ﷺ : «**ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه**»(٥) ، وقوله : «**رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس**

(١) القرضاوي ، الحل الإسلامي : ٢٢٢، ٢٢٣ .

(٢) جرار، الدعوة الإسلامية : ١٦٧ .

(٣) فصلت : ٣٣ .

(٤) مسلم : ١/ ٦٩ (كتاب الإيمان ـ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان) .

(٥) البخاري بحاشية السندي : ١/ ٢٣ (كتاب العلم ـ باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع).

ومسلم : ٣/ ١٣٠٦ (كتاب القسامة ـ باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال).

بفقيه»(١) .

إن الله سبحانه وتعالىٰ لا يعجز عن هداية الناس بغير أسباب ، لكن اقتضت مشيئته أن تكون هناك أسباب ، واقتضت مشيئته أن يكون هناك جهد معين يبذله البشر حتىٰ يغير الله حالهم إلىٰ الأحسن ، لا عجزاً من الله ، ولكن ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾(٢) .

فإذا نظرنا إلىٰ ساحة الدعوة خارج بلاد المسلمين ، حيث يوجد ملايين البشر ممن لا يزالون علىٰ فطرتهم ، أو ممن أصابتهم عدوىٰ الوثنية ، أو من أصحاب الديانات الأخرىٰ الذين يعانون من القلق ، ويبحثون عن معتقد تطمئن إليه نفوسهم ، هؤلاء حيارىٰ يلتمسون الضوء في ظلمات بعضها فوق بعض ، ولو أن دعوة الإسلام بلغتهم في خطاب يفهمونه ، وأسلوب حكيم يفتح الطريق الصحيح إلىٰ عقولهم ، وضمائرهم ، لكان لهم من الإسلام موقف آخر ، ولأصبحوا جنوداً مخلصين يستطيعون الدفاع عن الإسلام بما يملكونه من وسائل نشر الإسلام بين قومهم مما لا نملكه نحن في بلاد المسلمين (٣) .

ولا شك أنهم سيكونون أسوة حسنة ، وقدوة لغيرهم ، مما يكون من الضروري علىٰ المؤسسات الدينية المعنية بالدعوة أن يكون مجال عملها

---

(١) الترمذي : ٤/ ١٤١ (أبواب العلم ـ باب في الحث علىٰ تبليغ السماع) .
وأبو داود : ٣/ ٣٢٢ (كتاب العلم ـ باب فضل نشر العلم) .

(٢) هود : ٧ .

(٣) محمد حسين الذهبي ، مشكلات الدعوة والدعاة : ١٤٨ ـ مجلة المنهل ـ العدد : ٤٤٩ . الربيعان ١٤٠٧هـ/ نوفمبر وديسمبر ١٩٨٦م .

مقتصراً على العمل في مجال الدعوة إلى الدين الإسلامي، وعليها كذلك محاربة المبشرين بنفس سلاحهم، والمتمثل في إقامة العيادات والمستوصفات والمستشفيات والمدارس والمعاهد والجامعات وغير ذلك من وسائل التبشير (١) .

فما أحوج المسلمين اليوم إلى دعاة من الطراز الرفيع يفقهون الفكر الإسلامي الأصيل، ويفهمون روح الإسلام الصحيح، ويجلون عنه الصدأ والغبار، ويعيدونه كما أنزله الله منهجاً مثالياً للحياة الدنيا والآخرة، وتتبين الحاجة إلى ذلك من خلال أسلوبين:

الأول: نشر دعوة الله إلى الدين الإسلامي في تلك البقاع التي خلت من الدين، أو خف ميزان الدين عندها، في أوروبا وأمريكا على وجه خاص، وأن يسند ذلك لمن هم على جانب كبير من العلم والفطنة والذكاء، فإنهم في مواجهة عقول كبيرة مفكرة، كما يتطلب الدراية الكاملة بطبائع وأفكار ومشكلات هؤلاء المدعوين ومعرفة لغتهم حتى نضمن عدم الوقوع فيما ضرره أكبر من نفعه في هذا المقام، فإذا ما وجد هؤلاء المدعوين الإجابة الشافية المقنعة على تساؤلاتهم فإنه بلاشك سيفتحون لهذا الدين عقولهم، وقلوبهم، ويؤمنون به ويلقون مرسى سفينتهم المضطربة المائجة على شاطئه الأمين(٢) .

---

(١) محمود شيت خطاب، أهمية الدعوة : ٢٤ ، ٢٩ ـ مجلة المنهل ، العدد: ٤٤٩ .
الربيعان ١٤٠٧هـ/ نوفمبر وديسمبر ١٩٨٦م.

(٢) الخطيب ، الدعوة إلى الإسلام : ٦٤، ٦٥ .

الثاني : مواجهة التحديات الوافدة من الغرب والشرق في تهجمها على الإسلام ومحاولة تشويه حقائقه ، وإلقاء ظلال مزيفة من التهم عليه والتشكيك فيه ، حتى يتوقف أولئك الذين يبحثون عن الإسلام كدين يملأ الفراغ الديني الذي خلت نفوسهم منه .

ولا شك أن مثل هذا الأمر يحتاج إلى دراسة المذاهب المعاصرة ، ومعرفة أفكار واعتقادات الإنسان الذي يبث أفكاره وسمومه وتهجمه على الإسلام ، حتى يستطيع الداعية أن يناقش وأن يزيل الشبهات التي تحاك ضد هذا الدين القويم ، مما يتطلب إنشاء أجهزة متخصصة ، مسلحة بالإيمان ، ناذرة نفسها للدفاع عن دين الله ، محتسبة أجرها وثوابها على الله ، دون نظر إلى متاع الدنيا ، إنها وقفة في سبيل الله لا يقفها إلا من يتصف بالإيمان والقدرة وأولو العزم من الرجال(١) . وكم نحن محتاجون إلى علماء ، يعرفون كتاب الله تعالى ويهتمون بنتائج هذه الأفكار ، ثم يناقشون أصحاب المذاهب الضالة والأفكار المنحرفة ويبينون لهم بالحجج القاطعة أن كل ما هو حق لا يمكن أن يكون مخالفاً للإسلام، ومن ثم يربحون ثقتهم ويكونون قادرين على قيادتهم وإقناعهم (٢) .

---

(١) جعفر شيخ إدريس ، أساليب الدعوة ووسائلها ، ندوات - شريط كاسيت - إصدار تسجيلات التقوى الإسلامية - الرياض - رقم ٥٨٩١ ، ٥٨٩٢ .
والخطيب ، الدعوة إلى الإسلام : ٦٤ .

(٢) محمد حسن كاسولي ، الدعوة الإسلامية في أفريقيا : الطرق والأساليب والخطط : ٣١٨ - الدعوة الإسلامية : الوسائل . الخطط . المداخل - أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي - نيروبي : ٢٦/٦ - ١/٧/١٤٠٢هـ/ ٢٠ - ٢٤/ ٤/ ١٩٨٢م .

هذا إضافة إلىٰ مراعاة الدعاة للأسلوب الذي يتكلمون به ، فالوسيلة الأساسية هي التي كلما كانت أقرب إلىٰ الفطرة كلما كانت أحسن ، وكلما كانت أقرب إلىٰ اللغة العربية الفصيحة كان ذلك أحسن ، لكن ينبغي أن نراعي أحوال الناس ، سواء أكان في الأفكار أم في الأساليب[1] ، مع الاستفادة الكاملة بما ابْتُكِرَ من كافة وسائل الاتصال . فالدعوة الإسلامية ـ وأداتها الكلمة باختلاف سبل التعبير عنها ـ لا بد لها من تفكير جاد ودراسة وسائلها التقليدية لتطويرها من جهة ولتكملها بما استحدثه العصر من وسائل تلائمها حتىٰ تجعلها أكثر قدرة علىٰ النفاذ إلىٰ القلوب والعقول[2] ، من جهة أخرىٰ إن العودة إلىٰ الإسلام بما فيه من تكاليف البذل والتضحية والفداء يعيد إلىٰ المسلمين مكانتهم بين الأمم ، ويصون حقوقهم ، ويجعل منهم أمة يصعب قهرها ، كما يعيد إلىٰ بلادهم الأمن والاطمئنان والسلم ، والرخاء والسعادة ، وإلىٰ المسلمين الشخصية الإسلامية المتميزة ، وإلىٰ أفرادها نساءً ورجالاً الخلق الكريم والسلوك الرفيع ، وإلىٰ الأسرة الإسلامية علىٰ الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية التماسك والتعاطف والقوة والشرف .

إن الدعوة الإسلامية في الخارج تجعل للمسلمين إخواناً يشاركونهم آلامهم وآمالهم وطموحاتهم ، وتجعل من هؤلاء المسلمين الجدد حلفاء

---

(١) جعفر شيخ إدريس ، أساليب الدعوة ووسائلها ، ندوات ـ شريط كاسيت ـ إصدار تسجيلات التقوىٰ الإسلامية ـ الرياض ـ رقم ٥٨٩١ ، ٥٨٩٢ .

(٢) محمد حسين الذهبي ، مشكلات الدعوة والدعاة : ١٥٣ ـ مجلة المنهل ، العدد : ٤٤٩ . الربيعان ١٤٠٧هـ / نوفمبر وديسمبر ١٩٨٦م .

طبيعيين للمسلمين يتبنون أهداف المسلمين المشروعة بأمانة وإخلاص (١) .

هكذا نجد أن الدعوة إلىٰ الإسلام واجب ديني بنص القرآن والحديث، وواجب وطني ؛ لأن الذي يصبح مسلماً يدافع عن حقوق المسلمين بحماسة ويعتبر لغة القرآن لغة مقدسة .

إن الدعوة إلىٰ الإسلام واجب إنساني ؛ لأن الإسلام يرفع من قيمة الإنسان ويكرمه كما أنه يقتلع الشر من جذوره ويقضي علىٰ عوامل الفساد ، ويعمل علىٰ نشر الفضيلة والمحبة والسلام ، فنحن بحاجة إلىٰ نظرة شمولية ذات بُعد عالمي لمشكلات الإنسان المعاصر والإسهام الفعَّال في رفع المعاناة عن كل البشر ، دون تمييز في الدين أو اللون أو الجنس ، فحين يستقر السلم داخل الجماعات والشعوب الإسلامية فيحصل الأمان والاستقرار ؛ عند ذلك يسعىٰ الإسلام إلىٰ الأمم الأخرىٰ بهذا السلم في إقرار العلاقات السلمية وخاصة بين الأمم التي تؤمن بدين يحثها علىٰ طلب السلم والأمان .

---

(١) محمود شيت خطاب، أهمية الدعوة : ٢٨ ـ مجلة المنهل ، العدد: ٤٤٩ . الربيعان ١٤٠٧هـ/ نوفمبر وديسمبر ١٩٨٦م .

الفصل الثاني
مفهوم الجهاد وتشريعه

المبحث الأول : تعريف الجهاد .

المبحث الثاني : تشريع الجهاد .

المبحث الثالث : أدلة تشريع الجهاد.

المبحث الأول
تعريف الجهاد

أ ــ الجهــاد في اللغــة .

ب ـ الجهــاد في الاصــطلاح .

تعريف الجهاد

أ ـ **الجهاد في اللغة** : مصدر جاهد يجاهد مجاهدة وجهاداً ، وهو المشقة وبذل ما في الوسع والطاقة ، وهو مشتق من الجهد بضم الجيم بمعنىٰ الوسع والطاقة وبفتحها بمعنىٰ المشقة . وجاهدت العدو إذا قاتلته ، فهي صيغة مشاركة من الجهد ، وهو بذل الطاقة والمشقة ، أي استفراغ الوسع في مدافعة العدو (١) .

وتحمل كلمة جهاد في الإسلام أحد معانٍ ثلاثة :

١ ـ **جهاد النفس** : حيث يصارع الفرد نفسه بالقول والفعل إذا نزعت للشر ، وهو مقدم علىٰ جهاد الأعداء في الخارج ، إذ لا يستطيع المؤمن الخروج لمجاهدة أعدائه ما لم يكن مجاهداً لنفسه وشيطانه متغلباً علىٰ ملذاته وأهوائه(٢) .

٢ ـ **جهاد الشيطان** : هو دفع ما يأتي به من شكوك وشبهات ، وما يزينه من شهوات ، وما يسلكه من طرائق وأماني تُوقع الإنسان في شراكه ، وإن تظاهر بمظهر الناصح الأمين (٣) .

---

(١) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن : ١٠١ . والكاساني ، بدائع الصنائع : ٩/ ٤٢٩٩ ، والرازي ، مختار الصحاح : ١١٤ . وابن منظور ، لسان العرب : ٤ / ١٠٧ ـ ١١٠ . والزبيدي ، تاج العروس : ٢ / ٣٢٩ .

(٢) ابن القيم ، زاد المعاد : ٣ / ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١٢ .

(٣) المرجع السابق : ٣ / ٦ ، ٨ ، ١٠ .

٣ ـ جهاد العدو الظاهر : هو بذل الجهد في مقاتلة الأعداء ، لظروف أحاطت بالمسلمين [١] . وسيكون هذا المعنىٰ هو محور هذا البحث ، ومن ثم سينسحب هذا المعنىٰ علىٰ كلمة جهاد كلما ورد ذكرها في هذا البحث .

فكلمة جهاد إذن مصطلح إسلامي شامل للجهاد بالنفس والمال واللسان ، كما أنه قد يكون جهاداً للنفس والشيطان ومجاهدة العدو الظاهر من الكفار والفساق[٢] .

وهذه في مجملها ـ في نظر الإسلام ـ أعداء [٣] ، ويشملهم قوله تعالىٰ : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٥] .

ب ـ الجهاد في الاصطلاح :

ذكر فقهاء الشريعة تعريفات كثيرة للجهاد ، منها :

١ ـ تعريف الحنفية :

بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله عز وجل ، بالنفس والمال واللسان[٦] .

---

(١) المرجع السابق : ٣ / ٨ ، ١١ ، ١٣ .

(٢) انظر : الراغب الأصفهاني ، المفردات : ١٠١ . وابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٩ ، ١١ .

(٣) المرجع السابق : ٣/ ٧ .

(٤) الحج : ٧٨ .

(٥) التوبة : ٤١ .

(٦) الكاساني ، بدائع الصنائع : ٩ / ٤٢٩٩ .

أو هو : دعوة الكفار إلى الدين الحق وقتالهم إن لم يقبلوا (١) .

فالجهاد عند الحنفية هو : بذل الوسع بالدعوة إلى الله بالحجة ، ويكون بحماية الدعوة بالقتال في حالة عدم قبول إجابة الدعوة .

٢ ـ تعريف المالكية :

هو قتال مسلم كافراً غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله تعالى ، أو حضوره له أو دخوله أرض له (٢) .

فتعريف المالكية يشير إلى أن الجهاد عند إطلاقه لا يقع إلا على مقاتلة العدو الكافر لإعلاء كلمة الله تعالى .

٣ ـ تعريف الشافعية :

الجهاد أي القتال في سبيل الله مأخوذ من المجاهدة ، وهي المقاتلة لإقامة الدين ، وهذا هو الجهاد الأصغر ، وأما الجهاد الأكبر فهو مجاهدة النفس (٣) ، وقالوا : هو قتال الكفار لنصرة الإسلام (٤) .

---

(١) انظر : ابن الهمام ، شرح فتح القدير : ٤ / ٢٧٧ . وابن عابدين ، رد المحتار على الدر المختار : ٤/ ١٢١ .

(٢) الحطاب ، مواهب الجليل : ٣/ ٣٤٧ . وعليش ، شرح منح الجليل : ١ / ٧٠٧ .

(٣) الباجوري ، حاشية الباجوري على ابن قاسم الغزي : ٢/ ٤٣٧ . والسيد البكري ، إعانة الطالبين: ٤ / ١٨٠ .

(٤) الشرقاوي ، حاشية الشرقاوي : ٢ / ٣٩١ .

٤ ـ تعريف الحنابلة :

هو القتال وبذل الوسع فيه لإعلاء كلمة الله تعالىٰ [١] .

وذكر ابن قدامة [٢] أن لفظ القتال ورد علىٰ العموم ، فمن بلغته الدعوة فلا داعي لدعوته مرة أخرىٰ، فيقاتل أهل الكتاب والمجوس ولايدعون ؛ لأن الدعوة قد بلغتهم، وإن دُعوا فلا بأس ، ويدعىٰ عبدة الأوثان قبل أن يحاربوا [٣] .

نتيجة:

مما سبق يتبين لنا أن تعريفات الفقهاء للجهاد تعني أن القتال في الإسلام لايكون إلا في سبيل الله لنصرة الإسلام ، ولإعلاء كلمة الله تعالىٰ، ويكون ابتداء بالطرائق السلمية والدعوة إلىٰ الدين الحق، بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولا يكون القتال إلا بعد الدعوة والامتناع عن قبولها ، هذا بالإضافة إلىٰ جميع أنواع الجهاد التي يجب علىٰ المسلم أن يحققها في نفسه أولاً ثم في غيره .

قال ابن حجر العسقلاني [٤] : الجهاد بذل الجهد في قتال الكفار ،

(١) ابن النجار ، منتهىٰ الإرادات : ١ / ٣٠٢ .

(٢) أبو محمد ، موفق الدين ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي ، ولد عام ٥٤١هـ، بجماعيل من قرىٰ نابلس بفلسطين ، وتعلم في دمشق وتوفي بها عام ٦٢٠هـ ، له مصنفات كثيرة من أشهرها : المغني والكافي بالفقه . الذهبي : تهذيب سير أعلام النبلاء : ٣/ ١٩٩ ترجمه : ٥٥٨٠ . وابن العماد ، شذرات الذهب : ٣ / ٨٨ .

(٣) المغني مع الشرح الكبير : ١٠ / ٢٨٥ ، ٣٨٦ .

(٤) أبو الفضل شهاب الدين : أحمد بن محمد بن حجر الكناني العسقلاني المصري الشافعي ، أصله من عسقلان بفلسطين ، ولد بالقاهرة سنة ٧٧٣هـ ، من أئمة العلم ، علت =

ويطلق أيضاً على مجاهدة النفس والشيطان والفساق ، فأما مجاهدة النفس فعلى تعلم أمور الدين ، ثم على العمل بها ، ثم على تعليمها ، وأما مجاهدة الشيطان فعلى دفع ما يأتي به من الشبهات ، وما يزينه من الشهوات ، وأما مجاهدة الكفار فتقع باليد والمال واللسان والقلب ، وأما مجاهدة الفساق فباليد ثم اللسان ثم القلب(١) .

أما من يزعم بأن الجهاد في سبيل الله هو استخدام القوة المسلحة لإكراه الناس على الدخول في الإسلام ، فهذا أمر ترفضه العقول السليمة ، وهو كذب على الإسلام ؛ ذلك أن العقيدة لا يمكن أن تستقر في نفس إنسان مالم تقتنع بها النفوس عن روية وتفكر ، دون أن يلازم ذلك شيء من الضغط أو الإكراه ، فهو مبدأ الضرورة من أجل حماية الدعوة الإسلامية ، وتأمين حرية العقيدة والعبادة للناس جميعاً ، وإزالة العراقيل التي تحول دون سماع كلمة الحق وإيصالها إلى الخلق كافة .

استعمال علماء الشريعة لفظ الجهاد بدلاً من لفظ الحرب:

من هذا المنطلق لم يتناول علماء الشريعة الإسلامية في كتبهم لفظ الحرب؛ لما تحمله هذه الكلمة من معنى الصراع والعداء المسلح لتحقيق

= شهرته وقصده الناس للأخذ عنه ، رحل من أجل العلم إلى اليمن والحجاز وغيرهما ، له مصنفات كثيرة زادت على الخمسين بعد المائة ، منها : فتح الباري شرح صحيح البخاري والإصابة في تمييز الصحابة ، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، توفي بالقاهرة سنة ٨٥٢ هـ. ابن حجر ، تقريب التهذيب : ١/ك-ع . وابن العماد ، شذرات الذهب : ٧/ ٢٧٠ - ٢٧٣ .

(١) ابن حجر ، فتح الباري : ٦ / ٥ . والزرقاني ، شرح الموطأ : ٣ / ٢ . والشوكاني ، نيل الأوطار : ٨/ ٢٥ .

أغراض سياسية كالاستيلاء على ما يملكه الغير من موارد حيوية للابتزاز والتخريب ، وإنما عدل الإسلام عن استعمال لفظ الحرب إلى استعمال مصطلح الجهاد بديلاً عنها ، حيث يتضافر القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على أن الجهاد يقصد به في الجملة : إتعاب النفس في ذات الله تعالى في كل أمر ، وواضح أن هذا المعنى الشامل للجهاد يتفق تماماً مع المعنى اللغوي له ، إذ لا يخرج عن المعنى العام لمادة جهد في اللغة العربية ، والفقهاء يرون أن الجهاد هو بذل ما في الوسع والطاقة في مقاتلة العدو ، لإعلاء كلمة الله ، وهو ما يتفق أيضاً مع المفهوم العام لكلمة جهاد في اللغة العربية (١) .

---

(١) انظر : الراغب ، المفردات : ١٠١ . وابن منظور ، لسان العرب : ٣/ ١٣٥ .

المبحث الثاني
تشريع الجهاد في الإسلام

مراحـــل تشـريع الجـــهاد:

١ ـ مرحلة الصفح وعدم القتال .

٢ ـ مرحلة الإذن بالقتال.

٣ ـ مرحلة فرض القتال لمن قاتل المسلمين .

٤ ـ مرحلة فرض القتال لجميع الكفار ابتداءً.

تشريع الجهاد في الإسلام

يتخذ الإسلام في التشريع أسلوب التدرج المرحلي في الكثير من تشريعاته بهدف تهيئة النفوس لتقبل الأمر الشرعي .

وقد حمل النبي ﷺ مبادئ الإسلام وتشريعاته الأولى إلى عشيرته الأقربين ودعاهم إلى قبولها والإيمان به كرسول ونبي مرسل، وانسحب ذلك بطبيعة الحال على تشريع الحرب في الإسلام الذي تدرج على شكل أطوار متعاقبة تتشدد رويداً رويداً، والهدف تأديب العدو الذي يريد اقتلاع الإسلام من جذوره .

ولم يكن هناك ما يدعو إلى القتال ما دام أن الموقف يتلخص في دعوة تُعرض ، ونفوس تصدها أو تستجيب لها ، وقد مر تشريع الحرب في الإسلام في أربع مراحل :

١ ـ مرحلة الصفح وعدم القتال :

حينما كان الرسول ﷺ بمكة حيث ضراوة العدو وقلة النصير لم يكن القتال مأذوناً به ، وإنما هو الصفح والإعراض والتذرع بالصبر ، واستخدام الحجة والبرهان لدفع الأذى .

وبيان ذلك أن النبي ﷺ والمسلمين كانوا مأمورين بالعفو والصفح والإعراض عن الكفار ، والتزام الرفق واللين عند دعوتهم إلى الإسلام ،

ففي هذه المرحلة ورد النهي عن رد اعتدائهم وقتالهم [١] .

قال تعالىٰ : ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾ [٢] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [٣] . فالله سبحانه وتعالىٰ يقول لنبيه : افعل ما تؤمر وبلغ قومك ما أُرسلت به ، واكفف عن حرب المشركين بالله وقتالهم [٤] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [٥] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا** ﴾ [٦] .

وقال تعالىٰ : ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ** ﴾ [٧] . وهكذا أمر سبحانه نبيه محمد بإبلاغ رسالته إلىٰ الناس والصبر علىٰ أذىٰ المشركين بالله [٨] .

وفي هذه المرحلة كان الصحابة رضوان الله عليهم في مكة ، وكانوا

---

(١) السرخسي ، المبسوط : ١٠ / ٢. والإمام الشافعي ، الأم : ٤ / ١٦٠ . وابن تيمية ، السياسة الشرعية : ١٢٧ .

(٢) الأعراف : ١٩٩ .

(٣) الحجر : ٩٤ .

(٤) الطبري ، جامع البيان : ٧/ ٥٤٩ ، ٥٥٠ .

(٥) الزخرف : ٨٩ .

(٦) الأنعام : ٣٤ .

(٧) الروم : ٦٠ .

(٨) الطبري ، جامع البيان : ١٠ / ٢٠٠ .

يأتون إلىٰ النبي ﷺ وهم ما بين مضروب ومشجوج الرأس ، فيأمرهم بالصبر وعدم رد الاعتداء بقوله : « **لم أؤمر بعد بالقتال** » (١) .

وعن ابن عباس (٢) رضي الله عنهما أن عبد الرحمن بن عوف وأصحاباً له أتوا النبي ﷺ فقالوا : يا نبي الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة؟ فقال : « **إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم** » (٣) .

٢ ـ مرحلة الإذن بالقتال :

بعد أن استقر النبي ﷺ هو وأصحابه بالمدينة المنورة بعد الهجرة إليها من مكة المكرمة ، وازداد عدد المسلمين وقويت شوكتهم ، أذن الله لهم في القتال ، ولم يوجبه عليهم رداً للعدوان فقال تعالىٰ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (٤) . نزلت هذه

---

(١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٠ / ٢٧٧ .

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ ، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين ، كان يسمىٰ البحر من كثرة علمه ، لازم رسول الله ﷺ وروىٰ عنه الأحاديث ، توفي بالطائف سنة ٦٨ هـ بعد أن كف بصره .
ابن سعد ، الطبقات الكبرىٰ : ٢ / ٣٦٥ ، والذهبي ، تذكرة الحفاظ : ١/ ٤٠ . وابن حجر ، الإصابة : ٢/ ٣٣٠ .

(٣) النسائي ، سنن النسائي : ٦ / ٣ . كتاب الجهاد ـ باب وجوب الجهاد . والحاكم النيسابوري ، المستدرك علىٰ الصحيحين : ٢ / ٦٦ ، ٣٠٧ (كتاب الجهاد وكتاب التفسير) . والبيهقي ، السنن الكبرىٰ : ٩ / ١١ (كتاب السير ـ باب مبتدأ الإذن بالقتال) .

(٤) الحج : ٣٨ـ٤٠ .

الآيات في محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه حين أخرجوا من مكة ، واستقروا في المدينة ، وصارت لهم دار إسلام ومعقلاً يلجأون إليه ، حينئذ شرع الله قتال الأعداء ، فكانت هذه الآية أول ما نزل في ذلك (١) .

وهذه الآيات الكريمة توضح سبب القتال وتبين أن الكفار هم الذين أخرجوا المؤمنين من ديارهم بدون وجه حق ، إلا أنهم مؤمنون يوحدون الله ويصدقون رسوله الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما تدلّ تلك الآيات في نفس الوقت على أن الحرب ضرورة من ضرورات الحياة يُلجأ إليها لتقليم أظافر المفسدين في الأرض ، مثلها مثل قطع العضو المريض من الجسم محافظة على بقيته ، حتى لاينتقل المرض إلى الجسم كله . فكذلك شأن الأفراد والجماعات ، فلا بد من بتر الجماعة الظالمة المفسدة مادامتْ واقفة أمام الحق ، وليس أدل على ذلك من قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ... **وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا** ... ﴾ (٢) ، وكان ذلك عندما أصبح الأمر يتطلب قتال الكفار حيث أصبح هو السبيل الوحيد لإعلاء كلمة الله ، ولما كانت الأديان السماوية كلها ـ وإن اختلفت في نوع التشريع ـ ذات أصل واحد وهو عبادة الله سبحانه وتعالى وتوحيده ونبذ ما سواه من المعبودات فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصوامع التي للرهبان ، والبيع التي هي كنائس النصارى ، والصلوات التي هي كنائس اليهود ، والمساجد التي هي للمسلمين (٣) .

---

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٦٤٩ .

(٢) الحج : ٤٠ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٤ / ٦٥٠ .

وهذه الأماكن كلها هي أماكن العبادة التي يُذكر فيها اسم الله كثيراً .

٣ ـ مرحلة فرض القتال لمن قاتل المسلمين :

عندما ازدادت قوة المسلمين واستكمالهم لبعض استعداداتهم في العدد والعدة فرض الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ المسلمين قتال المعتدين الذين يقاتلونهم ونهاهم عن مقاتلة المسالمين لهم وأمرهم بالكف عنهم وتركهم علىٰ حالهم (١) .

قال تعالىٰ : ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾(٢) ، ولما نزلت هذه الآية كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله ، ويكف عمن كف عنه (٣) .

وقال تعالىٰ : ﴿ **إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً** ﴾(٤) ، والمعنىٰ إذا أظهر هؤلاء المنافقون كفرهم وقاتلوكم فاقتلوهم ، ومن دخل منهم في قوم بينكم وبينهم ميثاق فلهم من الأمان مثل ما لهؤلاء حسب العهد معهم مما يتوجب عليكم الكف عن قتالهم (٥) .

---

(١) الإمام الشافعي ، الأم : ٤ / ١٦١ .

(٢) البقرة : ١٩٠ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ١ / ٤٠٠ .

(٤) النساء : ٩٠ .

(٥) الطبري ، جامع البيان : ٤ / ١٩٩ ـ ٢٠١ .

٤ـ مرحلة فرض القتال لجميع الكفار ابتداءً :

في هذه المرحلة تحددت الأحكام النهائية في علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول ، فبعد أن اكتملت قوتهم واستعداداتهم وأصبحوا في وضع يمكنهم من تحقيق ما يريده الله سبحانه وتعالىٰ من إظهار دينه وإعلاء كلمته متىٰ احتاجوا إلىٰ ذلك في الوسائل السلمية إن نفعت وإلا بالقوة ؛ حينئذ جاء أمر الله بفرض قتال جميع الكفار ابتداء ليدخلوا في الإسلام عن قناعة أو يخضعوا لسلطانه بالعهد ؛ ليكون الدين كله لله ، قال تعالىٰ : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[(١)] ، هـذا أمر بقتال المشركين حتىٰ لا يكون شرك في الأرض ولا يُعْبَد إلا الله وحده لا شريك له ، ليرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض ، وحتىٰ تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره ؛ لأن المشركين وإن انتهوا عن القتال ، فإنه كان فرضاً علىٰ المؤمنين قتالهم حتىٰ يسلموا[(٢)] ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾[(٣)] ، وقال تعالىٰ : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾[(٤)] .

فهؤلاء لما كفروا بمحمد ﷺ لم يبق لهم إيمان صحيح بأحد من الرسل

---

(١) الأنفال : ٣٩ .

(٢) الطبري ، جامع البيان : ٦/ ٢٤٥ ، ٢٤٧ .

(٣) البقرة : ١٩٣ .

(٤) التوبة : ٢٩ .

ولا بما جاءوا به ، فهذه الآية الكريمة تعدُّ أول أمر بقتال أهل الكتاب ابتداءً بعد ما دخل الناس في دين الله أفواجاً ؛ ولذلك أمر الله رسوله بقتال أهل الكتابين ـ اليهود والنصارىٰ ـ وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة ، ولهذا تجهز رسول الله ﷺ لقتال الروم في غزوة تبوك ودعا الناس إلىٰ ذلك(١) .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله**»(٢) .

وقال أيضاً : « ... **وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال « أو خلال » فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ... فإن هم أبوا فسلهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم...**»(٣) .

وهكذا يتبين لنا أن الحرب في الإسلام لم تشرع إلا بعد هجرة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلىٰ المدينة ، وقبل الهجرة كان النبي في مكة مأموراً بالصبر والعفو والتزام الرفق ، ولم يأذن له المولىٰ جل علاه بالقتال إلا بعد أن قوي عود المسلمين ، وتكونت لهم في المدينة جماعة مؤمنة من

---

(١) الطبري ، جامع البيان : ٦/ ٣٤٩ . وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(٢) فتح الباري : ٣/ ٣٠٨ (كتاب الزكاة ـ باب وجوب الزكاة) .
ومسلم ، صحيح : ١/ ٥١ (كتاب الإيمان ـ باب الأمر بقتال الناس حتىٰ يقولوا لا إله إلا الله) .

(٣) المرجع السابق : ٣/ ١٣٥٧ (كتاب الجهاد ـ باب تأمير الإمام الأمراء علىٰ البعوث) .
و ابن ماجه، سنن : ٢/ ٩٥٣ ، ٩٥٤ (كتاب الجهاد ـ باب وصية الإمام) .

المهاجرين والأنصار يؤمنون بالرسالة الإسلامية ويأتمرون بأمر رسول الإسلام محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ حينئذ أُذِنَ له في القتال ، فلما ازداد المسلمون قوة فُرض عليهم قتال من قاتلهم دون أي تعرض لمن لم يقاتلهم ، حتىٰ إذا بلغ الغاية بعد غزوة بدر وأصر الناس علىٰ فسادهم وعنادهم فُرض القتال ابتداءً في بعض الأزمان ثم فُرض بعد ذلك في الأزمان كلها .

يقول الإمام الشافعي عن تدرج التشريع في القتال : « فأذن لهم بأحد الجهادين : بالهجرة قبل أن يُؤذن لهم بأن يبتدئوا مشركاً بقتال ، ثم أذن لهم بأن يبتدئوا المشركين بقتال » (١) .

وحول ذلك يقول السرخسي (٢) : « وقد كان رسول الله ﷺ مأموراً في الابتداء بالصفح والإعراض عن المشركين . قال الله تعالىٰ : ﴿ **فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ** ﴾ (٣) ، وقال تعالىٰ : ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾(٤) ، ثم أمر بالدعاء إلىٰ الدين بالوعظ والمجادلة بالأحسن ، فقال تعالىٰ : ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ... ﴾(٥) ، ثم أمر بالقتال إذا كانت البداية منهم فقال تعالىٰ : ﴿ **أُذِنَ**

---

(١) الأم : ٤/ ١٦٠ .

(٢) السرخسي ، محمد بن أحمد بن أبي سهل ، أبو بكر ، من فقهاء الحنفية من أهل سرخس في خراسان ، توفي سنة ٤٨٣هـ علىٰ الأرجح ، له تصانيف كثيرة؛ من أشهرها : المبسوط في الفقه ، وشرح السير الكبير . القرشي ، الجواهر المضية : ٣/ ٧٨ ترجمه : ١٢١٩ .

(٣) الحجر : ٨٥ .

(٤) الحجر : ٩٤ .

(٥) النحل : ١٢٥ .

للَّذينَ يُقَاتَلُونَ بأَنَّهمْ ظُلمُوا ﴾(١) ، أي أذن لهم في الدفع ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾(٢) ، وقال تعالىٰ : ﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾(٣) ، إلىٰ أن أمر المسلمين بالبداية بالقتال فقال تعالىٰ : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾(٤) ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾(٥)(٦) .

ويقول الزيلعي(٧) عن هذا التدرج ومشروعية الدفع بالقتال : « . . . ثم أُمر بالقتال ابتداءً في بعض الأزمان بقوله تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾(٨) ، ثم البداية مطلقاً في الأزمان كلها وفي الأماكن بأسرها بقوله تعالىٰ : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾(٩) . . إلىٰ غير ذلك من الآيات والأحكام المطلقة »(١٠) .

---

(١) الحج : ٣٩ .

(٢) البقرة : ١٩١ .

(٣) الأنفال : ٦١ .

(٤) البقرة : ١٩٣ .

(٥) التوبة : ٥ .

(٦) المبسوط : ١٠ / ٢ .

(٧) عثمان بن علي بن محجن ، فخر الدين الزيلعي ، من أهل زيلع بالصومال ، قدم إلىٰ القاهرة في سنة ٧٠٥هـ ، فقيه حنفي ، كان فاضلاً في مذهبه . درّس وأفتىٰ . توفي في القاهرة سنة ٧٤٣هـ، له مؤلفات ، من أشهرها : تبيين الحقائق في شرح كنز الدقائق في الفقه .

القرشي ، الجواهر المضية : ٢ / ٥١٩، ترجمه : ٩٢٥ . وابن حجر ، الدرر الكامنة : ٣ / ٦١ .

(٨) التوبة : ٥ .

(٩) البقرة : ١٩٣ .

(١٠) تبيين الحقائق : ٣ / ٢٤١ .

المبحث الثالث
أدلة تشريع الجهاد

أ ـ أدلة تشريع الجهاد من القرآن الكريم .

ب ـ أدلة تشريع الجهاد من السنة النبوية واجماع المسلمين .

أدلة تشريع الجهاد

أ ـ أدلة تشريع الجهاد من القرآن الكريم

١ ـ قال الله تعالىٰ : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

قال الطبري (٢) : هو علىٰ كل واحد حتىٰ يقوم به من في قيامه كفاية فيسقط فرض ذلك حينئذ عن باقي المسلمين كالصلاة علىٰ الجنائز وغسلهم ودفنهم ، وعلىٰ هذا عامة العلماء المسلمين(٣) .

وقال الفخر الرازي (٤) : والإجماع اليوم منعقد علىٰ أنه من فروض الكفايات ، إلا أن يدخل المشركون ديار المسلمين فإنه يتعين الجهاد حينئذ علىٰ الكل(٥) .

---

(١) البقرة : ٢١٦ .

(٢) أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبري ، مؤرخ ومفسر ، ولد بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٣١٠هـ ، له تصانيف كثيرة ، من أهمها : جامع البيان في تفسير القرآن ، وتاريخ الأمم والملوك.
الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ٢ / ٧١٠ . وابن العماد ، شذرات الذهب : ٢ / ٢٦٠ .

(٣) الطبري ، جامع البيان : ٤ / ٢٩٦ .

(٤) أبو عبد الله ، فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر القرشي البكري ، الطبري الأصل ، الرازي المولد ، ولد في الري سنة ٥٤٤هـ، وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ ، له مؤلفات كثيرة ، منها في التفسير : كتاب التفسير الكبير المسمىٰ مفاتيح الغيب .
الآسنوي ، طبقات الشافعية : ٢ / ١٢٣ . وابن العماد ، الشذرات : ٥/ ٢١ : ٦ / ٢٦ .

(٥) الفخر الرازي ، التفسير الكبير : ٦ / ٢٦ .

٢ ـ وقوله تعالىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ... انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١) .

قال الفخر الرازي : اعلم أن هذه الآية تدل علىٰ وجوب الجهاد في كل حالة ؛ لأنه تعالىٰ نصّ علىٰ أن التثاقل عن الجهاد أمر منكر ، ولو لم يكن الجهاد واجباً لما كان هذا التثاقل منكراً ، وليس لقائل أن يقول الجهاد إنما يجب في الوقت الذي يُخاف هجوم الكفار فيه ؛ لأنه ـ عليه السلام ـ ما كان يخاف هجوم الروم عليه ، ومع ذلك فقد أوجب الجهاد معهم (٢) .

وقال ابن كثير (٣) : يتعين الجهاد علىٰ من دعوا إليه فهو فرض عين بحقهم ، وفرض كفاية علىٰ من لم يستنفروا . وأن التكاسل عن جهاد الأعداء لمن استنفروا منذر بالعذاب الأليم (٤) .

(١) التوبة : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ .
(٢) الفخر الرازي ، التفسير الكبير : ١٦ / ٦٠ .
(٣) أبو الفداء ، عماد الدين ، إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع القرشي الشافعي ، أصله من البصرة ونشأ بدمشق ، حافظ مؤرخ فقيه ، ولد في قرية من أعمال بصرىٰ بالشام سنة ٧٠١هـ ، وتوفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ . من كتبه : البداية والنهاية ، وتفسير القرآن العظيم .
الحسيني ، ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي : ٥٧ . وابن العماد ، الشذرات : ٦ / ٢٣١ .
(٤) تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٤٠١ ، ٤٠٢ .

٣ ـ وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾(١) .

قال الطبري : وقاتلوا المشركين ، حتىٰ لا يبقىٰ شرك ، وتكون العبادة والطاعة لله وحده ، دون غيره من الأصنام والأوثان (٢) .

وقال الفخر الرازي : . . . لأن الله تعالىٰ أمر بقتالهم حتىٰ لا يكون منهم القتال الذي إذا بدأوا به كان فتنة علىٰ المؤمنين لما يخافون عنده من أنواع المضار(٣) .

٤ ـ وقال تعالىٰ : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾(٤) .

قال الطبري : فإنه يقول جلَّ ثناؤه وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعاً غير مختلفين كما يقاتلكم المشركون جميعاً مجتمعين غير متفرقين(٥) .

قال ابن كثير : هو أمر عام للمؤمنين جميعاً بقتال المشركين جميعهم ، فكما يجتمعون لحربكم أيها المؤمنون إذا حاربوكم فاجتمعوا أنتم أيضاً لهم إذا حاربتموهم بنظير ما يفعلونه بكم (٦) .

---

(١) البقرة : ١٩٣ .

(٢) الطبري ، جامع البيان : ٣/ ٥٧٠ ـ تحقيق محمود شاكر .

(٣) الفخر الرازي ، التفسير الكبير : ٥/ ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٤) التوبة : ٣٦ .

(٥) الطبري ، جامع البيان ١٤ / ٢٤١ ـ تحقيق محمود شاكر .

(٦) تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٣٩٧ .

٥ ـ وقال تعالىٰ : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ ...﴾(١) .

قال الطبري : أي قاتلوا أيها المؤمنون اليهود والنصارىٰ الذين لايؤمنون بالله ولا يصدقون بجنة ونار ، ولا يحرمون ما حرّمه الله في كتابه ولا يطيعون طاعة أهل الإسلام(٢) ، ففي ذلك وجوب قتال أهل الكتاب حتىٰ يسلموا أو يدخلوا في حكم الإسلام .

وقال الجصاص (٣) : ليس بعد الإيمان بالله ورسوله فرض آكد ولا أولىٰ بالإيجاب من الجهاد، وذلك أنه بالجهاد يمكن إظهار الإسلام ، وأداء الفرائض، وفي ترك الجهاد غلبة العدو ودروس الدين وذهاب الإسلام(٤) .

وقال الفخر الرازي : إن قوله : ﴿ قَاتِلُوهُمْ ﴾ يقتضي إيجاب قتال الكفار(٥) .

ب ـ أدلة تشريع الجهاد من السنَّة النبوية :

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم الفتح :

---

(١) التوبة : ٢٩ .

(٢) جامع البيان : ٦/ ٣٤٩ .

(٣) أحمد بن علي الرازي ، أبو بكر الجصاص الحنفي ، شيخ الحنفية في بغداد في عصره ، ولد ببغداد عام ٣٠٥هـ، وتوفي بها عام ٣٧٠هـ ، وله عدة مصنفات من أشهرها كتابه في التفسير أحكام القرآن. الذهبي ، تذكرة الحفاظ : ٣/ ٩٥٩ . وابن العماد ، شذرات الذهب : ٣/ ٧١ .

(٤) أحكام القرآن : ٣/ ١١٥ .

(٥) التفسير الكبير : ١٦/ ٣٠ .

«**لاهجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا** »(١) .

قال ابن حجر : فيه وجوب تعيين الخروج في الغزو على من عيَّنه الإمام(٢) .

٢ ـ وعن زيد بن خالد (٣) رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً في سبيل الله بخير فقد غزا**»(٤) .

حيث يدل الحديث على أن الغزو على الكفاية إذا قام به البعض وإن لم يكونوا من أهل الجهاد ، وحصلت الكفاية بهم ، سقط الوجوب عن الباقين .

---

(١) فتح الباري : ٦ / ٤٥ (كتاب الجهاد والسير ـ باب وجوب النفير ، الحديث : ٢٨٢٥) .
وصحيح مسلم بشرح النووي : ٨/١٣ (كتاب الإمارة ـ باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير) .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٦ / ٤٧ .

(٣) زيد بن خالد الجهني المدني ، صحابي شهد الحديبية ، وكان معه لواء جهينة يوم الفتح ، توفي في المدينة عام ٧٨ هـ عن ٨٥ سنة ، وقيل : توفي بالكوفة في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان .
ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٤ / ٣٤٤ . وابن حجر ، تقريب التهذيب : ١ / ٢٧٤ .
وابن العماد ، شذرات الذهب : ١ / ٨٤ .

(٤) فتح الباري : ٦ / ٥٩ (كتاب الجهاد والسير ـ باب فضل من جهز غازياً . . .) .
ومسلم : ٣ / ١٠٥٧ (كتاب الإمارة ـ باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله . . .) .
ومسلم بشرح النووي : ١٣ / ٤٠ (كتاب الإمارة ـ باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله . .) .

٣ ـ وعن أنس بن مالك (١) رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال : «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»(٢) .

والحديث فيه دلالة على الأمر بالجهاد بكل ما أمكن الجهاد به ، والنص واضح الدلالة على حض المسلمين على الجهاد ، وأنهم يأثمون بتركه ؛ لأن الصيغة وردت بصيغة الأمر، وظاهر الأمر الوجوب(٣) .

٤ ـ وعن أبي هريرة (٤) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**من مات ولم يَغْزُ ولم يُحدِّث نفسه بغزو ، مات على شعبة من نفاق**»(٥) .

---

(١) أبو حمزة ، أنس بن مالك بن النضر الأنصاري النجاري ، ولد بالمدينة قبل الهجرة بعشر سنين ، أسلم صغيراً ، وخدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قبض ، محدّث وراوية ، وهو من المكثرين للحديث، مات في البصرة سنة ٩٣ هـ ، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة .

ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٧ / ١٧ . وابن العماد ، شذرات الذهب : ١ / ١٠٠ .

(٢) سنن أبي داود : ٣ / ١٠ (كتاب الجهاد ـ باب كراهية ترك الغزو) .

وسنن النسائي : ٦ / ٧ (كتاب الجهاد ـ باب وجوب الجهاد) .

(٣) المرجع السابق .

والشوكاني ، نيل الأوطار : ٨ / ٢٩ .

(٤) عبد الرحمن بن صخر الدوسي الملقب بأبي هريرة ، ولد نحو سنة ١٩ ق هـ ، من الصحابة المكثرين للحديث حفظاً وروايةً له ، وولي إمرة المدينة ، واستعمله عمر على البحرين ، توفي بالمدينة المنورة سنة ٥٩هـ، وقيل سنة ٥٧ هـ ، وقيل سنة : ٥٨هـ وهو ابن ثمان وسبعون سنة .

ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٤ / ٣٢٥ . والذهبي ، تذكرة الحفاظ : ١ / ٣٢ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي : ١٣ / ٥٦ (كتاب الإمارة ـ باب ذم من مات ولم يغزو . . .) . =

والحديث فيه دلالة على ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو. مما يدل على التشديد في ترك الجهاد، فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق (١).

٥ ـ وعن أبي سعيد الخدري (٢) ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً إلى بني لحيان (٣) من هذيل فقال: « **ليخرج من كل رجلين رجل، ثم قال للقاعدين أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر الخارج** ». وفي رواية: «**لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما**»(٤).

حيث أوجب الرسول ﷺ الخروج على البعض دون الآخر (٥)، مما يدل أن الجهاد ليس فرضاً على الأعيان وإنما هو فرض على الكفاية.

= وسنن أبي داود: ٣ / ١٠ (كتاب الجهاد ـ باب كراهية ترك الغزو).
وسنن النسائي: ٦ / ٨ (كتاب الجهاد ـ باب التشديد في ترك الجهاد).

(١) النووي، شرح صحيح مسلم: ١٣ / ٥٦.

(٢) سعد بن مالك بن سنان الخدري، الأنصاري، الخزرجي، أبو سعيد، صحابي من المكثرين رواية للحديث، ولد سنة ١٠ ق هـ، كان من فقهاء الصحابة، شهد الخندق وبيعة الرضوان، وغيرهما، وتوفي سنة ٧٤ هـ.
الذهبي، تهذيب سير أعلام النبلاء: ١ / ٩٢، ترجمه: ٢٦٠.
وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة: ٢ / ٣٥، ترجمه: ٣١٩٦.

(٣) بطن من قبيلة هذيل من خندف من مضر. السويدي، سبائك الذهب: ٢٣.

(٤) الإمام أحمد، المسند: ٣ / ٤٩، ٥٥، ٩١. ومسلم بشرح النووي: ١٣ / ٤٠، ٤١ (كتاب الإمارة ـ باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله).

(٥) النووي، شرح صحيح مسلم: ١٣ / ٤٠.

جـ ـ اجماع المسلمين حول تشريع الجهاد:

فقد أجمع الصحابة وفقهاء المسلمين على مشروعية الجهاد ، وطبق الصحابة ذلك عملياً [١] ـ كما سبقت الإشارة إليه ـ .

بهذه الأدلة يتأكد وجوب الجهاد على المسلمين لإعلاء كلمة الله وبيان الحق وعدم التخلي عنه ، لتسود مبادئ العدل والخير والفضيلة ؛ لأن الإسلام في الواقع هو الرسالة الإصلاحية الكبرى، التي لا بد منها لصالح الشعوب كلها ، فالمسلمون الذين أعزهم الله بالإسلام ، إذا تخلوا عن الجهاد في سبيل الله تتخلى عنهم العناية الإلهية ويضربون بعصا الذل والمسكنة ، فيقعون فريسة لأعدائهم فيستعبدونهم ويفتنونهم في دينهم[٢] .
قال الله تعالى : ﴿ **إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[٣] . فقوله : ﴿ **يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ أي في الدنيا باستيلاء العدو عليكم، وبدخولكم النار في الآخرة[٤] .

---

(١) ابن قدامة ، المغني والشرح الكبير : ١٠ / ٣٧٣ ، ٣٧٤ .
وابن كثير ، البداية والنهاية : ٦/ ٣٤٢، الطبعة الأولى ، بيروت : مكتبة المعارف، ١٩٦٦م.
وابن حجر ، فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٦ / ٤٤ ، ٤٥ .
والهيتمي ، تحفة المحتاج : ٩ / ٢١٢ .
والباجوري ، حاشية الباجوري على شرح ابن قاسم الغزي : ٢ / ٢٦١ .
(٢) القادري، الجهاد في سبيل الله: ٢ / ٥٠٢ . وأبو لبابة ، الإسلام والحرب : ٣٢، ٣٣.
(٣) التوبة : ٣٩ .
(٤) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ١٤٢ .

الفصل الثالث
تطبيقات إسلامية للجهاد في العهد النبوي

المبحث الأول : الأسس التي قامت عليها الدولة الإسلامية الناشئة .

المبحث الثاني : حروب الرسول ﷺ مع المشركين .

المبحث الثالث : حروب الرسول ﷺ مع اليهود .

المبحث الرابع : حروب الرسول ﷺ مع النصارى .

المبحث الخامس: نظرة عامة حول الحروب في العهد النبوي.

المبحث الأول
الأسس التي قامت عليها الدولة الإسلامية الناشئة

الأسس التي قامت عليها الدولة الإسلامية الناشئة

عمل الرسول ﷺ منذ مقدمه المدينة المنورة على تأسيس الدولة الإسلامية الوليدة، فقضى على العداوات التي استحكمت فترة طويلة من الزمن بين قبيلتي الأوس والخزرج، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار ليكونوا جميعاً أمة إسلامية واحدة يربط بين أفرادها الحب والمؤاخاة في الإسلام، وفي هذا دلالة صريحة على أن بناء الدولة والنهوض بها لا يتم إلا على أساس من التآخي والتآلف والوحدة بين أفرادها، مع تطبيق المساواة والعدالة بين الجميع، حتى يصبح المجتمع الإسلامي قادة وشعوباً وحدة متكاملة كالجسد الواحد مصداقاً لقول الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام -: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(١). وكما قال - عليه الصلاة والسلام -: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»(٢)، ففي هذين الحديثين المنهج الصحيح في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم حيال بعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه.

وبعد أن استقرّ النبي ﷺ في المدينة، وضع عهد تعاون وحسن جوار بين المهاجرين ومن تبعهم ولحق بهم والأنصار من جهة، وبين اليهود الذين كانوا يوجدون في المدينة من جهة أخرى، وقد نظمت هذه المعاهدة كل

(١) صحيح مسلم: ٤/ ١٩٩٩ (كتاب البر والصلة والآداب - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم).

(٢) المرجع السابق.

نواحي المجتمع في حالة السلم والحرب ، وحرم فيها الاعتداء، وأكدت حرمة الدماء والأموال ، وضمنت هذه الوثيقة حرية العقيدة ونحو ذلك مما ينظم صلات المسلمين مع بعضهم ، وصلاتهم بغيرهم كأمم متجاورة ، وأوجبت الالتزام بالتعاون والتضامن لدرء العدوان الخارجي(١) .

هكذا مد الرسول ﷺ يد المسالمة لليهود وعاهدهم على العيش في أمن وسلام وحسن جوار ، وكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ وفياً بعهده معهم ، كفل لهم حريتهم وأعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقيدتهم .

وبعد أن وضع الأسس العادلة لبناء الدولة الإسلامية ، وقعت بعض الغزوات والسرايا، وخرج الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في بعضها على رأس المسلمين ، وعين بعض أصحابه قادة على بعضها الآخر ، ولم يقع قتال في هذه المرحلة بين المسلمين وأعدائهم غير أنه كانت هناك بعض المناورات العسكرية التي وقعت بين المسلمين والمشركين دون قتال، وقد وادع الرسول ﷺ والمسلمون بعض القبائل المجاورة للمدينة على العيش في سلام مثل قبيلة بني مدلج وحلفائهم من بني ضمرة وغيرهم(٢) .

ومن الملاحظ في هذه المرحلة أنه بالرغم من أن القتال كان مأذوناً فيه وليس بواجب فإنه لم يقع صراع مسلح بين المسلمين وأعدائهم من المشركين، وكان الغرض من هذه الغزوات والسرايا ، العمل على كونها

---

(١) الزحيلي ، آثار الحرب : ٣٥٢ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٢/ ٢٤١، ٢٤٩ .

عامل ردع بهدف حماية المدينة وتأمين سلامة المسلمين بها دون أن يكون هدفهم القتال؛ ذلك أنه لم يكن مع أفراد السرايا من العتاد ما يشجعهم على الحرب ، كما أن القتال لم يكن مأموراً به في تلك الأيام ، وما كان المسلمون يريدون إشعال نار الحرب بينهم وبين كفار قريش ، فقد تجنبوا ذلك ثلاثة عشر عاماً؛ عاشوها في مكة في صبر وتحمل لما لحق بهم من أذى قريش ؛ وإنما كان الغرض من وراء ذلك تأمين المدينة ، وإظهار مقدرة المسلمين وبيان أن لهم قوة تحميهم من كل من تسول له نفسه الاعتداء عليهم، وأن الوقت الذي كانت قريش تعتدي فيه على المسلمين وهي في مأمن من المعاملة بالمثل وردّ الاعتداء وأخذ الحق قد انتهى ، فمن حق المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم بالسلاح ، وكذا دراسة جغرافية الأرض التي هي مسرح العمليات الحربية، وإعلام القبائل المجاورة للمدينة ، وكذا اليهود المقيمين بها أن علاقة المسلمين بهم هي علاقة حسن جوار والتعايش فيما بينهم ما لم ينقضوا عهدهم مع المسلمين ، أو يفكروا في الاعتداء عليهم ، وفي ذلك تحقيق لأهداف الرسالة الإسلامية التي تنطوي على أرفع المعاني السلمية والآداب الإنسانية وحقن الدماء[1] ، قام الرسول الكريم بإرسال السرايا التي حققت الفوائد الكثيرة للمسلمين ، وفي هذا دليل على ضرورة الاهتمام بتدريب المسلمين ، وإعدادهم للقتال، ودراسة جغرافية الأرض، والوقوف على أخبار العدو لتأمين سلامة الدولة ، وإشعار الأعداء بأن المسلمين على استعداد دائم وإصرار على الجهاد من أجل الدفاع عن حقوقهم ، وديارهم ، ودعوتهم ، والتصدي لمن يقف في سبيل انتشارها .

---

(١) محفوظ، المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية : ٥١ .

لقد قامت الدولة الإسلامية في المدينة على أساس دستوري متين، فقد رسم النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ السياسة الداخلية والخارجية للمجتمع الإسلامي الجديد، فبين العلاقة بين أفراد المجتمع الإسلامي على الإخاء والمحبة والتفاهم، وأن علاقة المسلمين بغير المسلمين قائمة على أساس شرع الله وعدله الذي يقضي بالتعايش السلمي بين جميع أفراد بني الإنسان ما لم يعتدي أحد على الآخر؛ لأن المجتمع الإنساني كله يمثل مجتمعاً واحداً؛ ذلك أن الناس جميعاً من أصل واحد، لهم رب واحد .

وأن في عقده ـ عليه الصلاة والسلام ـ المعاهدات بين المسلمين واليهود المقيمين في المدينة ، وكذا القبائل المجاورة لها ، له خير دليل على أن الإسلام يدعو إلى السلم الشامل، ويحترم حسن الجوار ، انطلاقاً من أنه لا سبيل لنشر الإسلام في العالم وإقامة العدل والمساواة بين الأمم والشعوب من سائر الأجناس إلا بتطبيق مبادئ الإسلام وآدابه التي لا تفرق بين إنسان وآخر بسبب الجنس أو اللون أو الدين أو الحسب والنسب، ولا تعرف أي لون من ألوان العنصرية بين بني البشر .

عاش المسلمون في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يجاهدون بالصبر والعفو والصفح الجميل، وتحمل الأذى دون إذن في القتال ورد الاعتداء أو أمر به ، وبعد هجرة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى المدينة المنورة أذن الله للمسلمين بالقتال، فكان القتال مأذوناً فيه غير مأمور به منذ هجرة النبي ﷺ إلى المدينة حتى غزوة بدر الكبرى حيث نزلت أول آية على رسول الله ﷺ تحمل الإذن بالقتال في قوله تعالى : ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ**

﴿...اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[١] ، فكانت بذلك أول آية نزلت في الإذن بالقتال ، وكان نزولها في المدينة بعد الهجرة ، وقبل غزوة بدر ولم يكن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمكة [٢] ، فلما انتهت غزوة بدر بنصر الله للمسلمين انتقل الصراع بين المسلمين والمشركين إلىٰ مرحلة لم يعد الإذن في القتال كاف بل أصبحت فريضة الجهاد من الأمور الواجبة علىٰ المسلمين ليستطيعوا مواجهة التطور الذي سيحدث في هذه المرحلة من الصراع بينهم ، وبين قريش ، فكان أن نزلت سورة الأنفال عقب غزوة بدر بما تحمله من آداب وتوجيهات للمسلمين كوجوب إعداد وتهيئة العدة مع المحافظة علىٰ الروح المعنوية للمقاتلين والصبر والثبات في ميدان القتال[٣]، وغير ذلك مما تضمنته هذه السورة من توجيهات للمسلمين فيما يتعلق بأمر جهادهم الأعداء ، وذلك مثل قوله تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٤] ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ...﴾[٥] . بهذه الآيات الكريمة وغيرها . أصبح الجهاد فرضاً علىٰ الجميع يثاب من قام به ويعاقب من تخلف عنه بغير عذر ، وعلىٰ المسلمين أن

---

(١) الحج : ٣٩ .

(٢) ابن تيمية ، السياسة الشرعية : ١٢٧ .

وابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٧٠ ، ٧١ .

وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٤/ ٦٤٨ .

(٣) المرجع السابق : ٣/ ٢٧٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٨ . .

(٤) الأنفال : ٤٥ .

(٥) الأنفال : ٦٠

يعدوا عدتهم لرد اعتداءات المعتدين وكسر شوكة كل من تسول له نفسه التصدي للدعوة الإسلامية، أو إيذاء أصحابها ، وأن يأخذوا حذرهم لرد أي اعتداء يوجه إليهم .

إن الدفاع عن العقيدة لم يكن بالشيء الجديد أو المستحدث لنشر الدعوة الإسلامية ، فقد لجأت إليه الأمم السابقة ، ففي غزوة أحد نزل قوله تعالىٰ : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾(١) .

والمعنىٰ : وكم من نبي قاتل معه جماعات كثيرة فما ضعفت نفوسهم لما أصابهم من البلاء والكرب والشدة والجراح ، وما ضعفت قواهم عن الاستمرار في الكفاح ، وما استسلموا للجزع ولا للأعداء ، فما وهنوا عند قتل النبي وماضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو(٢) .

هذا هو شأن المؤمنين المكافحين عن العقيدة، جاء في تفسير القرطبي(٣) أن معنىٰ الآية تشجيع المؤمنين ، والأمر بالاقتداء بمن تقدَّم من خِيار أتباع الأنبياء، أي كثير من الأنبياء قُتِلَ معه رِبِّيون كثيرون ، أو كثير من الأنبياء قتلوا فما ارتدت أممهم .

وجاء في تفسير الخازن : وكأين من نبي قاتل معه جموع كثيرة ، فما وهنوا : أي جبنوا عن الجهاد في سبيل الله بما نالهم من ألم الجراح وقتل

---

(١) آل عمران : ١٤٦ .

(٢) الزمخشري، الكشاف : ١/ ٤٦٩ .

(٣) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٤/ ٢٢٩ ، ط ٣ ، دار الكاتب العربي ، ١٣٨٧هـ.

الأصحاب ، وماستكانوا ، أي : وما استسلموا ، وما خضعوا لعدوهم ، ولكنهم صبروا على أمر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم ، وهذا تعريض بما أصابهم يوم أحد من الوهن والإنكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله ﷺ وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم حين أرادوا أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي ؛ وذلك في طلب الأمان من أبي سفيان ، والمقصود من الآية سرد ما جرى لسائر الأنبياء واتباعهم لتقتدي هذه الأمة بهم ، وترغيب الذين كانوا مع رسول الله ﷺ في الجهاد ، والله يحب الصابرين : أي في الجهاد ، والمعنى أن من صبر على تحمل الشدائد في طلب الآخرة ولم يظهر الجزع والعجز ، فإن الله تعالى يحبه ، ومحبة الله للعبد تعني إرادة إكرامه وإعزازه وإيصال الثواب له وإدخاله الجنة مع أوليائه وأصفيائه [١] .

ويقول ابن كثير : إن الله عاتب بهذه الآية وهي : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ إلى قوله : ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[٢] والتي قبلها وهي قوله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[٣] عاتب الله بهذه الآيات من انهزموا يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا صوت من يصيح قائلاً بأن محمداً قد قتل ، فعاتبهم الله على فرارهم وتركهم القتال[٤] .

---

(١) الخازن، لباب التأويل : ١/ ٤٠٦ .

(٢) آل عمران : ١٤٦ .

(٣) آل عمران : ١٤٤ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ١٢٤ .

وللعلماء في قوله تعالىٰ : ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ رأيان ، ومرجع ذلك إلىٰ اختلافهم في قراءتهم للآية :

الرأي الأول:

قُرِأت كلمة قاتل بلفظ قُتل بضم القاف ، وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ واحداً من ثلاثة :

المعنى الأول : أن القتل راجع على النبي وحده . وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ أن كثيراً من الأنبياء قتلوا ، والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم ، وما استكانوا ، بل استمروا علىٰ جهاد عدوهم ونصرة دينهم ، فكان ينبغي لكم أن تكونوا مثلهم .

المعنى الثاني : أن القتل نال النبي وبعض من معه من الربيين ، وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ : وكأين من نبي قتل وبعض من كان معه ، فما ضعف الباقون بقتل من قُتل من إخوانهم ، بل مضوا علىٰ جهاد عدوهم ، فكان ينبغي لكم أن تكونوا كذلك .

المعنى الثالث : أن القتل نال الربيين لا النبي ، وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ ، وكأين من نبي قتل كثير من الربيين الذين آمنوا به وقاتلوا معه ، فما وهن الباقون ، وما ضعفوا لما أصابهم من قتل إخوانهم .

الرأي الثاني :

قرِأ لفظ قاتل بفتح القاف ، وعلىٰ هذا يكون المعنىٰ ، وكأين من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فأصابهم من عدوهم قروح وجراحات ، فما وهنوا لما أصابهم ، بل استمروا علىٰ جهاد عدوهم ؛ لأن الذي أصابهم ،

إنما هو في سبيل الله وطاعته وإقامة دينه ونصرة نبيه ، فكان لكم أن تفعلوا مثل ذلك يا أمة محمد .

وحجة هذه القراءة ، ما روي عن سعيد بن جبير [١] أنه قال : ما سمعنا أن نبياً قتل في القتال ، وربيون بكسر الراء منسوب إلىٰ الرِّبة بكسر الراء وضمها مفردة رُبِىٰ بكسر الراء وضمها . وربيون بكسر الراء منسوب إلىٰ الرب وهم الربانيون نسبوا إلىٰ التأله والعبادة ومعرفة الربوبية لله تعالىٰ .

وقد اختلف العلماء في المراد بقوله تعالىٰ : ﴿رِبِّيُّونَ﴾ .

قال مجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة وابن عباس : الربيون ، الجماعة الكثيرة .

وقال ابن مسعود : الربيون ، الألوف الكثيرة .

وقال الحسن : الربيون ، هم العلماء الصُّبَّر : أي أبرار أتقياء .

وقيل الربية الواحدة عشرة آلاف ، وقيل ألف .

وقيل الربيون ، هم الأتباع [٢] .

---

(١) أبو عبد الله ، سعيد بن جبير الأسدي بالولاء ، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد ، تابعي ، عالماً متمكناً من فنون العلم ، ولد سنة ٤٥هـ ، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر ، سكن الكوفة ، كان مقرئاً ، فقيهاً ، مفسراً ، محدثاً ، مفتياً ، قتله الحجاج بواسط سنة ٩٥هـ ، وله من العمر تسع وأربعون سنة وقيل : خمسون .
ابن سعد ، الطبقات : ٦/ ٢٥٦ ، وابن العماد ، الشذرات : ١/ ١٠٨ .

(٢) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٤/ ٢٣٠ .
والخازن ، لباب التأويل : ١/ ٢٨٤ .
وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ١٢٤ ، ١٢٥ .

وبعد أن نهى الخالق سبحانه وتعالى ، الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن آمن برسالته عن القتال ، وعدم استخدام القوة ضد الكفار خلال المرحلة المكية ، لم يبق من سبيل أمام الرسول ﷺ وأصحابه المؤمنين لمجاهدة الكفار والمشركين إلا بالعلم والحجة والبيان التزاماً وتمسكاً وتنفيذاً لأمر الله تبارك وتعالى في قوله تعالى : ﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾(١) ، أي يجب مجاهدة الكفار بالقرآن وما ورد فيه من الحق والفرقان ، وتفنيد ما هم عليه من ضلالة الجاهلية ، والعقائد الوثنية ، والقيم المنحطة ، والأخلاق الفاسدة (٢) ، لذلك خاض الرسول محمد بن عبد الله ﷺ ، ومن آمن معه من المؤمنين معارك ضارية قاسية شرسة ضد الجاهلية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني ، لأن النتيجة التي ستتمخض عنها معارك الحق ضد الباطل ، والإيمان ضد الكفر ، والخير ضد الشر ، ستكون الأساس القوي الذي ستبنى عليه مراحل الحروب الجهادية الإسلامية فيما بعد(٣) ، وبعد أن توفرت لهم الإمكانات المادية والبشرية والمعنوية لتحقيق الهدف وبلوغ الغاية التي هاجروا من أجل تحقيقها ، وبعد أن أصبح بإمكان النبي الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه أن يستخدموا القوة المادية ضد أعداء الله وأعدائهم من الكفار والمشركين ، وبعد أن رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ، وبعد هذا كله أذِنَ الله لهم بالقتال .

---

(١) الفرقان : ٥٢ .

(٢) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٥/ ١٥٧ ـ ١٥٩ .

(٣) الجبوري ، الجهاد في سبيل الله : ١/ ٥٨ .

يقول ابن القيم : «فلما استقرَّ رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة ، وأيده الله بنصره بعباده المؤمنين الأنصار وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم ، فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر ، وبذلوا نفوسهم دونه ، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج ، وكان أولى بهم من أنفسهم ، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب ، والله سبحانه وتعالى يأمرهم بالصبر والعفو والصفح ، حتى قويت الشوكة ، واشتدَّ الجناح ، فأذن لهم حينئذ في القتال»(١) .

وآية الإذن بالقتال كانت بداية الأمل في انفراج الأزمة ، وظهور المؤمنين ، واستعلاء الإسلام على ما سواه من أديان الجاهلية ومعبوداتها ، ومنع الفساد في الأرض وتمكين عباد الله من عبادته ، والجهاد في سبيل الله ليس إعلاناً لتحرير الإنسان العربي وحده ، أو رسالة خاصة بالعرب أو المسلمين دون غيرهم ، وإنما الجهاد في سبيل الله ، يعني الإنسان بكينونته كإنسان في كل زمان ومكان ؛ لأن الخالق جل وعلا ليس رباً للعرب وحدهم ، ولا للمسلمين وحدهم ، ولكن الله هو رب العالمين كافة ، ودين الإسلام هو دين الله الذي ارتضاه للبشر جميعاً(٢) .

لا يلجأ الإسلام للحرب إلا لمقاومة البغي والظلم والعدوان ، ولذلك يرفض الإسلام الأسباب التي تدفع إلى الحرب ، ويستبعد ألواناً منها مثل تلك التي يثيرها حب الأمجاد الزائفة للملوك والقادة ، أو حب المغانم

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) الجبوري ، الجهاد في سبيل الله : ١/ ٦٣ ، ٦٦ .

الشخصية ، أو الرغبة في السلب والنهب ، والتخريب باسم الاستعمار ، أو التي تثيرها العصبية ، ذلك أن الحرب المشروعة في الإسلام هي التي أشار إليها النبي الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينما سُئِلَ : الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذِّكْر والرجل يقاتل ليُرىٰ مكانه ، فأي ذلك في سبيل الله ؟ قال ﷺ : «**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**»(١) .

إذن فالحرب الوحيدة التي يقرها الإسلام هي التي تقوم لتكون كلمة الله هي العليا (٢) .

لقد حدد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ الحرب في دائرة الحق والعدل والدعوة إلىٰ الإسلام، وما عدا ذلك من أنواع الحروب فغير جائز في الإسلام .

وقد نهىٰ الرسول ﷺ عن الرغبة في الحرب وتمنيها مع العدو فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «**لا تتمنوا لقاء العدو ، وسلوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا**»(٣) ، وقال لعلي بن أبي طالب في غزوة خيبر ، عندما أعطاه الراية : «**...ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم ، فو الله لأن**

---

(١) صحيح البخاري بحاشية السندي : ٢/ ١٣٩ (كتاب الجهاد والسير ـ باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا) .

وصحيح مسلم : ٢/ ١٥٦ (كتاب الإمارة ـ باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).

(٢) سيد قطب، السلام العالمي والإسلام : ٢١ ـ ٢٣ .

(٣) فتح الباري : ٦/ ١٤٠ ، ١٨١ (كتاب الجهاد والسير ـ باب رقم ١١٢ ، ١٥٦) .

وصحيح مسلم : ٣/ ١٣٦٢ (كتاب الجهاد والسير ـ باب كراهية تمني لقاء العدو . . .) .

يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[١] ، مما يدل على أن الحرب هي آخر ما يُلجأ إليه لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله وأنها ليست مقصودة لذاتها إلا ضد من حال دون نشر هذه الدعوة أو اعتدى على المؤمنين بها والداعين إليها .

مما تقدم يتبين لنا أنه لم يكن في يوم من الأيام من أغراض الحرب في الإسلام إكراه أحد على الدخول في الإسلام ، ولم يحاول المسلمون ذلك في أي وقت من الأوقات .

يؤكد القرآن الكريم هذه الحقيقة بصورة لا تدع مجالاً للشك بأن الإسلام لايجبر أحداً من الناس على عقيدة لا يؤمن بها ، قال تعالى : ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[٣] . وقال تعالى مخاطباً الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**﴾[٤] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿**فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ**﴾[٥] ، وقال تعالى : ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[٦] .

---

(١) البخاري بحاشية السندي : ٢/ ١٧١ (كتاب الجهاد والسير ـ باب فضل من أسلم على يديه رجل) .

(٢) الكهف : ٢٩ .

(٣) البقرة : ٢٥٦ .

(٤) ق : ٤٥ .

(٥) آل عمران : ٢٠ .

(٦) يونس : ٩٩ .

تؤكد هذه الآيات وغيرها أن الإسلام لا يقر إجبار أحد على الدخول فيه، إنما مهمة النبي محمد ﷺ والدعاة إلى الإسلام من بعده هي : البلاغ والبيان وليس عليهم إجبار أي إنسان على الدخول فيه ، إذ لا بد أن يتوفر الإقناع الكامل والتجاوب الصادق حتى يصبح الإيمان في النفوس صحيحاً؛ ولذلك فإن الإسلام يستبعد الإكراه على الدخول في الإسلام ، أما الحروب التي خاضها محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأصحابه في صدر الإسلام، فلم تكن لإجبار أحداً للدخول في الإسلام، ولكنها قامت لتكون كلمة الله هي العليا .

وهناك نقطة يجب التنبيه إليها حول الحروب التي قامت بها دولة الإسلام في عهد الرسول ﷺ فإنها لكثرتها يضل في تحليلها المفكرون ، ويذهبون مذاهب شتى في آرائهم وتعليقاتهم .

إن ثماني وثلاثين معركة تخوضها دولة الإسلام في أقل من عشر سنوات في عصر الرسول، منها سبع وعشرون غزوة بقيادة الرسول ﷺ تكفي لتوفير التأمل والتفكر لكل مفكر أو محلل .

وهنا يتبادر لنا سؤال : هل من المعقول أن تقوم دولة ما ، خاصة إذا كانت دولة ناشئة ، بحروب عدوانية بمعدل أربع معارك في العام الواحد ؟ إن مثل هذا لن يتحقق إلا إذا توفرت لها الطاقات البشرية والمادية الضخمة مع توفر الرغبة الشديدة في التسلط والاستيلاء والاستعباد ، ووجود تاريخ طويل يسمح في خوض هذه الحروب ومعالجتها ، واستخلاص نتائجها وحصيلتها بحيث تلتهم هذه الدولة المحاربة بلاداً كثيرة تضمها إليها لتتسع حدودها وتكبر مساحتها .

فهل توفرت لدولة الإسلام الناشئة هذه الطاقات البشرية والمادية ؟ هل كانت تُسيِّر أمورها رغبة شديدة في الاستيلاء والتسلط والتحكم؟ هل كان لها تاريخ طويل في خوض المعارك والحروب ؟ وهل التهمت بلاداً ازدادت بها مساحتها واتسعت حدودها؟

التاريخ يشهد بأن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث ، وهذا دليل كاف وحاسم على أن دولة الإسلام الناشئة لم تكن دولة عدوانية تخوض معاركها للقهر والتسلط ، وإنما كانت ترفع في يدها مصباح البلاغ والهدى، ولا تشهر سلاح الجبروت والاعتداء ، بل إن الذي أرغمها على خوض هذه المعارك الكثيرة في السنوات القليلة هو محافظتها على مصباح النور والهدى ، وألاّ يخبو ضوءه حتى يستطيع السائرون في دجى الليل أن يتبعوا مسار شعاع نوره ويسترشدوا بهداه إلى الحق الواضح بغية الوصول إلى أسمى هدف وأنبل غاية ؛ ليشعروا بالأمان ، فلا أمان ولا إيمان ولا عدل ولا استقرار إلا في دار الإسلام التي تطبق في الواقع آداب الإسلام في الحرب والسلام[١] .

يقول العقاد[٢] في كتابه عبقرية محمد : «إن الرجل حين يقاتل من

(١) حمد، الجانب السياسي في حياة الرسول : ١٠١ .

(٢) عباس بن محمود بن إبراهيم العقاد، إمام في الأدب ، أصله من دمياط ، ولد في أسوان سنة ١٣٠٦هـ وتعلم في مدرستها وشغف بالقراءة ، كان موظفاً ثم معلماً، انقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف وأقبل الناس على ما ينشر ، ظل اسمه لامعاً مدة نصف قرن أخرج في خلالها من تصنيفه ٨٣ كتاباً في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع منها : كتاب عن الله ، وعبقرية محمد ، وعبقرية الصديق، وعبقرية عمر ، وعبقرية علي، وعبقرية خالد، كان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة في دمشق والقاهرة وبغداد ، توفي بالقاهرة سنة ١٣٨٣هـ ودفن بأسوان.

الزركلي ، الأعلام : ٣/ ٢٦٦.

حوله ، إنما يقاتلهم بالمئات والألوف ، وقد كانت المئات والألوف الذين دخلوا في الدين الجديد يتعرضون لسيوف المشركين ، ولا يعرضون أحداً لسيوفهم ، وكانوا يلقون عنتاً ولا يصيبون أحداً بعنت ، وكانوا يخرجون من ديارهم لياذاً بأنفسهم وأبنائهم من كيد الكافرين ونقمة الناقمين ، ولا يخرجون أحداً من داره ، فهم لم يسلموا على حد السيف خوفاً من النبي الأعزل المفرد بين قومه الغاضبين عليه ، بل أسلموا على الرغم من سيوف المشركين ووعيد الأقوياء المتحكمين ، ولما تكاثروا وتناصروا حملوا السيف ليدفعوا الأذى عن أنفسهم ويبطلوا الإرهاب والوعيد ، ولم يحملوه ليبدأوا أحداً بعدوان أو يستطيلوا على الناس بالسلطان. . . والإسلام لم يحتكم إلى السيف قط ؛ إلا في الأحوال التي أجمعت شرائع الإنسان على تحكيم السيف فيها ، فالدولة التي يثور عليها من يخالفها بين ظهرانيها ماذا تصنع إن لم تحتكم إلى السلاح؟ وهذا ما قضى به القرآن الكريم[1]» قال تعالى : ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[2] .

ومن ذلك يتبين لنا أن الإسلام لم يحارب في يوم من الأيام ليجبر الناس على الدخول فيه ، إن الذين يتهمون الإسلام بذلك من صليبيين ويهود وغيرهم ، يجب عليهم الرجوع إلى تاريخ الإسلام وإلى تاريخهم هم أنفسهم ليقارنوا بين التاريخين إذا كانوا منصفين ، عندها سوف يصلون إلى حقيقة واحدة وهي أن الإسلام لم يبدأ أحداً بقتال فهو دين عفو وتسامح

(١) العقاد، عبقرية محمد: ٢٤، ٣١، ٣٤، دار الهلال ، ١٩٦٦م.

(٢) البقرة : ١٩٣ .

يترك لكل إنسان حرية الاعتقاد فيما يريد دون جبر أو إكراه طالما هو مقتنع بذلك ، بينما سوف يجد أن غير الإسلام هو الذي استعمل السلاح والعنف لمحاربة عقيدة المخالفين له والواقع خير شاهد .

إن الإسلام بعيد عن أن يكره الضمائر أو أن يعوق حرية العقيدة، بل يقف في وجه من يعترض طريق الحرية ويعرض الناس للفتنة ، قال تعالى : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(١) ، وتحطيم هذه العوائق هو الهدف النزيه الذي يلهم المقاتلين المسلمين . قال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾(٢) .

---

(١) البقرة : ٢١٧ .

(٢) البقرة : ١٩٣ .

المبحث الثاني

حروب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع المشركين

حروب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع المشركين

لما وصل النبي ﷺ ومن معه من المسلمين مهاجرين إلى المدينة المنورة واستقرَّ بهم المقام بدأ الاستعداد لبناء الدولة الجديدة، فوحَّد بين قبيلتي الأوس والخزرج، وألف بين قلوبهم في ظل الإسلام ، فحلت الرحمة مكان الغلظة ، والمساواة مكان الظلم، والخير مكان الشر ، فهنأت حياتهم ، وعاشوا تحت راية الإسلام إخوة متحابين في الله .

ثم عمل ـ عليه الصلاة والسلام ـ على التأليف بين المسلمين على اختلاف قبائلهم وجعلهم أمة واحدة تقوم على أساس العقيدة ، ونبذ التعصب القبلي حيث آخى بين المهاجرين والأنصار فسادت المحبة والتعاون فيما بينهم .

وقد أدرك ـ عليه الصلاة والسلام ـ عداء اليهود داخل المدينة وخارجها، ولكنه واجه ما يخفيه اليهود له من العداوة والضغينة، فعقد معهم معاهدة (١) موادعة وتعاون تم فيها تقرير حرية ممارسة الشعائر الدينية وحرية الرأي والمساواة والعدل بين المسلمين واليهود القاطنين المدينة في المصلحة العامة ، وجعل علاقة حسن الجوار والعيش في أمن وسلام هي دستور التعامل بين المسلمين وغيرهم مالم يخونوا عهدهم وغير ذلك مما ورد

---

(١) ابن هشام ، السيرة: ٢/ ١٤٧ ـ ١٥٠ .
والسهيلي ، الروض الأنف : ٢/ ١٦ ، ١٧ .
وحميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية : ٥٩ ـ ٦٢ .

في مضمون هذه الوثيقة .

بذلك اطمأنت نفوس المسلمين ، فأقاموا شعائر دينهم ، ونظموا شؤون معايشهم في أمان دون خوف ، ونشأ المجتمع الإسلامي على التكافل والتضامن.

وبعد هجرة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى المدينة ونزول الإذن له بالقتال في قوله تعالى : ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...**﴾(١) ، كان من الحكمة إزاء هذه الظروف ـ التي مبعثها الوحيد هو قوة قريش وتمردها ـ أن يبسط المسلمون سيطرتهم على طريق قريش التجاري المؤدي من مكة إلى الشام ، فقام المسلمون بحركات عسكرية هي أشبه بالدوريات الاستطلاعية، بغرض الوقوف على الطرق المحيطة بالمدينة ، والمسالك المؤدية إلى مكة ، وعقد معاهدات حلف وعدم الاعتداء مع القبائل سواء أكانت تلك المجاورة لهذا الطريق ، أم التي كانت تقطن ما بين هذا الطريق وما بين المدينة ، مثل قبيلة جهينة ، وإشعار مشركي يثرب ويهودها وأعراب البادية الضاربين حولها بأن المسلمين أقوياء وأنهم تخلصوا من ضعفهم القديم، وإنذار قريش وإشعارها بتفاقم الخطر على اقتصادها وأسباب معايشها فتجنح إلى السلم، وتمتنع عن قتال المسلمين في عقر دارهم ، وعن الصد عن سبيل الله ، وعن تعذيب المستضعفين من المؤمنين في مكة ، حتى يصير المسلمون أحراراً في إبلاغ رسالة الله في ربوع الجزيرة(٢) .

---

(١) الحج : ٣٩.

(٢) المباركفوري، الرحيق المختوم: ١٨٩ .

بدأ جهاد المسلمين المسلح بقيادة الرسول محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ضد المشركين من قريش منذ غزوة بدر الكبرىٰ في السنة الثانية للهجرة.

وسوف نقتصر الحديث في هذا المبحث علىٰ أهم الغزوات أو الحروب التي قادها الرسول ﷺ ضد المشركين، وهي غزوة بدر الكبرىٰ، غزوة أحد، وغزوة الخندق، وهذه الغزوات الثلاث تعد من الحروب التي كان المسلمون فيها في موقف الدفاع حيث كان المشركون هم البادئون في حرب المسلمين، فقد جاءوا إليهم في ديارهم لقصد القضاء عليهم، ثم يكون الحديث أيضاً عن غزوة فتح مكة حيث كانت هذه الغزوة من المعارك الفاصلة بين الحق والباطل.

١ ـ غزوة بدر الكبرى:

بعد أن هاجر المسلمون من مكة إلىٰ المدينة واجهوا ضيقاً من العيش؛ إذ منعهم كفار قريش من الخروج من مكة بأموالهم، ولما سمع رسول الله ﷺ أن عير قريش راجعة من الشام ندب أصحابه للخروج إليها قائلاً لهم: «**هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها**» فكانت بذلك بمثابة ضربة عسكرية وسياسية واقتصادية ضد المشركين لو أنهم فقدوا هذه الثروة الطائلة، ولم يجبر الرسول ﷺ أحداً علىٰ الخروج، بل ترك الأمر للرغبة المطلقة، كما أنه لم يكن يتوقع عند هذا الانتداب أنه سيصطدم بجيش مكة ـ بدل العير ـ هذا الاصطدام العنيف في بدر، ولذلك تخلف كثير من الصحابة في المدينة، وهم يحسبون أن مضي رسول الله ﷺ في هذا الوجه لن يعدو ما ألفوه في

السرايا الماضية (١) ، ولذلك لم ينكر على أحد تخلفه في هذه الغزوة .

خرج الرسول ﷺ ومن معه من الصحابة من المدينة للعير وليس للنفير ، فقد كان من حق المهاجرين أن يستخلصوا من أيدي قريش ما أخذت من أموالهم ، ولم يكن عزمهم على القتال ، ولم يعدوا له عدة ، ولم يتأهبوا له أهبة ، ولكن جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد (٢) . فقد ورد في صحيح البخاري «أن عبد الله بن كعب قال : سمعت كعب بن مالك - رضي الله عنه - يقول : لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أني تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد» (٣) .

كان أبو سفيان - وهو المسئول عن القافلة - حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من يلقى من الركبان تخوفاً على أموالهم التي معه في القافلة ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فاحذر ، عند ذلك استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري وأرسله إلى قريش يستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض له في أصحابه ، عندئذ أجمع مشركوا مكة من قريش أمرهم على المسير لملاقات المسلمين ، فخرجت قريش إلى بدر بكل ما تملك يدفعها البطر والغضب

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٢/ ٢٥٧ ، ٢٥٨ .
وابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٢/ ١٢ .

(٢) ابن القيم ، زاد المعاد : ٣ / ١٧٣ .

(٣) صحيح البخاري بحاشية السندي : ٣/ ٣ (كتاب المغازي - باب قصة غزوة بدر . . .) .

والمفاخرة ومحاربة الله سبحانه وتعالىٰ ورسوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ والرغبة في استئصال العصبة المؤمنة ، وخرجوا بالقيان والدفوف ، يتجلىٰ ذلك في قول أبي جهل ابن هشام : «والله لا نرجع حتىٰ نرد بدراً ، فنقيم عليه ثلاثاً ، فننحر الجزر ، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا ، فلا يزالون يهابوننا أبداً بعدها ، فامضوا» . حينئذ خرجوا من دياهم ، وتحركوا بسرعة فائقة نحو الشمال في اتجاه بدر ، وسلكوا في طريقهم وادي عسفان ، إلىٰ أن وصلوا الجحفة ، وهناك تلقوا رسالة جديدة من أبي سفيان يأمرهم بالرجوع ويقول لهم فيها : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا ، فأبت قريش الرجوع(١) . وأقبلوا كما قال رسول الله ﷺ بحدهم وحديدهم ، يحادون الله ورسوله ، وجاؤوا علىٰ حرد قادرين ، وعلىٰ حمية وغضب وحنق علىٰ رسول ﷺ وأصحابه(٢) ، وقد حذر الله عباده المؤمنين من التشبه بهؤلاء المشركين فقال تعالىٰ : **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾**(٣) . فقد جاء هؤلاء المشركين من ديارهم متفاخرين لمحاربة المسلمين والقضاء عليهم في بدر فكان جزاؤهم الخزي كما جاء في قوله تعالىٰ : **﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾** فكان الجزاء من جنس العمل ، فانعكس ذلك كله عليهم إلىٰ ذل وصغار في الدنيا وعذاب سرمدي أبدي في الآخرة(٤) .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٢/ ٢٧٠ .

(٢) ابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ١٧٢ .

(٣) الأنفال : ٤٧ .

(٤) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٣٣١ .

ومما يستدل به على أن الرسول ﷺ ومن معه من أصحابه لم يريدوا القتال وإنما اضطروا إليه وأن الله جمع بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ؛ فحينما آتاه الخبر بمسير قريش إليه ، وعندما ساروا حتى إذا كانوا على مقربة من بدر ، فما كان منه ﷺ إلا أن استشار أصحابه فقام أبو بكر - رضي الله عنه - فقال فأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ، ثم قال : يا رسول الله : إنها والله قريش وعزها ، والله ما ذلت منذ عزت ، والله ما آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلم عزها أبداً ، ولتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته ، وأعد لذلك عدته ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله : امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لنبيها : «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » ولكن «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون » والذي بعثك بالحق لوسرت بنا إلى برك الغماد(١) لسرنا » فقال له رسول الله ﷺ : خيراً ودعا له بخير . . ثم قال : «**أشيروا عليَّ أيها الناس** » وإنما يريد الأنصار ، وكان يظنهم لا ينصرونه إلا في الدار ، لأنهم عاهدوه أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم وأولادهم ، وذلك في بيعة العقبة الثانية التي هاجر النبي ﷺ إلى المدينة على أساسها ، فقام سعد بن معاذ - رضي الله عنه - فقال : أنا أجيب عن الأنصار ، كأنك يا رسول الله تريدنا ، قال : أجل ، قال : إنك إن تكن قد خرجت عن أمر قد أوحي إليك غيره ، يعني كما يبدو ، أنك ربما تكون قد خرجت لأمر ثم أوحي إليك في غيره - إذ كان قد خرج للعير ثم عرض النفير - فإنا قد آمنا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به حق ، فأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع

---

(١) برك الغماد : موضع بأقصى اليمن .

والطاعة، فامضي يا نبي الله لما أردت، فو الله الذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل، وصل من شئت، واقطع ما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا أحب إلينا مما تركت، وما نكره أن نلقى عدونا غداً، وإنا لصبر عند الحرب، صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا بعض ما تقرّ به عيناك، فقال له النبي ﷺ: خيراً، وقال: «**أو يقضي الله خيراً من ذلك يا سعد**» فلما فرغ سعد من المشورة قال النبي ﷺ: «**سيروا على بركة الله، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم**» فعلم الناس أنهم إنما يلاقون القتال، وأن العير تفلتت، وعقد رسول الله ﷺ يومئذ الألوية[1].

تحرك رسول الله ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر، ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر وقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم، أي قريش، فننزله ونخرب ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أشرت بالرأي.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/ ٢٦٦، ٢٦٧.
وابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢/ ١٤.
وابن القيم، زاد المعاد: ٣/ ١٧٣.

فنهض رسول الله ﷺ بالجيش حتى أتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه شطر الليل ، ثم صنعوا الحياض وغوروا ما عداها من القلب (١) . ثم بنى المسلمون عريشاً على تل مرتفع يقع في الشمال الشرقي لميدان القتال ويشرف على ساحة المعركة ليكون مقراً للقيادة استعداداً للطوارئ وتقديراً للهزيمة قبل النصر وذلك بمشورة من سعد بن معاذ(٢) ، أما قريش فقضت ليلة المعركة في معسكرها بالعدوة القصوى ، ولما أصبحت أقبلت في كتائبها ، ونزلت من الكثيب إلى وادي بدر ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا** ﴾(٣) .

بدأت المعركة في صباح يوم الجمعة ١٧ رمضان سنة ٢هـ ـ ١٥ يناير سنة ٦٢٤م بالتحريض على القتال إذ سار جيش كفار قريش بقيادة أبي جهل نحو جيش المسلمين في تشكيل قتالي تهيأ للمعركة ، وعندما شاهدهم النبي الكريم محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ دعا ربه قائلاً : « **اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك ، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة** »(٤) ثم ألقى خطبته الجهادية في جند المسلمين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال وهو يأمرهم ويحثهم ويرغبهم في الأجر والمثوبة : «أما بعد فإني أحثكم على ما حثكم الله عليه ، وأنهاكم عما نهاكم

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٢/ ٥٣٧ .

(٢) ابن سيد الناس ، عيون الأثر : ١/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(٣) الأنفال : ٤٢ .

(٤) الواقدي ، المغازي : ١ / ٥٩ .

الله عنه ؛ فإن الله عظيمٌ شأنه ، يأمر بالحق ، ويحب الصدق ، ويعطي على الخير أهله ، على منازلهم عنده ، به يُذكرون وبه يتفاضلون ، وإنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق ، لايقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه . وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم ، ويُنجي به الغم ، وتدركون به النجاة في الآخرة . فيكم نبي الله يُحذّركم ويأمركم ، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه ، فإن الله يقول : ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾(١) .

انظروا إلى الذي أمركم به من كتابه ، وأراكم من آياته ، وأعزّكم بعد ذلة ، فاستمسكوا به يرض ربكم عنكم . وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمراً ، تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته ، فإن وعده حق ، وقوله صدق ، وعقابه شديد ، وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم ، إليه ألجأنا ظهورنا ، وبه اعتصمنا ، وعليه توكلنا ، وإليه المصير ، يغفر الله لي وللمسلمين »(٢) ، ثم أخذ ـ عليه الصلاة والسلام ـ في توجيههم في أمر الحرب قائلاً : « **إذا أكثبوكم**(٣) **فعليكم بالنبل**»(٤) ، وقال : « **إذا أكثبوكم فارموهم بالنبل واستبقوا نبلكم**»(٥) ، ففي هذين الحديثين ، أمر النبي ﷺ

(١) غافر : ١٠ .

(٢) الواقدي ، المغازي : ١/ ٥٨ ، ٥٩ .

(٣) أي إذا قربوا منكم .

(٤) فتح الباري : ٦/ ١٠٧ (كتاب الجهاد والسير ـ باب التحريض على الرمي) .

(٥) المصدر السابق : ٧/ ٣٥٦ (كتاب المغازي ـ باب إذا أكثبوكم فارموهم . . .) .

وسنن أبي داود : ٣/ ٥٢ (كتاب الجهاد ـ باب في الصفوف) .

المسلمين بالتأني وعدم الرمي حتى يقرب الأعداء، وفي ذلك ، إنهاك قدرة العدو القتالية ، وأيضاً قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «**إذا أكثبوكم فارموهم بالنبل ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم**»(١) ، ففي هذا الحديث، أمر النبي ﷺ الصحابة برمي الأعداء في حالة قربهم منهم ، ونهاهم عن سل السيوف حتى تتداخل الصفوف ، وتنهك قواهم ، ثم حرضهم على القتال قائلاً : «**والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة** »(٢) .

بدأ القتال بين الطرفين بأن اندفع الأسود المخزومي من بين صفوف المشركين إلى صفوف المسلمين يريد أن يهدم الحوض الذي بنوه فقتله حمزة ابن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ ، وكان الأسود بن عبد الأسد المخزومي بذلك أول قتلى المشركين، وكان قتله إيذاناً ببدء الاشتباك بين الطرفين .

وكان أول القتال مبارزة بين الفريقين كما جرت عليه عادة العرب ، خرج من صفوف قريش عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة وابنه الوليد ، ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة ، فقالوا ـ أي المشركين ـ ما لنا بكم من حاجة ، يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فقال محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ : قم يا عبيدة ابن الحارث ، قم ياحمزة ، قم يا علي ، فلما قاموا ودنوا منهم وعرفوهم ، قالوا : نعم أكفاء كرام .

ثم قال عتبة لابنه : قم يا الوليد فقام ، وقام إليه علي فتبارزا، فكانت

(١) سنن أبي داود : ٣/ ٥٢ (كتاب الجهاد ـ باب سل السيوف عند اللقاء) .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٢/ ٢٧٩ .

والطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٢/ ٥٤١ .

الغلبة لعلي ـ رضي الله عنه ـ وقتل الوليد بن عتبة ، فتقدم بعد ذلك عتبة فقام إليه حمزة فاختلفا ضربتين فأصابت ضربة حمزة مقتلاً من عتبة فهوىٰ علىٰ الأرض مضرجاً بدمه ، ثم قام شيبة وقام إليه عبيدة بن الحارث وهو يومئذ أسن أصحاب رسول الله ، فاختلفا ضربتين فأصاب كل منهما الآخر ، فبترت علىٰ أثرها ساق عبيدة ، فكر حمزة وعلي علىٰ شيبة فقتلاه واحتملا عبيدة إلىٰ محاذاة الصفوف[(١)] إلىٰ أن مات بعد ذلك في طريق العودة إلىٰ المدينة متأثراً بجراحه .

وهنا أعطىٰ أبو جهل أوامره إلىٰ جيشه بالهجوم العام قائلاً : لا يهولنكم مقتل عتبة وشيبة والوليد ، فإنهم عجلوا وبطروا حين قاتلوا ، والله لا نرجع اليوم حتىٰ نقرن محمدا وأصحابه في الحبال ، ثم اندفع برجاله نحو المسلمين فتلقىٰ المسلمون هجوم المشركين بثبات وصمدوا لهم يرمونهم بالنبل لا يتزحزحون عن مواقعهم قيد أنملة ، مما حمل المشركين علىٰ التراجع بعدما فقدوا عدداً من رجالهم ، وكان شعار المسلمين يومئذ «أحد أحد» وهنا ذهب النبي ﷺ إلىٰ عريشه ـ مقر القيادة ـ كي يتمكن من الحصول علىٰ مشهد عام للمعركة فيعطي أوامره وتعليماته حسبما يقتضيه الموقف ، فلما وقف ﷺ بباب العريش ، والعريش في مكان مرتفع عن ميدان القتال ، وشاهد قلة المسلمين وكثرة كفار قريش رفع يديه بالدعاء وقال : «**اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام ، فلا تعبد بعدها أبداً**»[(٢)] فأنزل الله تعالىٰ في دعاء النبي ﷺ قوله : ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ**

---

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٢/ ٥٣٠ ، ٥٤٠ .

(٢) المصدر السابق : ٢/ ٥٤١ .

مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(١) ، وقوله تعالىٰ : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٢) ، وقال سبحانه معللاً نزول الملائكة : ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣) . فكان نصر المسلمين علىٰ المشركين مكافأة لهم علىٰ صبرهم وجهادهم في سبيل الله .

وبعد أن دعا رسول الله ﷺ للمسلمين بالنصر رجع إلىٰ صفوف المقاتلين هو ومن معه من الصحابة إلىٰ العريش لحراسته ، فأخذ ﷺ يقاتل ببسالة فائقة ويصدر توجيهاته وأوامره حيثما اقتضىٰ الأمر ذلك (٤) .

وكان لمقتل أربعة من زعماء المشركين قبل بدء التحام الجيشين الأثر المدمر علىٰ معنويات المشركين ، ورفع معنويات المسلمين ، ففي الوقت الذي اندفع فيه المسلمون يقاتلون بكل شجاعة وبسالة لتحقيق النصر ، أو الفوز بالشهادة في سبيل الله ؛ كان الكثيرون من المشركين متشائمين من نتيجة هذه المعركة فاقدين الروح المعنوية ، مختلفين في الرأي ، بهذه الروح المعنوية المتباينة دخل الطرفان المتصارعان هذه المعركة .

وجه المسلمون أكبر همهم إلىٰ رؤوس قريش يريدون القضاء عليهم ، فقتل منهم في المعركة أبو جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود ، والحارث بن عامر بن نوفل ،

(١) الأنفال : ٩ .

(٢) الأنفال : ١٢ .

(٣) الأنفال : ١٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٢/ ٥٤١ .

فانتشرت الفوضىٰ بين صفوفهم مما أدىٰ إلىٰ انكسار معنوياتهم واختلال صفوفهم ، فتركوا القتال وفروا من المعركة بعد أن خلفوا وراءهم كثيراً من المؤن والمعدات ، وبعد أن تركوا قتلاهم في ميدان المعركة حيث قام المسلمون بدفنهم (١) احتراماً لبشرية الإنسان الذي كرمه الله .

وهكذا يتبين لنا أن المسلمين كانوا في موقف الدفاع ، وأن المشركين كانوا هم البادئين بالاعتداء علىٰ المسلمين في ديارهم ، وقد كانت غزوة بدر الكبرىٰ أول معارك الإسلام التي خاضها المسلمون ضد المشركين بالله ، المناوئين للدعوة الإسلامية ، جرت هذه المعركة بين الحق والباطل ، بين الشرك والإيمان ، فكان انتصار الحق علىٰ الباطل ـ بتأييد من الله عز وجل ـ رغم التفاوت في العدد والعدة قال تعالىٰ : ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢) ، وقال تعالىٰ : ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٣) .

وفي ذلك دلالة واضحة علىٰ وجود تدبير رباني وراء تدبير البشر ، وأن الله سبحانه وتعالىٰ ينصر المؤمنين بقوته متىٰ أخلصوا له وجاهدوا في سبيله ؛ إذ لو كان النصر متوقفاً علىٰ القوة المادية وحدها ما هُزم المشركون ، ولا انتصر المسلمون هذا الانتصار العظيم .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ٢/ ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ .

وابن سيد الناس، عيون الأثر : ١/ ٣٤٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ .

(٢) الأنفال : ١٠ .

(٣) محمد : ٧ .

ولعله من المناسب هنا أن نشير إلى ما تضمنته غزوة بدر من نتائج وآداب وحكم كثيرة ، منها:

- فتح المجال أمام تبليغ الدعوة الإسلامية ؛ ذلك أنه بانتصار المسلمين وخذلان المشركين وإدخال الرعب في قلوب أعداء الإسلام في المدينة المنورة من يهود ومنافقين ، وكذا في قلوب عرب البادية الضاربين حول المدينة ؛ أصبح المجال مفتوحاً لتبليغ الدعوة إلى الإسلام لا تقف في وجهها سلطة سياسية تمنعها وتحول بين الناس وبينها .

فقد اعترف الجميع بالدولة الإسلامية الجديدة في المدينة المنورة بقيادة رسول الله - عليه الصلاة والسلام - في تصريف شؤونها السياسية ، وأصبح واضحاً أن السلطة الحقيقية في المدينة في يد القيادة المسلمة ، فالمجال أمام الدعوة مفتوح ، والتخلية بين الناس وحرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية والانتماء الديني أصبح قائماً وثابتاً لكل إنسان .

- جواز النكاية بالعدو ، بقتل رجالهم وأخذ أموالهم وإخافة طرقهم التي يسلكونها ، بغرض إضعافهم معنوياً واقتصادياً .

- جواز استخدام العيون وبثها حول العدو لكشف أحواله وإفشال خططه .

- تأكيد مبدأ الشورى لأهل الحل والعقد ، وتطبيق هذا المبدأ بمشاورة الرسول الكريم - عليه الصلاة والسلام - لأصحابه قبل بدء المعركة وبعدها واستماعه لآراء أصحابه والأخذ بما وجده صائباً منها .

- المساواة بين القائد وجنده في السلم والحرب على حد سواء ، وقد

تبين هذا المبدأ من مجريات القتال .

ـ جواز فداء الأسارىٰ أو المن عليهم بإطلاق سراحهم بدون مقابل .

ـ تبين في هذه المعركة علاقة المسلمين بغير المسلمين ؛ إن كانوا محاربين ، فللمسلمين الحق في الدفاع عن أنفسهم مع التخلق بآداب الإسلام في الحرب ، وأن المعركة يجب أن تكون قاصرة علىٰ ميدان القتال ، ولا تتعداه إلىٰ الآمنين ، وحظر التمثيل بجثث القتلىٰ ، أو بالتحريق بالنار ، أو قتل من لا يقاتل ، أو إهلاك الحيوانات وغير ذلك ، كما حُرم الإجهاز علىٰ المصاب وتعذيب الأسير ، ووجوب دفن جثث القتلىٰ من الأعداء احتراماً لبشرية الإنسان الذي خلقه الله وكرمه .

فهذه المعركة ـ كغيرها من المعارك الإسلامية ـ تظهر عظمة الإسلام ، وأنه جاء ليحترم كرامة الإنسان وأنه ليس دين قتل وتقتيل وتخريب وتدمير ، وأن الحرب ليست مقصودة لذاتها وإنما دفاعاً ورداً لاعتداءات المعتدين ، الأمر الذي يبطل فرية الحاقدين علىٰ الإسلام القائلين بأن الإسلام قام علىٰ حد السيف .

٢ ـ غزوة أحد:

لما أُصيب المشركون من كفار قريش يوم بدر ، بهزيمتهم وقتل رؤوسهم ، ورجوع فلولهم إلىٰ مكة منهزمين أذلاء ، وعودة أبي سفيان بن حرب بِعِيرِهِ إلىٰ مكة ؛ مشىٰ عبد الله بن أبي ربيعة ، وعكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أُصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فحدثوا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك

العِير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينوا بهذا المال على حربه ، فلعلنا ندرك منه ثأرنا عما أصاب منا ، ففعلوا [١] ، وقد نزل فيهم قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[٢] .

أخبر الله تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم للصدّ عن اتباع الحق، ثم إن هذه الأموال تذهب مما يؤدي إلى حسرتهم وندامتهم ، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون، والله ناصر دينه ومعلي كلمته ومظهر دينه على كل دين، ولهذا قال : ﴿ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ . وإن كان سبب نزولها خاص في أبي سفيان ومن معه من المشركين وإنفاقهم الأموال في أحد لقتال الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلا أن المعنى عام لجميع الكفار الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتّباع طريق الحق[٣] .

اجتمع كفار قريش لحرب رسول الله ﷺ حين فعل ذلك أبو سفيان ومن معه من أصحاب العِير ، وبعثوا رسلهم يسيرون في قبائل العرب وغيرها يدعون إلى نصرهم ، فأجمعوا أمرهم على إخراج الظُّعُن ـ أي النساء ـ معهم ليذكّرْنَهم قتلى بدر فيُحفظْنَهم ، فيكون أحدَّ لهم في القتال ،

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٦٤ .
وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣/ ٣١٥ . والسيرة النبوية : ٣/ ١٩ .
(٢) الأنفال : ٣٦ .
(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٣ / ٣١٥ .

وكان عددهم ثلاثة آلاف رجل ، فيهم سبعمائة دارع ، ومعهم مائة فرس وثلاثة آلاف بعير ، والظُّعْن خمس عشرة امرأة في هوادجهن ومن تبعهم من بني كنانة ، وأهل تهامة ، خرجوا إلىٰ المدينة المنورة بعد هذا الإعداد التام تحدوهم الأنفة والكبرياء .

خرج جيش المشركين بقيادة أبو سفيان بن حرب ومعه هند بنت عتبة وعكرمة ابن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية وهي أم عبد الله بن صفوان بن أمية(١) ، وعندما اقترب جيش المشركين من المدينة عسكر قريباً من جبل أحد .

لما علم رسول الله ﷺ بأمر قريش استشار أصحابه ، فكان لهم في ذلك رأيان :

الرأي الأول:

ما أشار به بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ بقولهم : ندعهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا ، أقاموا بشر محبس ، وإن هم دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها ، وكان هذا الرأي يوافق رأي رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق(٢) : إن رسول الله ﷺ قال : «**فإن رأيتم أن تقيموا**

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٦٤ ـ ٦٦ .
وابن سعد ، الطبقات الكبرىٰ : ٢/ ٣٧ .

(٢) أبو بكر ، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء ، المدني ، من أقدم مؤرخي العرب ، له السيرة النبوية ، هذبها ابن هشام ، سكن بغداد ، ومات فيها سنة ١٥١هـ. =

بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا ، أقاموا بشر مقام ، وإن هم دخلوها علينا قاتلناهم فيها »(١) ، وفي زاد المعاد : أن النبي ﷺ استشار أصحابه أيخرج إليهم ، أم يمكث في المدينة ، وكان رأيه أن لا يخرجوا من المدينة ، وأن يتحصنوا بها ، فإن دخلوها قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة ، والنساء من فوق البيوت(٢) .

الرأي الثاني:

وهو رأي الذين لم يشهدوا بدراً، ورغبوا في الجهاد والاستشهاد بالخروج لملاقاة العدو ، قائلين : كنا نتمنى هذا اليوم ، وندعوا الله لذلك ، فقد ساقه الله إلينا ، وقَرُب السير ، وقال رجال من الأنصار : متى نقاتلهم يا رسول الله إذا لم نقاتلهم عند شُعبنا ؟(٣) .

قال ابن إسحاق : قال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ، ممن كان فاته بدر : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جبُنا عنهم وضَعُفنا ؟(٤) .

وبعد أن استشار النبي ﷺ أصحابه ، واستمع إلى رأيهم ـ رضوان الله

= ابن سعد، الطبقات: ٧/ ٣٢١ .
والذهبي ، تذكرة الحفاظ : ١/ ١٧٢ .
وابن حجر ، تقريب التهذيب : ٢/ ١٤٤ .
(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٦٧ .
(٢) ابن القيم ، زاد المعاد: ٣/ ١٩٣ .
(٣) ابن كثير ، السيرة النبوية : ٣/ ٢٢ـ ٢٤ .
(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٦٧ .

عليهم أجمعين ـ ، دخل بيته ثم خرج على أصحابه ، وقد لبس لامته ـ أي درعه ـ فندم الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله ﷺ ولم يكن لنا ذلك ، فقالوا : يا رسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك ، فإن شئت أن تمكث في المدينة فافعل ، قال النبي ﷺ : «**ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه**»(١) ، وقال : «**قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج ، فعليكم بتقوى الله ، والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا**»(٢) .

ولما فرغ ـ عليه الصلاة والسلام ـ من صلاة يوم الجمعة ، وعظ الناس وذكرهم وأمرهم بالجد والجهاد ، ثم انصرف من خطبته وصلاته ، وأذَّن في الناس بالخروج . فخرج رسول الله ﷺ في ألف من الصحابة ، واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي في المدينة حتى نزل بالقرب من جبل أحد(٣) .

قال ابن إسحاق : «خرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة حين صلى بالناس . . . ومضى حتى نزل بالشعب من أحد في عُدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال»(٤) ، فالتقى الفريقان يوم السبت في النصف من شوال من السنة

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٦٧ ، ٦٨ .
وابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ١٩٣ .
(٢) ابن كثير ، السيرة النبوية : ٣/ ٢٥ .
(٣) المرجع السابق .
(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٦٧ ، ٦٩ .
وابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ١٩٤ .

الثالثة للهجرة(١) .

بدأ القتال في هذه المعركة بمبارزة بين طلحة بن عثمان ، حامل لواء المشركين الذي خرج من صف المشركين طالباً المبارزة ، فتقدم له علي بن أبي طالب ، فتقابلا فقتل عليٌ طلحةَ(٢) ، ثم التحم الجيشان واشتد القتال ، واستبسل المسلمون حتى تمكنوا من دحر المشركين إلى معسكرهم ، وأخذ الرسول ﷺ يحرض المسلمين على القتال ويرفع روحهم المعنوية ، فعن أنس ، أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد ، فقال : «من يأخذ مني هذا؟» فبسطوا أيديهم ، كل إنسان منهم يقول : أنا أنا . قال : فمن يأخذه بحقه؟ قال : فأحجم القوم ، فقال سماك بن خرشة ، أبو دجانة : أنا آخذه بحقه ، قال : فأخذه ففلق به هام المشركين »(٣) ، وكان لشجاعة أبي دجانة في ذلك اليوم أثر بارز على جيش المسلمين ، فارتفعت معنوياتهم لقتال المشركين في هذه المعركة (٤) .

فأوقعوا في المشركين القتل ، وقتلوا أصحاب اللواء ، حتى حلت الهزيمة بجيش قريش وتركوا اللواء ولم يدن منه أحد منهم(٥) ، وانتصر المسلمون على المشركين في هذه الجولة الأولى من القتال ، وفي ذلك يقول

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٢/ ٥٦٧ ، ٥٦٨ .
وجامع البيان : ٣/ ٥١٨ .

(٢) الحلبي ، السيرة الحلبية : ٢/ ٤٩٧ ، ٤٩٨ .

(٣) صحيح مسلم : ٤/ ١٩١٧ (كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل أبي دجانة) .

(٤) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٧١ ـ ٧٣ .

(٥) المرجع السابق : ٣/ ٨٢ .
والطبري ، جامع البيان : ٣/ ٤٧٠ .

الله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ﴾(١) ، فالوعد الذي كان وعدهم الله سبحانه علىٰ لسان نبيه محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن ينصرهم وأنه معهم ، إن انتهوا إلىٰ أمره ولم يبرحوا مكانهم إذا تم النصر للمسلمين وهزموا المشركين ، فهم لايزالون غالبين ما ثبتوا في مكانهم (٢) .

فلما انتصر المسلمون في الجولة الأولىٰ ، وانهزم المشركون ، رأىٰ الرماة المسلمون الغنائم في ميدان المعركة ، فظنوا أن مهمتهم قد انتهت ، فهرعوا إلىٰ جمع الغنائم ، فكانت فرصة لخالد بن الوليد من قادة المشركين أن يلتف حول المسلمين فيراه المشركون فيعودوا إلىٰ ميدان القتال مرة أخرىٰ ، فأحاطوا بالمسلمين ، وارتبك المسلمون واستشهد منهم خلق كثير ، وغاب الرسول ﷺ عن الأنظار فشاع بينهم أنه قتل (٣) .

أثَّرت هذه الإشاعة في صفوف المسلمين حتىٰ انهارت معنوياتهم ، ففر جمع من المسلمين من ميدان القتال ، وجلس بعضهم دون قتال ، وتصدىٰ آخرون للمشركين حتىٰ نال بعضهم الشهادة (٤) ، ولولا شجاعتهم واستبسالهم في القتال وتصديهم لهجمات المشركين لتعرضوا لخطر الإبادة .

أسفر الوضع الجديد الذي غير مجرىٰ المعركة ، وقلب موازينها لصالح

---

(١) آل عمران : ١٥٢ .

(٢) الطبري ، جامع البيان : ٣/ ٤٦٨ ـ ٤٧٠ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٨٢ ، ٨٤ .
والطبري ، جامع البيان : ٣/ ٤٦٩ .

(٤) الواقدي ، المغازي : ١/ ٢٧٧ ، ٢٨١ .
والطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٢/ ٥٧٤ .

جيش كفار قريش ، وذلك بعد أن كانت لصالح المسلمين .

في هذه الأثناء كان أبو سفيان يتجول في ميدان المعركة ينظر إلىٰ وجوه القتلىٰ ليتأكد فيما إذا كان محمد بينهم ؛ فمرَّ أبو سفيان بحمزة ، فضرب شدقه بطرف رمحه وهو يقول : « ذق عقق» أي يا عاق ، فلم يتمالك أحد أعوانه أن صاح : «يا بني كنانة ، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لحماً» أي يصنع به ذلك حال كونه ميتاً لا روح فيه ، فقال أبو سفيان : «ويحك فاكتمها عني فإنها كانت زلة»(١) .

هذا بينما كان بعض المشركين ونسائهم في أمكنة أخرىٰ من ساحة القتال يقومون بالتمثيل بجثث من عرفوه من قتلىٰ المسلمين ، فيقطعون الآذان والفروج ، ويجدعون الأنوف ، ويبقرون البطون ، وكانت هند بنت عتبة ـ زوجة أبو سفيان ـ تبحث عن جثة حمزة ـ رضي الله عنه ـ ، فلما وقفت عليها ، أخذت مديتها وبدأت تمثل بالجثة حتىٰ انتزعت الكبد فعضتها بأسنانها ثم ألقتها علىٰ الأرض ، ولم تكتف هند بذلك ؛ بل اتخذت من الآذان والأنوف خلاخيل وقلائد(٢) ، حيث كانت في ذلك الحين ساحة القتال الذي توقف ، ممتلئة بجثث القتلىٰ من الجانبين ، وبجثث كثير من الخيل التي نفقت أو عقرت في القتال .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٩٩ .
وابن كثير ، السيرة : ٣/ ٧٥ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٩٦ ـ ٩٩ .
وابن كثير ، السيرة : ٣/ ٧٤ .
وابن حجر ، فتح الباري : ٧/ ٤٠٢ .

في هذا الموقف الحرج عرف المسلمون أن رسول الله ﷺ لم يقتل وأنه حي يرزق ، وفي هذا الوقت العصيب هاجم أُبي بن خلف ـ أحد فرسان المشركين ـ رسول الله ﷺ ـ بعدما عرفه قائلاً : لا نجوت إن نجوت يا محمد، فتصدىٰ له بعض صناديد المسلمين ، ولكن النبي ﷺ قال لهم : دعوه ، فلما اقترب وهو شاهر سيفه تناول الرسول ﷺ رمحاً فطعنه به ، ولم يصب منه مقتلاً ، بل خدشه في عنقه فسقط من فوق فرسه مذعوراً صائحاً قائلاً : قتلني محمد، قتلني محمد، ثم مات ، وهو في طريق عودته إلىٰ مكة (١) ، ثم أخذ ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقاتل مشركي قريش ، بكل بسالة وشجاعة، وكان أصحاب رسول الله ﷺ يقتربون منه فيقاتلون من حوله ثم يبتعدون عنه لمهاجمة العدو وإبعاده عنه ثم يعودون مرة أخرىٰ للقتال دونه ، وعندما اشتدَّ القتال وسقط الكثير من الشهداء من المسلمين ، تفرق البقية منهم يقاتلون في كل اتجاه ، وصعد البعض منهم إلىٰ أعلىٰ جبل أحد، وبقي بالقرب من الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعض الصحابة يدافعون عنه ، ويحمونه من نبال الأعداء .

في هذه المعركة أصيب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بإصابات كثيرة، وتعرضت حياته للخطر ؛ شج رأسه ، وسال الدم من وجهه ، لكنه ثبت ﷺ أمام هجمات الأعداء بكل بسالة وشجاعة وفداء، فقد أخبر أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بـ «أن رسول الله ﷺ كُسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه ، فجعل يسلت الدم عنه ويقول : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته ؟ وهو يدعوهم إلىٰ الله ؟ فأنزل الله عز وجل :

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٢/ ٥٧٦ ، ٥٧٧ .

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾(١) »(٢) .

ولما أعيت المشركين المجالدة والصمود ، لم يملك أبو سفيان إلا أن يتوعد المسلمين بحرب أخرىٰ في عامهم القادم ، فوافق الرسول ﷺ علىٰ ذلك(٣) .

ثم انصرف أبو سفيان إلىٰ أصحابه وأخذوا بالرحيل ، عندئذ بعث رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب ، وقال له : «اخرج في آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون ؛ فإن كانوا قد جنَّبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم » وفعل علي ما أُمر به فوجدهم قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجَّهوا إلىٰ مكة(٤) .

ولما انجلت المعركة وفرغ الناس لتفقد القتلىٰ والجرحىٰ، خرج رسول

---

(١) آل عمران : ١٢٨ .

(٢) مسلم ، صحيح مسلم : ٣/ ١٤١٧ (كتاب الجهاد والسير ـ باب غزوة أحد) .
وابن ماجه ، سنن ابن ماجه : ٢/ ٣٧٢ (كتاب الفتن ـ باب الصبر علىٰ البلاء) .
والترمذي ، سنن الترمذي ٤/ ٢٩٤، ٢٩٥ (أبواب تفسير القرآن ـ من سورة آل عمران).

(٣) الواقدي ، المغازي : ١/ ٢٩٧ .
وابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ١٠٠ .

(٤) الواقدي، المغازي : ١/ ٢٩٨.
وابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ١٠٠ .
وابن كثير ، السيرة : ٣/ ٧٦ .
عند الواقدي أن المرسل للاستطلاع هو سعد بن أبي وقاص ، وكذلك عند ابن حجر في فتح الباري : ٧/ ٤٠٢ .

الله ﷺ يلتمس حمزة ، فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه عن كبده ، ومثل به ، فجدع أنفه وأذناه (١) ، وقال رسول الله ﷺ حين رأىٰ ما به : « **لولا أن تحزن صفية ، ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم** » ، فلما رأىٰ المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه علىٰ من فعل بعمه ما فعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب ، وفي ذلك نزل قول الله تعالىٰ : ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ**﴾(٢) ، فما كان من رسول الله ﷺ إلا أن عفا وصبر ونهىٰ عن المثلة(٣) .

ومن النتائج والآداب والحكم التي تضمنتها غزوة أحد :

ـ إن غزوة بدر قد انتهت بهزيمة ساحقة للمشركين ونصر المسلمين وقد أثار ذلك الغيظ والحزن الشديد في قلوب المشركين الأمر الذي أدىٰ إلىٰ قيام بعض مشركي مكة وإثارة الحمية والحماس في نفوس المشركين وتأليب القبائل والتجمع لمهاجمة المدينة ومحاربة المسلمين في عقر دارهم ، أخذاً بالثأر لقتلاهم في بدر ، ورداً لهيبتهم والقضاء علىٰ الإسلام والمسلمين .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ١٠١ .
وابن كثير ، السيرة : ٣/ ٧٨ .

(٢) النحل : ١٢٦ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ١٠١ ، ١٠٢ .
وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٢٣٦ ، ٢٣٧ .
والسيرة النبوية : ٣/ ٧٩ .

ـ إن المعسكر الإسلامي لم يفكر في محاربة المشركين بعد نصر الله لهم في غزوة بدر ، وإنما لجأوا إلىٰ ذلك مكرهين بعد أن وصل إلىٰ علمهم أن كفار قريش ومشركيها قد أعدوا العدة لمحاربتهم ، وأنهم قدموا من مكة ووصلوا إلىٰ أطراف المدينة لمحاربتهم في ديارهم .

ـ إن المشركين قد دخلوا هذه المعركة بقصد الاعتداء علىٰ المسلمين بغير مسوغ شرعي يعطيهم الحق في هذا الاعتداء .

ـ إن المسلمين قد استكرهوا خوض غمار هذه المعركة وإنما اضطروا لذلك دفاعاً عن الحق ، ورداً لاعتداء المشركين ، الأمر الذي يعطيهم الحق الشرعي في الدفاع عن أنفسهم .

ـ تعريف المؤمنين بسوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع وعدم طاعة القائد ومخالفة أمره ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ** ﴾(١) .

فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول ﷺ ومخالفة أمره ، وذلك عندما تنازع الرماة وفشلوا وتركوا موقفهم الذي أمرهم الرسول ﷺ أن لا يبرحوا منه من الجبل والتي أدت إلىٰ هزيمتهم في الجولة الأولىٰ .

ـ إن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنىٰ طغياناً وركوناً إلىٰ العاجلة ، وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلىٰ الله والآخرة ،

---

(١) آل عمران : ١٥٢ .

فإذا أراد الله بها الرحمة والكرامة قيض لها من الابتلاء ما فيه دواء وشفاء لذلك المرض .

ـ إن اشتراك الرسول ﷺ في القتال مثله كأي فرد من أفراد جيشه دليل على حرصه ﷺ على عدم تميزه عن جنده ومساواة نفسه بهم ، وفيه دليل على شجاعته وصبره وتحمله الأذى في سبيل دعوته .

ـ إن من آداب الإسلام في الحرب مبدأ المشاورة في الأمر حيث شاور رسول الله ﷺ أصحابه في الإقامة أو الخروج من المدينة لملاقاة قريش في معركة أحد ، وهذا المبدأ أساس في الإسلام يستند على قوله تعالى : ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(١) ، وقوله : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(٢) ، فقد كان الرسول ﷺ واحداً من المجتمعين له رأيه ، ويسمع آراء الآخرين ، وقد أخذ برأي الأغلبية في الخروج في معركة أحد .

ـ إن المشركين قد مثلوا بقتلى المسلمين في هذه المعركة ، وهذا التمثيل ينافي آداب الحرب في الإسلام ، وما يؤكد ذلك قول أبو سفيان قائد جيش المشركين مخاطباً المسلمين بعد انتهاء المعركة ، إنكم ستجدون في قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسوءني ، والله ما رضيت ، وما سخطت ، وما نهيت ، وما أمرت ، وقد تأكد هذا التمثيل أيضاً بالتمثيل بحمزة بن عبد المطلب عم الرسول ﷺ وغيره من المسلمين(٣) . وهذا ما نهى عنه الإسلام .

---

(١) الشورى : ٣٨ .

(٢) آل عمران : ١٥٩ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٩٦ ، ٩٩ .

٣ ـ غزوة الخندق:

كانت دولة الإسلام في المدينة المنورة تزداد قوة يوماً بعد يوم ، وبخاصة بعد النصر الذي تحقق للمسلمين في غزوة بدر الكبرىٰ، وما استفاده المسلمون منها ومن معركة أحد وهم أشد ثقة وصلابة ورغبة في العيش في سلام وأمان ، ولكن اليهود وقد أكل الحقد قلوبهم أرادوا القضاء علىٰ الدولة الإسلامية، وبخاصة بعد أن أُجلي يهود بني قينقاع وبني النضير نتيجة غدرهم وخيانتهم بالمسلمين ، ونفس الشيء بالنسبة لكفار قريش ومشركيها بعد أن أنهكتهم الحرب، وضعف اقتصادهم بسبب حروبهم مع المسلمين ، وبسبب الحصار القوي الذي فرضه المسلمون علىٰ تجارتهم والذي أثر كثيراً علىٰ أموالهم واقتصادهم ، فأخذوا يفكرون في أمرهم ، وما آل إليه مصيرهم ، منتظرين الفرصة السانحة للانقضاض علىٰ المسلمين ، ووجدوا ضالتهم في اليهود الذين بدأوا يحرضون المشركين وقبائل العرب ضد المسلمين ، فتحالفوا معهم ، وهم الذين أوقدوا نار المعركة حين ذهب نفر من كبرائهم يطوفون بأنحاء الجزيرة كلها يحرضون ويغرون بحرب المسلمين، فبدأوا بكفار قريش ووعدوهم بالقتال معهم ، وأفتوهم بأن دينهم خير من دين محمد ﷺ وأنهم أولىٰ بالحق منه، وأعطوهم المواعيد بالنصرة والمساندة حتىٰ دخل هذا الإغراء في نفوسهم ، فنشطت قريش لما دعوهم إليه ، وأجمعوا أمرهم لذلك وأعدوا عدتهم لحرب المسلمين ومباغتتهم والقضاء عليهم في ديارهم، كما ذهب وفد من اليهود إلىٰ غطفان من قيس عيلان ، واستمالوهم وأعطوهم الآمال ووعدوهم بأن لهم نصف خيبر ، وجالوا في أنحاء الجزيرة العربية يحرضون قوافلها علىٰ حرب المسلمين ،

فأتوا بني مرة، وفزارة ، وأشجع، وسليم ، وبني سعد، وقد نجح اليهود في تأليب قبائل العرب على المسلمين وتحريضهم على محاربتهم ، وفي الموعد المحدد خرجت تلك الجموع تحت إمرة كفارقريش وتحت قيادة أبي سفيان ، وجعلوا وجهتهم المدينة قاصدين محاصرتها والقضاء على الإسلام والمسلمين ، وقد أعدوا لهذا الأمر عدته ، فحشدوا جيوشهم الذي بلغ عددها عشرة آلاف مقاتل مجهزين بكل أنواع السلاح والعتاد وتجمعوا على شكل ثلاث مجموعات تضم :

كفار قريش، واليهود، وقبائل العرب . تحت قيادة أبي سفيان كقائد أعلى فهوالقائم على شؤونهم ، المدبر لأمرهم، وقد وقعت هذه الغزوة في شوال سنة خمس من الهجرة وهو قول الجمهور ، وقيل في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة، وقيل سنة أربع من الهجرة(١) .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ، وما أجمعوا له من الأمر، وجد نفسه ـ عليه الصلاة والسلام ـ والمسلمين أمام هجوم عام وقاس في ديارهم ، وأمام خطر داهم لم تتعرض بلادهم لمثله من قبل ، فما كان من الرسول القائد إلا أن أقبل على أصحابه يستشيرهم ويستنير برأيهم لمعرفة مدى ما لديهم من طاقات المقاومة والصمود، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خندق يحول بين العدو المهاجم وبين المدينة ، فأمر رسول الله ﷺ بحفره ، فبادر المسلمون

---

(١) الواقدي، المغازي : ٢/ ٤٤١ ـ ٤٤٤ .
وابن هشام ، السيرة : ٣/ ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .
وابن سعد ، الطبقات : ٢/ ٦٥ ، ٦٦ .
وابن كثير ، السيرة : ٣/ ١٨٠ ـ ١٨٢ .

بذلك ، ومعهم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، وكان حفر الخندق أمام جبل اسمه سلع ، ويكون جبل سلع هذا خلف ظهور المسلمين بينما يكون الخندق أمامهم ، ويقع بينهم وبين المشركين .

خرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين فتحصنوا بالجبل من خلفهم والخندق أمامهم (١) ، ويعد حفر الخندق حول المدينة خطة حربية دفاعية لم يعرفها العرب من قبل ؛ لأنهم كانوا يؤثرون المبارزة والمواجهة على الاحتماء ، ويفتخرون بمقارعة الأبطال ، ولكن رسول الله ﷺ أراد أن يدفع عن أمته سطوة هذا الهجوم الذي أجمع عليه الكفار ، وحشدوا له كل طاقاتهم . وكان الخندق في الجهة الشمالية من المدينة مما يلي الشرق ، لأنها هي الناحية التي يسهل منها الهجوم ، فالمدينة من الشرق والغرب والجنوب حِرَّات مرتفعة يصعب مهاجمتها في حين يسهل الدفاع عنها ، وقد وكل رسول الله ﷺ لكل جانب من الخندق قوماً ، وجعل أربعين ذراعاً بين كل عشيرة وأخرى (٢) .

ولما تم إعداد حملة قريش ومن معهم من اليهود وقبائل العرب وغيرهم ، بقيادة أبي سفيان بن حرب ، توجه جيش الأحزاب إلى المدينة ، وقد أُطلق اسم الأحزاب على هذا الجيش لكثرة ما اشترك فيه من الأحلاف والقبائل ، إلا أنهم فوجئوا بوجود الخندق حول المدينة ، فقاموا بعدة محاولات لاقتحامه ، فأخذوا يدورون حوله غضاباً ، وفشلوا في الوصول للمسلمين الذين أخذوا يمطرونهم بوابل من سهامهم حتى لا يقتربوا

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٢٧١ .

(٢) المباركفوري ، الرحيق المختوم : ٢٩٣ .

الخندق، عندئذ لم يكن أمام الأحزاب سبيل إلا فرض الحصار على المسلمين واستمر الحصار أربع وعشرين ليلة(١) دون قتال ومواجهة مسلحة مباشرة، بل اقتصرت المواجهة على المراماة والمناضلة.

ذكر ابن إسحاق أن بعض المشركين اقتحموا الخندق، منهم عمرو بن عبدوُدّ، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب وغيرهم، عندما تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق، وجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أن عليا بارز عمرو بن عبد ود ـ فارس قريش ـ وقتله، وانهزم الباقون وفروا من الخندق هاربين(٢) إلى معسكرهم خارج الخندق.

ظلت مناوشات المشركين للمسلمين وتراشقهم معهم بالنبل دون انقطاع طيلة مدة الحصار، ثم حدث شيء لم يكن بالحسبان إذ هبت رياح هوجاء مصحوبة ببرد شديد، فلم يعد المرء يهتدي إلى مكان رحاله، وقد تبعثرت خيام المشركين وما كان معهم من مؤن وعتاد، فاضطرب معسكرهم، ودبَّت الفرقة في صفوفهم، ، وسرى بينهم التخاذل، فما كان من أبي سفيان إلا أن ضاق بها ذرعاً فنادى في الأحزاب بالرحيل، قائلاً: «يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء،

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢/ ٦٧، ٦٨، ٧٣.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٣/ ٢٣٥، ٢٣٦.

فارتحلوا فإني مرتحل»(١) .

وكانت هذه الريح من جنود الله الذين أرسلهم على المشركين ، وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾(٢) .

قال القرطبي (٣) : «وكانت هذه الريح معجزة للنبي ﷺ لأن النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريباً منها ، لم يكن بينهم وبينها إلا عرض الخندق ، وكانوا في عافية منها ، ولا خبر عندهم بها . . . وبعث الله تعالى عليهم الملائكة فقَلَعت الأوتاد وقطَّعت أطناب الفساطيط (٤) ، وأَطفأت النيران ، وأَكفأت القدور ، وجالت الخيول بعضها في بعض ، وأرسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملائكة في جوانب العسكر حتى كان سيد كل خباء يقول : يا بني فلان هلم إليَّ ، فإذا اجتمعوا قال لهم : النجاة النجاة ، لما بعث الله عليهم من الرعب»(٥) .

وختم الله هذا الامتحان العسير بهذه النهاية بعد أن جنب المسلمين شر

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٢٤٣ .

(٢) الأحزاب : ٩ .

(٣) أبو عبد الله ، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي ، من كبار المفسرين . رحل إلى الشرق الإسلامي واستقرَّ بمصر ، وتوفي فيها بالصعيد سنة ٦٧١هـ ، له مؤلفات كثيرة ، منها : الجامع لأحكام القرآن .
ابن فرحون ، الديباج : ٢/ ٣٠٨ .

(٤) نوع من الأبنية يتخذ في السفر .

(٥) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ١٤/ ١٤٤ .

القتال، قال تعالىٰ : ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾(١) .

وكان هذا النصر من عند الله سبحانه وتعالىٰ لدعاء رسولهم الكريم الذي دعا علىٰ المشركين قائلاً : «**اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم** »(٢) .

إن معركة الأحزاب لم تكن معركة مواجهة وخسائر ، بل كانت معركة أعصاب وامتحان ، لم يجر فيها قتال مرير ومقابلة بالسيوف والسلاح ، إلا أنها كانت من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام تمخضت عن تخاذل وخيبة المشركين ومن حالفهم وشعورهم بالمهانة والضعف أمام هذه الفئة القليلة المؤمنة بالله ، ولذلك قال الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينما تم انسحاب جيوش الأحزاب: «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم**»(٣) .

يقول ابن حجر في شرحه لهذا الحديث : «في الحديث إشارة إلىٰ أنهم رجعوا ، أي الأحزاب ، بغير اختيارهم ، بل بصنع الله تعالىٰ لرسوله . . . وفيه علم من أعلام النبوة »(٤) ، فالذي حدث بعد غزوة الأحزاب هو ما

---

(١) الأحزاب : ٢٥.

(٢) صحيح مسلم : ٣/ ١٣٦٣ (كتاب الجهاد والسير ـ باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو).

(٣) فتح الباري : ٧/ ٤٦٧ (كتاب المغازي ـ باب غزوة الخندق وهي الأحزاب).

(٤) ابن حجر ، فتح الباري : (٧/ ٤٦٨ (كتاب المغازي ـ باب غزوة الخندق وهي الأحزاب).

يتفق مع ماذكره الرسول ﷺ .

ومن النتائج والآداب والحكم التي تضمنتها غزوة الخندق :

ـ كانت المرحلة التي وقعت فيها غزوة الخندق ، مرحلة دفاع ، حيث كان المشركون ومن حالفهم من أعداء الإسلام ؛ هم البادئون بالاعتداء ، والمسلمون مدافعون عن أنفسهم . فكان هؤلاء الأعداء هم الذين هاجموا المسلمين في بلادهم ؛ الأمر الذي جعل الحرب من جانبهم دفاعية مشروعة ، ومن جانب أعدائهم عدوانية غير مشروعة ، فإن مشركي قريش ومن تحالف معهم من اليهود والوثنيين خرجوا في جيش كبير قاصدين المدينة للقضاء على الرسول ﷺ والمسلمين ولكنهم لم يستطيعوا القضاء على المسلمين ، وفي هذه المرحلة فرض الله الجهاد على المسلمين، وأصبح لزاماً عليهم أن يحذروا عدوهم، وأن يعدّوا عدتهم ، لرد أي اعتداء يوجه إليهم، أو يقف في طريق دعوتهم. وبعد هذه الغزوة تحول موقف المسلمين من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم ، مما مهد الطريق إلى صلح الحديبية ومن ثم فتح مكة ، بينما التزم كفار قريش ومشركيها ومن تحالف معهم بموقف الدفاع مما أدى إلى استسلامهم ودخول الكثير منهم في دين الله ، كما أثبتت الأيام صدق ذلك.

ـ تبين أن اليهود قد نقضوا عهدهم مع الرسول ﷺ وأثاروا الحمية في نفوس أعداء الإسلام وحرضوهم على محاربة النبي ﷺ في المدينة ، وتعاهدوا معهم على نصرتهم للقضاء على الإسلام والمسلمين ، وتبين أن لديهم الاستعداد للتحالف مع كل من يناصب الله ورسوله ﷺ والمؤمنين العداء، وأنهم لا يرعون المواثيق والمعاهدات إلا إذا كانت متمشية مع

أطماعهم ومكاسبهم وشهواتهم .

ـ إن حفر الخندق خطة حربية دفاعية ، ودليلاً مادياً على أن المسلمين لايقصدون في دعوتهم الحرب أو إراقة الدماء ، وأن الحرب في الإسلام ليست مقصودة لذاتها ، ذلك أن الإسلام إذا لم توضع في وجه دعوته الحواجز التي تمنع إيصالها إلى الناس ، فهو يؤثر السلم على الحرب .

ـ إن حفر الخندق يدخل في مفهوم معنى قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾(١) . فينبغي على المسلمين اتخاذ وسائل القوة الممكنة المتاحة لهم ، والتي تردع العدو وتخيفه وتحد من كبريائه ليركن إلى السلم .

ـ لقد كان الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ المثل الأعلى لولاة الأمر في العدالة والمساواة أسوة بأفراد الشعب ، يوم وقف مع أفراد جيشه ليعمل بيده في حفر الخندق ، فالعدالة والمساواة هما أساس واقعي تطبيقي من قيم الإسلام وآدابه في السلم والحرب ، وليس مجرد نصوص مكتوبة .

ـ تأصيل مبدأ الشورى في الإسلام ، فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ شاور أصحابه ، عندما علم بتجمع مشركي قريش وحلفائها وعزمهم على التوجه للمدينة للقضاء على الرسول ﷺ والمسلمين ، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق ، وسرعان ما أمر الرسول ﷺ أصحابه بتنفيذه .

٤ ـ فتح مكة :

في أواخر السنة السادسة للهجرة تم عقد صلح الحديبية بين الرسول محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبين كفار قريش ، كان من بين ما اتفق عليه

---

(١) الأنفال : ٦٠ .

الطرفان:

أن من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت قبيلة خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت قبيلة بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم، وكانت بين القبيلتين حروب ومنازعات هدأت لفترة ما بعد هذا الصلح.

ولما انتهى صلح الحديبية بتوقيع هذا الاتفاق بين رسول الله ﷺ والمشركين من قريش على أن تضع الحرب أوزارها بين الطرفين لمدة عشر سنين، وأن من دخل في عهد محمد وعقده دخل فيه، فدخلت خزاعة في عهد محمد ودخلت بكر في عقد قريش، وقد التزم الرسول ﷺ والمسلمون بما تعاهدوا عليه مع قريش، فكانوا أوفياء بعهدهم ملتزمين بكل ما تم الاتفاق عليه مع قريش.

أما قريش فقد خانت عهدها وأعانت قبيلة بكر وهم الذين دخلوا في عقدهم على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله ﷺ، ففي شهر شعبان سنة ٨هـ قامت قبيلة بكر بالاعتداء على قبيلة خزاعة، وأمدت قريش حلفاءها ـ قبيلة بكر ـ بالسلاح والمال سراً، فجاءت خزاعة إلى النبي ﷺ بالمدينة تنبئه بنقض قريش للعهد وتستنصره على بكر وقريش، فكان ذلك سبباً كافياً لإنهاء الهدنة، ولما علم أبو سفيان بذلك ذهب إلى المدينة يطلب إلى النبي ﷺ تجديد العهد، فأعرض عنه، فكان ذلك سبباً في فتح مكة(١).

(١) ابن هشام، السيرة النبوية: ٤/ ٣١، ٣٢، ٣٦ـ٣٨.
وابن القيم، زاد المعاد: ٣/ ٣٩٥ـ٣٩٧.

أمر رسول الله ﷺ أصحابه بأن يتجهزوا لمباغتة أهل مكة ، وقال : «**اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها**»(١) ، وأرسل ﷺ إلىٰ من حوله من العرب يقول لهم : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان في المدينة » فقدم من أسلم منهم حتىٰ تجمع عنده عشرة آلاف من المسلمين ، وتلاحق به ألفان ، فكانوا اثني عشر ألفاً من المهاجرين والأنصار وبقية القبائل المسلمة ، فخرج ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد العصر لعشر مضين من رمضان سنة ثمان من الهجرة ، ولما نزل رسول الله ﷺ بمر الظهران(٢) أمر بأن يوقد كل من كان معه في الجيش ناراً ، وكانت قريش قد أرسلت أبا سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يلتمسون أخبار رسول الله ﷺ فلما رأوا في الطريق نيراناً ، ارتاعوا وفزعوا (٣) ، ووضع الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ خطة الدخول إلىٰ مكة وعقد الألوية آخذاً في الاعتبار جميع الاحتمالات عند تنظيم خطته لدخول مكة ، كانت تلك الخطة تؤمّن تطويق البلد من جميع جهاته بقوات مكتفية بذاتها بإمكانها العمل مستقلة عن القوات الأخرىٰ عند الحاجة ، وبذلك تستطيع القضاء علىٰ أي مقاومة في أي جهة من مكة ، كما تؤمّن توزيع قوات قريش

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٤/ ٣٩ .

(٢) مر الظهران : هو واد كانت به عيون ونخيل لأسلم وهذيل وغاضرة ، قريب من مكة من جهة الشمال .

ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٥/ ١٠٤ .

(٣) ابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٤ ، ٤١١ .

وابن كثير ، السيرة النبوية : ٣/ ٥٥٦ ـ ٥٦٣ .

إلىٰ أقسام لمقاومة كل فرقة من فرق المسلمين علىٰ انفراد[(١)] ، فتضعف بذلك قوات قريش في كل مكان ولا تستطيع المقاومة مما يقلل من الخسائر البشرية للمسلمين قدر الإمكان .

ولما دنا الرسول ﷺ من مكة قسم جيشه إلىٰ خمس فرق ، وعين لكل فرقة قائداً خاصاً بها ، وحدد النبي ﷺ لكل قائد جهة معينة يدخل منها إلىٰ مكة ، فأمر الزبير بن العوام أن يدخل بفرقته من جهة كُدي[(٢)] ، وأمر سعد ابن عبادة[(٣)] أن يدخل من جهة كداء[(٤)] ، وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من جهة اللِّيط[(٥)] والخندمة[(٦)] ، وأمر أبي عبيدة عامر بن الجراح أن يدخل بفرقته من الجهة الشمالية الغربية حتىٰ وقف بين يدي رسول الله ﷺ ، والفرقة الخامسة بقيادته ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع بقاء قيادة الجيش العامة له ، وقد دخلت مكة من أذاخر في الجهة الشمالية الغربية حتىٰ نزلت بأعلىٰ مكة[(٧)] .

---

(١) خطاب ، الرسول القائد : ٢٣٦ .

(٢) كُدي : ثنية بأسفل مكة من جهة جرول .

(٣) كانت راية الأنصار مع سعد بن عبادة ، فلما مر بأبي سفيان قال له : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشاً ، فلما علم رسول الله ﷺ بما قاله سعد ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : بل اليوم يوم تعظم نيه الكعبة ، اليوم يوم أعز الله فيه قريشاً ، ثم أرسل إلىٰ سعد ، فنزع منه اللواء ، ودفعه إلىٰ ابنه قيس ورأىٰ أن اللواء لم يخرج عن سعد ، فقيل : إنه دفعه إلىٰ الزبير ، وقيل : إنه دفعه إلىٰ علي بن أبي طالب .

(٤) هي العقبة الصغرىٰ التي بأعلىٰ مكة وتعرف اليوم باسم ريع الحجون .

(٥) هو أسفل وادي ذي طوىٰ ويقع فيه الآن حي جرول والحفاير .

(٦) اسم جبل في مكة .

(٧) الواقدي ، المغازي : ٢/ ٨٢٥ .

وابن هشام ، السيرة النبوية : ٤/ ٤٩ .

وابن سعد ، الطبقات الكبرىٰ : ٢/ ١٣٥ ، ١٣٦ .

وما يؤكد ذلك ما ورد في صحيح مسلم من أن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : «**أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة فبعث الزبير على إحدى المجنِّبتين**(١)**، وبعث خالداً على المجنِّبة الأخرى، وبعث أبا عبيدة على الحُسَّر**(٢)**، فأخذوا بطن الوادي ورسول الله في كتيبة**» (٣) .

وما ورد في صحيح البخاري عن هشام بن عروة(٤) عن أبيه ـ عند ذكر قصة إسلام أبي سفيان ومرور كتائب جيش المسلمين أمامه في مرِّ الظهران ـ الخبر يقول : « . . . **حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها ، قال : من هذه ؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية**» (٥) .

وأوصى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قادة الجيش أن لا يقتلوا ، وأن لا يسفكوا دماً، إلا إذا أكرهوا على ذلك ، واستثنى نفراً بسبب ما ألحقوه من أذى شديد وتنكيل بالمسلمين ، وقد أهدر دم هؤلاء ليكون في إهدار دمهم عبرة للطغاة والمستهترين بأرواح الأبرياء في كل زمان ومكان ، وتقدم النبي

(١) المجنِّبة من الجيش : جناحه ، وهما مجنِّبتان ميمنة وميسرة .

(٢) جمع حاسر ، وهو الذي لا درع عليه ولا مغفر .

(٣) مسلم ، صحيح مسلم : ٣/ ١٤٠٥ (كتاب الجهاد والسير ـ باب فتح مكة) .

(٤) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي ، من أئمة الحديث ، تابعي من علماء المدينة ، ولد فيها سنة ٦١هـ ، وكان ثبتاً متقناً توفي في بغداد سنة ١٤٦هـ .
ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٧/ ٣٢١ .
والذهبي ، تذكرة الحفاظ : ١/ ١٤٤ .
وابن العماد ، شذرات الذهب : ١/ ٢١٨ .

(٥) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي : ٣/ ٦١ (كتاب المغازي ـ باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح » .

ﷺ صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان نحو مكة ، فرأىٰ أهلها لا يقاومونه فانحنىٰ لله شاكراً، ودخلت الجيوش الإسلامية مكة دون مقاومة إلا الفرقة التي بقيادة خالد ابن الوليد، فقد لقيه جمع من المشركين في الخندمة لم يحترموا الأمان الذي أعلنه الرسول ﷺ لأهل مكة ، فقاتلوا ، وكان من بين من قتل من هذا الجمع عكرمة بن أبي جهل ، أحد الأشخاص الذين أُهدر دمهم ، فلما علم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بما وقع من خالد ، وأنه أقدم علىٰ القتال لما قوتل ، قال : «**قضى الله خيراً**»(١) .

ولما كان الغد من يوم الفتح قام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً، فحمد الله، وأثنىٰ عليه ، ومجده بما هو أهل له ، ثم قال : «**أيها الناس، إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دماً أو يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فقولوا : إن الله أذن لرسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما حلت لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب**»(٢) .

عندئذ تبين لأهل مكة الحق وعلموا أن لا سبيل إلىٰ الفلاح إلا

---

(١) الواقدي ، المغازي : ٢/ ٧٨٠ـ٨٢٦ .

وابن هشام ، السيرة النبوية : ٤/ ٣٩، ٤٢ ، ٤٤، ٤٩ـ٥١ .

(٢) المصدر السابق : ٤/ ٥٨ .

وفتح الباري : ٧/ ٦١٤ (كتاب المغازي ـ باب إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس) .

ومسلم ، صحيح مسلم : ٢/ ٩٨٧ (كتاب الحج ـ باب تحريم مكة . . .) .

وابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٤١١ ، ٤١٢ .

بالإسلام ، فأذعنوا له ، واجتمعوا للبيعة ، فجلس رسول الله ﷺ على الصفا يبايع الناس ، فبايعوه على السمع والطاعة فيما استطاعوا(١) ، وهكذا كانت غزوة فتح مكة ، معركة فاصلة بين الحق والباطل ، قال تعالى : ﴿ ... جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾(٢) .

وبهذا الفتح العظيم سيطر المسلمون على الموقف السياسي والديني في الجزيرة العربية ، فقد انتقلت إليهم الصدارة الدينية والزعامة الدنيوية ، ولم يبق لأقوام العرب إلا أن يفدوا إلى الرسول ﷺ فيعتنقوا الإسلام ويحملوا دعوته إلى العالم .

ومن النتائج والآداب والحكم التي تضمنتها غزوة فتح مكة ما يلي:

ـ مشروعية استعمال أي سلاح يظهر قوة المسلمين أمام الأعداء ليزرع فيهم الخوف والرهبة مصداقاً لقوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(٣) ، وقد استعمل الرسول الكريم ﷺ مثل هذا السلاح في فتح مكة ، فعندما قرب من مكة ونزل بمر الظهران ، أمر ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأن يوقد كل من كان معه في الجيش ناراً ، وكانت قريش قد أرسلت أبا سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ليستطلعوا أخبار رسول الله ﷺ فرأوا في الطريق نيراناً ، فارتاعوا ، فقال أبو سفيان : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً ، وقال بديل : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب ، فقال أبو سفيان : خزاعة

---

(١) المباركفوري ، الرحيق المختوم : ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

(٢) الإسراء : ٨١ .

(٣) الأنفال : ٦٠ .

أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ، فكان الهدف من إيقاد النيران في ليلة الفتح هو القضاء على روح المقاومة في مشركي قريش ، وإجبارها على التسليم دون قتال .

ـ كان من التدبير الحكيم لرسول الله ﷺ عندما أمر أصحابه أن يتفرقوا في مداخل مكة ، فلا يدخلوها من طرف ومدخل واحد ، وذلك بغية تفويت فرصة القتال على أهل مكة إن أرادوا ذلك إذ يضطرون إلى تشتيت جماعاتهم وتبديد قواهم في جهات مكة وأطرافها فتضعف لديهم أسباب المقاومة ومغرياتها . وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك حقناً للدماء قدر الإمكان، وحفظاً للسلامة والأمن في البلد الحرام ، ومن أجل هذا أمر المسلمين أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، وأعلن الأمان لكل من وضع سلاحه وأغلق عليه بابه أو دخل المسجد أو دار أبي سفيان .

ـ كان فتح مكة انتصاراً للحق وإزهاقاً للباطل فحطمت الأصنام ، وارتفعت راية الإسلام ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً .

ـ إن المتمعن في هذه الغزوة يلمس الآداب الإسلامية في الحرب ومدى سماحة الرسول ﷺ وعفوه عمن أساء إليه ، يتجلى ذلك في أكثر من موقف في أثناء الفتح وبعده ، في العفو والصفح ليقتفي بذلك المسلمون من بعده فيعفوا ويصفحوا عمن أساء إليهم ويصبح العفو خلقاً إسلامياً سائراً بينهم ، وليكون بذلك رداً فعلياً على الحاقدين على الإسلام الذين يفترون عليه كذباً وادعاء بأنه ما قام إلا بحد السيف فها هو رسول الله ﷺ في قمة انتصاراته يعطي الدرس في العفو والتسامح ، وتمثل ذلك في موقفه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من صفوان بن أمية ، فعندما فر هارباً يريد أن يرمي بنفسه في

البحر ، لحق به ابن عمه عمير بن وهب بعد أن أخذ له أماناً من الرسول ﷺ يتمثل هذا الأمان في عمامته ـ عليه الصلاة والسلام ـ كعلامة تلقي في قلبه الطمأنينة والأمان ، فلما أراه العمامة رجع إلىٰ رسول الله ﷺ وقال له : إن هذا يزعم أنك أمنتني قال : صدق، قال: أمهلني بالخيار شهرين ، قال: أربعة أشهر ، لم يمض سوىٰ زمن يسير حتىٰ عاد وأسلم وحسن إسلامه(١) .

هذا، إضافة إلىٰ العفو الشامل الذي أصدره الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن قريش ، فبعد أن دخل رسول الله ﷺ ومن معه مكة منتصراً طاف بالبيت الحرام ثم استدعىٰ عثمان بن طلحة ففتح الكعبة ودخلها، فلما جلس ﷺ في المسجد قام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده فقال: يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية ، فقال رسول الله ﷺ : أين عثمان بن طلحة؟، فدعي له ، فقال: «**هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء**»(٢) .

ـ بعد أن منَّ الله علىٰ رسوله ﷺ بدخول مكة منتصراً وقف وهو القائد المنتصر مخاطباً قريش التي وقفت بالأمس في سبيل دعوته وأخرجته من مكة، بعد أن تعرضت له ولمن آمن به بالإيذاء ، وحاربته في المدينة تريد القضاء عليه وقت أن كانوا أقوياء، وهم اليوم ضعفاء أذلاء وقد نصره الله عليهم قائلاً: «**يامعشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟** » قالوا : خيراً، أخ كريم ، وابن أخ كريم، قال: «**فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته :**

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٤/ ٦٠ .
وابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٤١٣ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٤/ ٥٥ .

لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء»[١] . فلو كان الجهاد في الإسلام لإكراه الناس على الدخول فيه ، لفعل الرسول ﷺ كما يفعل قادة الاستعمار في العصر الحديث من القتل الجماعي والإبادة الجماعية وفتح السجون والمعتقلات وغير ذلك من وسائل التنكيل والتعذيب ، ولكنه ﷺ وهو في موقف القوة يصدر قراراً بالعفو الشامل على من آذوه وأخرجوه وحاربوه بالأمس، ثم هم اليوم يقفون بين يديه ضعفاء أذلاء ، إنها الآداب الإسلامية في السلم والحرب على حد سواء .

ـ تبين قصة فتح مكة أهمية الهجرة منها قبل ذلك ، والتضحية بالأرض والوطن والمال والأهل والعشيرة في سبيل الإسلام .

ـ وفي قصة فتح مكة يدرك الإنسان المسلم أهمية الحرب في الإسلام، فهي غاية الجهاد في سبيل الله ، والاستشهاد والمحن التي تمت في الحروب التي سبقته، فلم ترق نقطة دم لمسلم هدراً ، وبالمقابل لم ترق نقطة دم غير المسلم دون مبرر شرعي ، فالمصادمات التي تمت مع المسلمين كانت تفرض عليهم ذلك إنهم لم يتعمدوا القتال لأجل القتل وإذلال الناس، كما تمسكوا دائماً بآداب الحرب في الإسلام ، فلا تمثيل ولا غدر ولا وحشية .

ـ يؤخذ من الطريقة التي قصد بها رسول الله ﷺ فتح مكة ، أنه يجوز لإمام المسلمين أن يفاجئ العدو بالإغارة والحرب عند خيانته العهد ونبذه له، ولا يجب عليه أن يعلمهم بذلك . أما إذا لم تقع الخيانة ، وإنما خيف منهم

---

(١) البيهقي ، السنن الكبرى : ٩/ ١١٨ (كتاب السير ـ باب فتح مكة) .
وابن القيم ، زاد المعاد: ٣/ ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

ذلك ، وظهرت علامات قوية تدل عليها ، فلا يجوز حينئذ لإمام المسلمين أن يفاجئهم بالحرب وإنما لا بد من إعلامهم بنبذ العهد قبل القتال .

ـ إن صلح الحديبية كان مقدمة لفتح مكة وسبباً من أسبابها التي قدرها الله، فبسببه دخل كثير من الناس في دين الإسلام وجهر من كان يخفي إسلامه في مكة بدينه ودعى إليه، وبسببه فتحت مكة بعد أن نقضت قريش عهدها ، يقول ابن القيم معلقاً على ذلك : «وهذا شأنه سبحانه وتعالى أن يقدم بين يدي الأمور العظيمة مقدمات تكون كالمدخل إليها المنبئة عنها »[1] .

ـ أن رسول الكفار لا يقتل ، فهو في أمان المسلمين ما دام في دارهم ، ورغم أن أبا سفيان كان ممن جرى عليه حكم انتقاض العهد، إلا أن رسول الله ﷺ لم يقتله أو يأمر بقتله ؛ إذ كان رسول قومه إليه .

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٤١٩ .

المبحث الثالث

حروب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع اليهود

حروب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع اليهود

١ ـ موقف اليهود من الدولة الإسلامية الناشئة :

منذ أن قَدِم النبي محمد ﷺ وأصحابه المدينة ، عامل اليهود معاملة تتسم بالرفق والإحسان ، وبسط لهم يد المسالمة والتعاون معهم على النهوض بالمدينة ، ورد أي اعتداء خارجي عليها ، فعقد معهم معاهدة أوجبت لهم النصرة والحماية ، وأعطتهم الأمان وكفلت لهم حرياتهم الدينية ، ومما ورد في المعاهدة : « . . . وأنه من تبعنا من يهود ، فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ، ولا متناصر عليهم ، . . . وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن يهود . . . أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يُوتغ[١] إلا نفسه وأهل بيته . . . وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبِرّ دون الإثم ، وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم ، . . . وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، . . . وأن بينهم النصر على من دهم يثرب . . . وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جارٌ لمن برَّ واتّقى ، ومحمد رسول الله »[٢] ﷺ .

---

(١) يُوتغ : يهلك .

(٢) ابن هشام ، السيرة : ٢/ ١٤٧ ـ ١٥٠ .

والسهيلي ، الروض الأنف : ٢/ ١٦ ، ١٧ .

وقد كشفت الأيام أن اليهود أبرموا هذه المعاهدة ليخدعوا المسلمين، وليدبروا لهم في السر ما يفسدون به أمرهم، فلم يخلصوا في عهدهم، فقد بين القرآن الكريم خيانتهم، وإنكارهم للدعوة الجديدة وموقفهم العدائي من الإسلام حيث يقول الله تعالىٰ عنهم: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ * أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١).

والمعنىٰ: اذكروا نعم الله عليكم، وأوفوا بعهده، وآمنوا برسوله محمد ﷺ الذي تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة، ولا تكونوا أول الكافرين بهذا النبي لعلمكم ببعثه وبالقرآن المنزل عليه من عند الله تعالىٰ المصدق لما بين أيديكم من التوراة يوفي الله بعهدكم، ولا تخلطوا الحق بالباطل وتكتموا ما عندكم من العلم والمعرفة، فلا تأمروا الناس بالبر والخير وتنسوا أنفسكم، فإنكم أنتم لاتأتمرون بما تأمرون الناس به مع أنكم تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه من الحق والصدق، أفلا تعقلون فتنتبهوا من رقدتكم وتبصروا من عماكم(٢).

بدأ اتصال رسول الله ﷺ والمسلمون باليهود حينما هاجروا من مكة

---

(١) البقرة: ٤٠ ـ ٤٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية: ٢/ ١٨١، ١٨٢.

وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ١/ ١٤٣ ـ ١٤٨.

المكرمة إلى المدينة المنورة ، فقد وجدوا أنفسهم في مواجهة اليهود الذين كانوا أصحاب الغلبة والسيادة في المدينة وكانوا يتباهون على الأوس والخزرج بدينهم ، ويعيبون عليهم أنهم عبدة الأوثان ، ويستنصرون على من حاربهم بالنبي المنتظر لعلمهم بقرب بعثته ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأنهم يجدون نعته في التوراة ، وقد حكى القرآن الكريم قولهم هذا في قوله تعالى : ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾(١) . جاء في تفسير ابن كثير أنه : لما جاءهم ـ يعني اليهود ـ كتاب من عند الله وهو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ مصدقاً لما معهم ـ يعني من التوراة ـ وكانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم ، يقولون : إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وإرم(٢) .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ « أن يهود كانوا يستفتحون(٣) على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء وداود بن سلمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ﷺ ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ،

(١) البقرة : ٨٩ .

(٢) ابن هشام ، السرة النبوية : ٢/ ١٩٠ .

وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ١/ ٢١٧ .

(٣) ومعنى الاستفتاح ، أي الاستنصار ، يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل أن يبعث النبي محمد ﷺ .

وتصفونه بصفته ، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكر لكم » ، فأنزل الله قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ... ﴾(١) .

وتهديد اليهود للأوس والخزرج بنبي آخر الزمان ، وأنه قد أطل زمانه ، هو الذي دفعهم أي الأوس والخزرج للمسارعة في مبايعة النبي ﷺ عندما لقيهم عند العقبة لأول مرة ، قال ابن إسحاق : «فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ، ودعاهم إلىٰ الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلمون والله أنه النبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام (٢) .

من ذلك نرىٰ أن اليهود زرعوا بذور الفتنة بين الأوس والخزرج وأشعلوا نيران الحرب بينهم حتىٰ أنهكت قواهم ، واستحكمت العداوة بين القبيلتين حتىٰ ذهبت أموالهم ، وبلىٰ رجالهم ، فكان اليهود يستغلون ذلك أسوأ استغلال ، فهم يحالفون القبيلة المنهزمة علىٰ القبيلة المنتصرة لتضعف شوكتها حتىٰ يحتفظوا دون سواهم بالسلطة والسيادة وموارد المال ، ويتولون الأعمال القيادية تاركين لهم أحقر الأعمال حتىٰ تكون القبيلتان في حاجة لليهود وتبعاً لهم .

وقد يئس الأوس والخزرج من هذه الحروب ، وعزموا علىٰ فض الخلاف بينهم بأي وسيلة ؛ خاصة أن أحدهما لا يرضىٰ أن تكون القيادة

---

(١) الطبري ، جامع البيان : ١/ ٤٥٥ .
والسيوطي ، أسباب النزول : ١/ ١٠ .
(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٢/ ٧٠، ٧١ .

للآخر ، فوجدوا في رسول الله ﷺ ضالتهم المنشودة ، وقبلوا أن يجتمعوا إليه ، فقالوا له عندما التقوا به عند العقبة يا رسول الله : «إنا قد تركنا قومنا ، والقوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسىٰ أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهم إلىٰ أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه ، فلا رجل أعز منك»(١) .

وهذا القول يكشف عن حقيقة بيعة الأنصار لرسول الله ﷺ إذ أنهم راموا إلىٰ توحيد القبيلتين وفض ما بينهما من الشقاق والنزاع ، والابتعاد عن اليهود الذين يضعون الدسائس ويزرعون الفتن والوقيعة فيما بينهما .

كان الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ والمسلمون أوفياء بعهدهم مع اليهود منذ أن قدم المدينة وأبرم العهد بينه وبينهم ، ولكن ظل العداء من اليهود ، فلم يخلصوا لعهدهم ، حيث لم يبرموا هذا العهد إلا ليخدعوا المسلمين .

استعمل اليهود سلاح الجدل واللجاج ضد الرسول ﷺ والكيد له والتهجم عليه والسخرية منه والتشكيك فيما جاء به وإثارة الفتنة من حوله ، واتخذوا من المعاهدة التي أبرمها الرسول ﷺ معهم ، ستاراً للدس والوقيعة بين المسلمين .

لقد لاقىٰ المهاجرون ـ من اليهود ـ عند قدومهم إلىٰ المدينة عداوة أشد وأنكىٰ من عداوة قريش ، وأمام عجزهم عن إظهار عدائهم السافر للرسول ﷺ والمسلمين ، ورغم مسالمتهم الظاهرية فقد لجأوا إلىٰ حروب خفية حشدوا

---

(١) ابن هشام ، السيرة : ٢/ ٧١ .

لها كل ما عرفوا به من دهاء ومكر وخداع .

قال ابن إسحاق : نصبت أحبار اليهود لرسول الله ﷺ العداوة بغياً وحسداً وضغناً ؛ لما خص الله تعالىٰ به العرب من أخذه رسوله منهم ، وأضاف إليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان بقي علىٰ جاهليته ، فكانوا أهل نفاق علىٰ دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث ، إلا أن الإسلام قهرهم بظهوره ، واجتماع قومهم عليه فظهروا بالإسلام واتخذوه جُنَّة من القتل ، ونافقوا في السر ، وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي ﷺ وجحودهم الإسلام ، وكانت أحبار يهود هم الذين يسألون رسول الله ﷺ ويتعنتونه ، ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل ، فكان القرآن ينزل فيهم فيمايسألون عنه ، إلا قليلاً من المسائل في الحلال والحرام كان المسلمون يسألون عنها(١) .

بدأت هذه المواقف من اليهود منذ اليوم الأول للهجرة النبوية إلىٰ المدينة ولم يكن الإسلام قد رسخ بعد في قلوب الأنصار حيث كانوا حديثي عهد بالإسلام ، ولذلك فقد عهد اليهود أول ما عهدوا إلىٰ الإرجاف حول الإسلام والتشكيك فيه وتكذيب النبي الكريم ، وتنفير القلوب منه ، فجلسوا حلقات حول الرسول ﷺ يفاجئونه بين الفينة والأخرىٰ بما يوقع الاضطراب في النفوس والزعزعة في العقيدة ، ومن الأساليب التي استعملوها في ذلك تهجمهم علىٰ ذات الله تعالىٰ(٢) .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٢/ ١٦٠ .

(٢) المرجع السابق : ٢/ ٢١٦ ـ ٢٢٠ .

وقد وقف اليهود من النبي ﷺ موقف التحدي ، فكانوا يطالبونه بأن يأتي إليهم بالمعجزات ويسألونه عن أشياء بنية التعجيز والتحدي لا بقصد العلم والتعليم ، حيث سألوه عن الساعة كما سألوه أن ينزل عليهم كتاباً من السماء يقرأونه ، كما تآمروا على رسول الله ﷺ ليفتنوه عن دينه فقالوا له : يا محمد ، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم وأنا إن اتبعناك اتبعتك يهود ، ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، أفنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدقك ؟ فأبى ذلك رسول الله ﷺ عليهم [١] ، فأنزل الله فيهم : **﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾** [٢] .

ومن أساليب اليهود في الدس والخديعة ما قاله بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ، ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينه [٣] ، فكان أن أنزل الله فيهم قوله تعالى : **﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ***

---

(١) ابن هشام ، السيرة : ٢/ ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢١٩ .

(٢) المائدة : ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) الطبري ، جامع البيان : ٣/ ٣١٠ ، ٣١١ .
وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٥٦ ، ٥٧ .

وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(١) .

وكان مما يزيد من خطورة هذه الأساليب الماكرة ، أن المسلمين كانوا لا يزالون يثقون باليهود ويقدرون معرفتهم في الأمور العقدية ؛ لكونهم أهل كتاب ، ولكن الله كان لهم بالمرصاد .

ومن الوسائل الخبيثة التي لجأ إليها اليهود لإثارة الفتنة بين المسلمين لزرع العداوة فيما بينهم استعمال التلبيس والدس بين المسلمين ، وتدل علىٰ ذلك قصة شاس بن قيس ، وقد كان شديد الغيظ علىٰ المسلمين ، شديد الحسد لهم ، مرَّ ذات يوم علىٰ نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاظه ما رأىٰ من محبتهم وتآلفهم واجتماعهم علىٰ الخير وصلاح ذات البين فيما بينهم علىٰ الإسلام بعد الذي كان بينهم من الضغينة والعداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار ، فأمر أحد الشباب من يهود كان معه فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بعاث ، يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس علىٰ الخزرج ، وكان علىٰ الأوس يومئذ حضير الأشهلي ، أبو أسيد بن حضير ، وعلىٰ الخزرج عمرو بن النعمان البياضي فقتلا جميعا ، ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتىٰ تواثب رجلان من القبيلتين علىٰ الركب فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رددناها الآن جذعة ، فغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا قد فعلنا موعدكم الظاهرة

(١) آل عمران : ٦٩ ـ ٧٢ .

السلاح السلاح ، فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتىٰ جاءهم فقال يا معشر المسلمين : الله الله أبدعوىٰ الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف بين قلوبكم ، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدوهم ، عدو الله شاس بن قيس(١) ، فأنزل الله في شاس بن قيس وما عمله من دس وفتنة قوله تعالىٰ : ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ....**﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾(٢) . قال ابن كثير : في هذه الآيات تعنيف من الله سبحانه وتعالىٰ للكفرة من أهل الكتاب علىٰ عنادهم للحق وكفرهم بآيات الله ، وصدهم عن سبيل الله ، وقد توعدهم الله علىٰ ذلك ، وأخبر بأنه شهيد علىٰ

---

(١) ابن هشام ، السيرة : ٢/ ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
والطبري ، جامع البيان : ٣/ ٣٧١ ، ٣٧٢ .
وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٨٥ ، ٨٦ .
(٢) آل عمران : ٩٨ ـ ١٠٥ .

صنيعهم ذلك ، فأخبر تعالىٰ أنه ليس بغافل عما يعملون(١) .

لم يقاتل الرسول ﷺ اليهود في المرحلة من هجرته ﷺ إلىٰ غزوة بدر الكبرىٰ امتثالاً لأوامر الله تعالىٰ في العفو والصفح عنهم قال تعالىٰ : **﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾**(٢) .

قال ابن كثير : ويقول الله تعالىٰ للمؤمنين عند مقدمهم المدينة قبل وقعة بدر مبيناً لهم ما ينالهم من الأذىٰ من أهل الكتاب والمشركين وآمراً إياهم بالصفح والصبر والعفو حتىٰ يفرج الله تعالىٰ الأمور فقال : **﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾**(٣) .

وقد ذكر ابن كثير أن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ قال : «كان النبي وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون علىٰ الأذىٰ ، حتىٰ أذن الله فيهم»(٤) .

لقد اعتمد رسول الله ﷺ في هذه المرحلة علىٰ سياسة أخذ أعدائه بالمطاولة إلىٰ أن ينقطع عذرهم لقوله تعالىٰ : **﴿... وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾**(٥) ، ولا يكون بعد ذلك عذر في أخذهم بالقوة .

وكان من بين أول ما ظهر من بوادر عداوتهم وبغضهم للمسلمين من

(١) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ٨١ .

(٢) آل عمران : ١٨٦ .

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ١٧١ .

(٤) المرجع السابق : ٢/ ١٧٢ .

(٥) الإسراء : ١٥ .

أقوالهم وأفعالهم ، أنهم فزعوا أشد الفزع حين بلغهم نبأ انهزام قريش في موقعة بدر ، فلم يطيقوا بعدها إسرار العداوة ، بل أعلنوها وجاهروا بها ، حتىٰ قال أحدهم يوم ذاك : ـ وهو كعب بن الأشرف ـ هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها(١) ، ونقضوا عهد المسالمة الذي عاهدوا عليه رسول الله ﷺ منذ قدم المدينة ، فانطلق شعراؤهم يستهزئون بالمسلمين ويهونون من شأن انتصارهم في بدر ، فنظمت عصماء بنت مروان الشاعرة اليهودية كثيراً من القصائد في هجاء الرسول بالكلام الساخر الذي يقلل من قيمة الرسول وقدره (٢) ، كما أنشد الشاعر اليهودي كعب بن الأشرف عدة قصائد في رثاء قتلىٰ القليب وحث فيها القرشيين علىٰ الأخذ بثأر قتلاهم ، بل بلغ من عداوته وغيظه أن أنشد قصائد عند عودته إلىٰ المدينة هجا فيها الرسول ﷺ وحرض علىٰ قتله وأشاد بقريش وأظهر الإخلاص لها مما أثار غضب الرسول فقال يوماً : «من لي بابن الأشرف» ، وبعد عدة أيام ، دفع كعب بن الأشرف حياته ثمناً لنظم قصائده وعداوته وعناده (٣) .

هذا وسوف يكون الحديث فيما يأتي متواصلاً عن قبائل اليهود وموقفها من الدولة الإسلامية الناشئة في المدينة ، وكيفية نقضها للعهد الذي تم إبرامه بين هذه القبائل وبين رسول الله ﷺ وعما وصل إليه مصير كل قبيلة

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٥٥ .

(٢) الواقدي ، المغازي : ١/ ١٧٢ .

وابن سعد ، الطبقات الكبرىٰ : ٢/ ٢٧ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٥٤ ـ ٦٠ .

نتيجة لتعاملها مع الرسول الكريم ، وخيانتها له ونقضها للعهد .

٢ - يهود بني قينقاع :

يمثل يهود بني قينقاع إحدىٰ قبائل اليهود المقيمين بالمدينة والذين تعاهدوا مع رسول الله ﷺ في أول مقدمه المدينة علىٰ العيش معاً في أمن وسلام ، ورد أي اعتداء خارجي علىٰ المدينة ونصرة المظلوم وغير ذلك مما ورد في وثيقة العهد .

وقد التزم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن معه من المهاجرين والأنصار بكل ما تم الاتفاق عليه ؛ بالرغم من أن عداء اليهود للرسول والمسلمين مستحكم ولم يكن ذلك بخاف علىٰ رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين .

وبعد الانتصار الذي حققه المسلمون علىٰ المشركين في غزوة بدر الكبرىٰ بقيادة الرسول محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، لم يستطع اليهود إخفاء عداوتهم للمسلمين فأظهروا عداءهم للرسول والمسلمين فكانوا بذلك أول يهود نقضوا عهدهم مع الرسول الكريم ﷺ في المدينة وحدث ذلك في النصف من شوال من السنة الثانية للهجرة[١] ، عندما اعتدىٰ أحد الرجال اليهود علىٰ تلك المرأة المسلمة التي قدمت إلىٰ سوق بني قينقاع بجلب لها فباعته وجلست إلىٰ جوار صائغ يهودي بالسوق ، فجعل هو ومن معه يراودونها علىٰ كشف وجهها فأبت ، فعمد الصائغ سراً إلىٰ طرف ثوبها

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرىٰ : ٢/ ٢٩ .
والطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٢/ ٥٥٧ .

فعقده إلىٰ ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا عليها ، فصاحت ، الأمر الذي أدىٰ إلىٰ أن أحد المسلمين تأثر بهذا الموقف الشنيع فوثب علىٰ الصائغ فقتله ، فوثبت اليهود علىٰ المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم بالمسلمين علىٰ اليهود ، فغضب المسلمون مما جعل نار العداوة تشتعل بين المسلمين وبين يهود بني قينقاع(١) .

أدرك الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ عداوة اليهود المعلنة ، وأنهم بعملهم هذا لا يبتغون الفتنة فحسب ، وإنما يريدون بجانب ذلك تحدي الرسول ووقف نفوذه والحد من سلطانه وتحطيم قوته وإظهاره ومن معه من المسلمين بمظهر العاجز الذي لا يستطيع أن يحرك ساكنا أو يرد اعتداءً للإهانة التي أصابت عرضه وشرفه، لذلك فقد جمع رسول الله ﷺ يهود بني قينقاع في سوقهم وحذرهم عاقبة أمرهم ، واستهانتهم بوصمة المسلمين في أعراضهم ، إلا أنهم أعلنوا الحرب صراحة علىٰ المسلمين وتفاخروا ، وأظهروا البغي والحسد ونقض العهد ، وكانوا أجرأ اليهود وأكثرهم مالاً وأشدهم بغياً (٢) ، وقال الله تعالىٰ فيهم : **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ ۞ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۞ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾** (٣) .

---

(١) ابن هشام ، السيرة : ٣/ ٥١ .
وابن سيد الناس ، عيون الأثر : ١/ ٣٨٥ ، ٣٨٦ .
(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرىٰ : ٢/ ٢٩ .
وابن سيد الناس ، عيون الأثر : ١/ ٣٨٦ .
(٣) الأنفال : ٥٥ ـ ٥٨ .

فلما نزل قوله تعالىٰ : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ قال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «**إني أخاف من بني قينقاع**» (١) .

ومع ذلك فإن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ سار إليهم ، وأنذرهم سوء العاقبة ، وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم ، وفي عهد الله إليكم فقالوا له يا محمد : لا يغرنك من نفسك أنك لقيت نفراً من قريش كانوا لا يعرفون القتال ، إنك والله لئن قاتلناك لتعلمن أنا نحن الناس ، وإنك لم تلق مثلنا (٢) ، وأمام إصرارهم وعنادهم نبذ إليهم عهدهم ، فكان ما كان من أمرهم وإجلائهم عن المدينة ، وأنزل الله فيهم قوله تعالىٰ : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (٣) ، وقد ذكر ابن عباس أن هذه الآيات نزلت في بني قينقاع وردهم الوقح على رسول الله ﷺ (٤) .

هكذا أعلن يهود بني قينقاع عداوتهم للمسلمين بعد أن كانوا مسالمين ،

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرىٰ : ٢/ ٢٩ .
والطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٢/ ٥٥٧ .
(٢) ابن هشام ، السيرة : ٢/ ٢٠١ ، ٣/ ٥٠ .
وابن سيد الناس ، عيون الأثر : ١/ ٣٨٥ .
(٣) آل عمران : ١٢ ، ١٣ .
(٤) الطبري ، جامع البيان : ٣/ ١٩٢ .
وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ١٤ .

وكان على المسلمين أن يأخذوا حذرهم منهم بعد أن انبعثت ريح الحرب من أفواههم وأفعالهم ، وأصبح شرهم متوقعاً في كل لحظة ، لا سيما وهم يجاورون المسلمين في مساكنهم ويخالطونهم في أعمالهم ويعرفون كثيراً من دخائلهم ويطلعون على كثير من أسرارهم ، فلم يكن بد من عمل حاسم يقي المسلمين شرهم ويقضي على كيدهم وخيانتهم ، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ ، فقد نبذ إليهم عهدهم فصارحهم بالعداوة وأنذرهم بالحرب فتحصنوا بحصونهم فحاصرهم خمسة عشر يوماً متتابعة لا يخرج منهم أحد ولا يدخل عليهم أحد بطعام ، فلما طال عليهم الحصار وعجزوا عن المقاومة بأنفسهم وانقطع أملهم في مساعدة حلفائهم المنافقين لهم ، أدركهم الرعب حتى لم يبق لهم حيلة يلجأون إليها إلا النزول على حكم نبي الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ حينئذ أدركوا خطورة أفعالهم فجلوا عن المدينة بنسائهم وأولادهم وما سمح لهم بحمله من أموالهم ومتاعهم حتى نزلوا بأذرعات على حدود الشام وبها أقاموا (١) .

لقد عاقب الرسول ﷺ يهود بني قينقاع بإخراجهم من المدينة لنقضهم للعهد وإعلانهم الحرب دون غيرهم من قبائل اليهود الأخرى ، وفي ذلك دليل على أن الإسلام دين يعامل الناس على قدر أفعالهم وما جنته أيديهم ولا يؤاخذ أحداً بجريرة غيره ، فهو دين عدل ورحمة ووفاء ، ليس دين غدر وخيانة واعتداء .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات الكبرى : ٢/ ٢٩ .
وابن سيد الناس ، عيون الأثر : ١/ ٣٨٦ .

وقد تضمنت غزوة بني قينقاع آداب وحكم منها :

ـ تدل مجريات هذه الغزوة على مدى ما يتصف به اليهود من طبيعة التآمر والخيانة والغدر مع من يعايشونهم أو يجاورونهم .

ـ كان يهود بني قينقاع أول من نكث العهد والميثاق من اليهود والذي عقدوه مع الرسول ﷺ عند أول مقدمه المدينة .

ـ دلت حادثة نقض العهد من بني قينقاع وما أظهروه من اعتداء على حقد وعداوة اليهود ولجوئهم إلى كل الوسائل للغدر بالمسلمين وإمامهم .

٣ ـ يهود بني النضير :

في السنة الثالثة للهجرة خرجت قريش بجموعها تريد محاربة الرسول ﷺ والمسلمين في المدينة ثأراً لقتلاهم في بدر ، والتقى جيش المسلمين بجيش المشركين في أحد ، ولما أصيب المسلمون في غزوة أحد استغل يهود بني النضير هذه الفرصة وأظهروا ما كانوا يخفونه من العداوة والبغضاء للنبي وأصحابه مع ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق ، فهم أصحاب دس ومؤامرة ، ومضوا يدبرون المكائد بالتآمر مع المنافقين والمشركين للقضاء على المسلمين(١) .

وطبقاً للمعاهدة التي تم الاتفاق عليها بين الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وبين اليهود ، ومن ضمن بنودها الدفاع المشترك عن المدينة إذا داهمها عدو ، فقد تم دعوة اليهود إلى الوفاء بالتزاماتهم المالية الناشئة عن

---

(١) المباركفوري ، الرحيق المختوم : ٢٨٢ ، ٢٨٣ .
وهيكل ، حياة محمد : ٣٠٨ .

تلك المعاهدة ، فذهب إليهم أبو بكر الصديق يحثهم على المساهمة في الدفاع عن المدينة ضد الخطر الذي دهمها ، ويدعوهم كذلك إلى الإيمان بالرسول ﷺ (١) ، ولكنهم قابلوه مقابلة سيئة أعلنوا فيها كفرهم واستهزاءهم بالله والاستخفاف برسوله ﷺ ، فقد ورد أن أبا بكر الصديق قال لحبرهم «فنحاص» : بعد مناقشة حادة ، ويحك يافنحاص : اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمداً رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص : والله ياأبا بكر ما بنا إلى الله من حاجة من فقر ، وإنه إلينا لفقير ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا وإنا عنه لأغنياء ، ولوكان عنا غنياً ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا ، فغضب أبو بكر رضي الله عنه فضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله ، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك، فقال رسول الله لأبي بكر : «ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر؟» فقال : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولاً عظيماً ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك : غضبت لله مما قال ، فضربت وجهه؛ فجحد فنحاص ذلك وقال : ما قلت ذلك(٢) ، فأنزل الله فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر قوله تعالى : ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ

---

(١) سيد قطب ، في ظلال القرآن : م٢جـ٤/ ١٧٣ .

(٢) الطبري ، جامع البيان : ٣/ ٥٣٥ .

وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ١٦٨ .

قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾(١) ، وقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٢) ، وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات بأنها نزلت في فنحاص اليهودي ، الذي قال لأبي بكر الصديق ـ وهو في جمع من اليهود ـ إن الله فقير ونحن أغنياء ، فما كان من أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ إلا أن غضب وضرب وجه فنحاص ضرباً شديداً ، وهم بقتله لولا وجود العهد الذي بين المسلمين واليهود مما جعله يعدل عن ذلك(٣) .

ظل الرسول ﷺ والمسلمون أوفياء بالعهد مع يهود بني النضير رغم نقض يهود بني قينقاع لعهدهم مع الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ وظل يهود بني النضير يتمتعون بالأمن في المدينة طوال مدة وفائهم بالعهد الذي كان بينهم وبين الرسول ﷺ .

نقض يهود بني النضير العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين ، ولم يكتفوا بإعلان كفرهم لله والكيد لرسوله وأصحابه ؛ بل حاولوا أيضاً اغتيال

---

(١) آل عمران : ١٨١ ، ١٨٢ .

(٢) المائدة : ٦٤ .

(٣) الطبري ، جامع البيان : ٣/ ٥٣٥ ـ ٥٣٧ .
وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٢/ ١٦٨ ، ٦٠٥ .

النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وذلك عندما خرج إليهم يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر ، وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في ذلك ، قالوا نعم أبا القاسم نعينك ما أحببت بما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لم تجدوا الرجل على مثل حالته هذه ، ورسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان جالساً إلى جنب جدار من بيوتهم ، فطلبوا من رجل منهم ليعلو البيت الذي كان الرسول جالساً على جداره ، فيلقي عليه صخرة فيقتله ، فقال أحدهم : أنا لذلك ، فصعد ليلقي على الرسول الصخرة حسبما اتفق عليه قوم يهود ، ولكن الله حفظه من غدرهم وتآمرهم ، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من عند الله ، فخرج راجعاً إلى المدينة دون أن يشعر أحد بخروجه ، فنهض الصحابة الذين كانوا معه في طلبه ، فلما دخلوا المدينة وانتهوا إليه ، أخبرهم بما هم به يهود بني النضير من التآمر عليه والغدر به ، فأمر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم (١) .

ولا شك أن هذا لا يعد عدواناً من جانب المسلمين ؛ وإنما هو حق مشروع للدفاع عن النفس ورد اعتداء المعتدين ، ومع ذلك ، وبالرغم من نقضهم العهد وغدرهم بالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتآمرهم عليه ، فقد كان ﷺ رحيماً بهم وقد تجاوز عن جرائمهم التي كادت تقضي على المسلمين وعفا عنهم ، فلم يقتلهم كما أرادوا قتله ، لعلهم يرجعون عن غيهم وضلالهم ليعيشوا مع المسلمين في المدينة في أمن وسلام ، ولكنهم

---

(١) الواقدي ، المغازي : ١/ ٣٦٤ـ٣٦٦ .

وابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ١٩٩ ، ٢٠٠ .

ازدادوا غدراً وطغياناً ، وأصروا على عنادهم وكيدهم ، ورغم كل هذا لم يستهدف الرسول الكريم الحليم محمد ﷺ قتلهم وإنما طلب منهم مغادرة المدينة ، وقال لهم : إن أخرجوا من بلدي فلا تساكنوني بها ، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر ، وقد أجلتكم عشراً فمن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه(١) .

ولما بلغهم ذلك هموا بالخروج ، ومكثوا يستعدون للرحيل ، ولكن أرسل إليهم زعيم المنافقين بالمدينة عبد الله بن أبي بن سلول من الخزرج ، أن اثبتوا وتمنعوا ، فإنا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، ولا تخرجوا من دياركم وأموالكم ، وأقيموا في حصونكم ، فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب يدخلون معكم حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يصل إليكم ، فعادت إلى هؤلاء اليهود بعض ثقتهم وتشجع كبيرهم حيي بن أخطب ، فأرسل إلى النبي ﷺ من يقول له : «إنا لن نخرج من ديارنا ، فاصنع مابدا لك» ، فكبر النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكبر معه المسلمون قال : «حاربت يهود» وانقضت الأيام العشرة ولم يخرجوا ، وفي شهر ربيع الأول سنة أربع للهجرة حاصرهم رسول الله، فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخيل وتحريقها ولم يتحرك عبد الله بن أبي ابن سلول لمساعدتهم كما وعد، فقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله أن

---

(١) الواقدي ، المغازي : ١/ ٣٦٧ .

وابن سيد الناس ، عيون الأثر : ٢/ ٢٥ .

يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا السلاح ، فخرجوا من المدينة بما تحمله إبلهم من الأموال دون السلاح ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن سجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى بلاد الشام (١) .

ومن الآداب والحكم التي تضمنتها غزوة بني النضير :

ـ إن الغدر والخيانة من الطبائع المتأصلة في نفوس اليهود ، وهي من الحقائق التاريخية التي صدقها الواقع في وقائع كثيرة وتأكد ذلك في قوله تعالى : ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ (٢) .

ـ إن في إخبار الله لنبيه بما بيته له اليهود من الغدر به دليل على تكرار الغدر من اليهود ، والوفاء من الله تعالى بوعده الصادق لرسوله ﷺ بقوله تعالى : ﴿... **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ...﴾ (٣) .

ـ إن يهود بني النضير رفضوا أن يعينوا الرسول ﷺ بسلاحهم أو بأموالهم ، مخالفين بذلك نص الصحيفة التي عقدوها معه ﷺ .

ـ إن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يقاتل يهود بني النضير بعد

---

(١) الواقدي ، المغازي : ١/ ٣٦٨ـ ٣٧٤ .
وابن هشام ، السيرة : ٣/ ٢٠٠ ، ٢٠١ .
وابن سيد الناس ، عيون الأثر : ٢/ ٢٤ ، ٢٥ .
(٢) المائدة : ٧٨ .
(٣) المائدة : ٦٧ .

نقضهم العهد مباشرة ، وإنما أصبحت حالة الحرب بينهم وبين المسلمين قائمة وأعطاهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ مهلة حتىٰ ينظروا في أمرهم ، وترك لهم حرية الارتحال حيثما يريدون ، بعد أن أصبح العيش فيما بينهم وبين المسلمين في المدينة متعذراً .

ـ في موقف الرسول ﷺ من بني النضير تقرير لمبدأ أن نقض المعاهدة يعد في حد ذاته إعلان للحرب ، ولا يلزم نبذ العهد قبل الإعلان عن الحرب .

ـ إن قطع وإحراق الرسول ﷺ لبعض نخيل بني النضير ، دل علىٰ أن الحكم الشرعي في أشجار العدو وإتلافها منوط بالمصلحة بما يراه إمام المسلمين من المصلحة في النكاية بالأعداء .

٤ ـ يهود بني قريظة :

لما طال حصار المسلمين من قبل الأحزاب في المدينة يوم الخندق ، وكان من بينهم زعماء بني النضير وأشرافهم أمثال حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن أبي الحقيق وهم الذين حزبوا الأحزاب علىٰ المسلمين يوم الخندق وهم الذين دعوا كفار قريش وغطفان وسائر القبائل لحرب المسلمين وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتىٰ نستأصله(١) . وعندما رأوا أنه لا جدوىٰ من بقائهم ، عزموا علىٰ العودة إلىٰ مكة عندئذ جن جنون حيي بن أخطب فاحتال علىٰ الموقف بأن أقنع الأحزاب بأنه يستطيع إقناع يهود بني قريظة

---

(١) الواقدي ، المغازي : ٢/ ٤٤١ .
وابن هشام ، السيرة : ٣/ ٢٢٥ .

لينقضوا عهدهم مع المسلمين ويفتح الطريق للأحزاب من الجهة التي يسكنها بنو قريظة ففرحوا بفكرته وسارع إليهم ، قال ابن إسحاق : وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضيري حتىٰ أتىٰ كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله ﷺ علىٰ قومه ، وعاقده علىٰ ذلك وعاهده ، فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فاستأذن عليه فأبىٰ أن يفتح له ، فناداه حيي : ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر ، وببحر طام ، جئتك بقريش علىٰ قادتها وسادتها وبغطفان علىٰ قادتها وسادتها ، قد عاهدوني علىٰ أن لا يبرحوا حتىٰ نستأصل محمداً ومن معه ، قال كعب : جئتني والله بذل الدهر ، وبسحاب قد أراق ماءه ، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيئ ، ويحك يا حيي ، فدعني ، وما أنا فيه ، فإني لم أرَ من محمد إلا صدقاً ، ووفاءً ، فلم يزل حيي بكعب حتىٰ سمع له علىٰ أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً إذا رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتىٰ يصيبني ما أصابك ؛ فنقض كعب بن أسد عهده، وتبرَّأ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ من عهود ، فلما انتهىٰ الخبَر إلىٰ رسول الله وإلىٰ المسلمين بعث رسول الله ﷺ من يستوثق منه ، فوجدهم علىٰ أخبث ما بلغه عنهم وقولهم : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عُقد ، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلاً فيه حدة ؛ فقال له سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أعظم من المشاتمة(١) .

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٣ .

ورغم حقد بني قريظة للمسلمين ، فقد ظل رسول الله ﷺ والمسلمون على وفائهم بالعهد الذي بينهم وبين بني قريظة بصرف النظر عما كان من يهود بني قينقاع وبني النضير ونقضهم للعهد وعداؤهم للرسول ﷺ باطناً وظاهراً ، إلى أن ظهر منهم ما يدل علانية على نقضهم العهد وتآمرهم على المسلمين وتحينهم الفرصة للقضاء عليهم ، وإعلانهم الحرب على المسلمين وانضمامهم للأحزاب التي هاجمت المدينة لقتال المسلمين ؛ الأمر الذي أدى إلى ضرورة تطهير المدينة منهم ليأمن المسلمون أذاهم وغدرهم .

لم يقتصر أمر يهود بني قريظة على الغدر والخيانة ونقض العهد ، بل بيتوا الإغارة على المدينة ليلاً في الوقت الذي كان المسلمون فيه منشغلين بمجابهة أعدائهم ـ الأحزاب ـ الذين أحكموا الحصار عليهم وكادوا يقضون على المسلمين لولا عناية الله وتأييده لهم والذي شتت جمع الأحزاب وكفى الله المؤمنين القتال .

لما وصل إلى علم رسول الله ﷺ نقض بني قريظة لعهدهم مع الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أرسل إليهم من يستوثق له من خبرهم ، فوجدهم قد أعلنوا صراحة نقضهم العهد الذي بينهم وبين الرسول ﷺ ، فلم يكن أمام رسول الله ﷺ والمسلمون بعد أن كفاهم الله شر قتال الأحزاب ؛ إلا أن ينبذوا لبني قريظة عهدهم وأن يلقنوهم جزاء سوء عاقبة أعمالهم وما جنوه على أنفسهم ، ففي أثناء حصار الأحزاب للمدينة ، همت بنو قريظة أن تغير على المدينة ليلاً ، فجاء الخبر بذلك إلى رسول الله ﷺ فبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل ، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ، وكان الخوف على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من الخوف من قريش

وغطفان[1] .

امتلأت قلوب المسلمين غيظاً من بني قريظة الذين نقضوا عهدهم في ساعة الشدة .

جاء الوحي من الله سبحانه وتعالىٰ إلىٰ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يأمره بالخروج إلىٰ بني قريظة لينالوا الجزاء العادل علىٰ غدرهم فعن عائشة[2] ـ رضي الله عنها ـ قالت : «لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال : قد وضعت السلاح والله ما وضعناه فاخرج إليهم ، قال النبي ﷺ : فإلىٰ أين ؟ قال : هاهنا ، وأشار إلىٰ بني قريظة ، فخرج النبي ﷺ إليهم»[3] ، وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب : «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**» ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم لا نصلي حتىٰ نأتيها ، وقال بعضهم بل نصلي ، لم يُرِد منا ذلك ، فذُكـر

---

(١) المقريزي ، امتاع الأسماع : ١/ ٢٢٨ .

(٢) أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق ، تزوجها النبي ﷺ ودخل بها في المدينة في شوال سنة ٢ هـ وهي بنت ٩ سنين ومات عنها ولها ثمانية عشرة سنة ، ولم يتزوج بكراً غيرها ، فقيهة عالمة كثيرة الحديث ، روىٰ عنها جماعة من الصحابة والتابعين ، ماتت بالمدينة سنة ٥٧هـ ودفنت بالبقيع .

ابن سعد ، الطبقات : ٨/ ٥٨ ، والذهبي ، تذكرة الحفاظ : ١/ ٢٧ .

(٣) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي : ٣/ ٣٤ (كتاب المغازي ـ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلىٰ بني قريظة) .

ومسلم ، صحيح : ٣/ ١٣٨٩ (كتاب الجهاد والسير ـ باب جواز قتال من نقض العهد) .

ذلك للنبي ﷺ فلم يُعنِّف واحداً منهم»(١) ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة خمس للهجرة(٢) .

وقد رأىٰ النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن يباغتهم قبل أن يستكملوا عدتهم ويقووا حصونهم ، ولهذا سارع المسلمون إليهم ، وكان يحمل رايتهم علي بن أبي طالب ، فلما اقترب من حصونهم وجدهم مصرين علىٰ غرورهم ونقضهم العهد ، وسمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ ، فرجع حتىٰ لقي رسول الله بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، عليك أن تدنوا من هؤلاء الأخابيث ، قال : **لِمَ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى** ، فقال : نعم يا رسول الله (٣) .

فلما رأوا رسول الله ﷺ تحصنوا بحصونهم ، فحاصرهم رسول الله خمساً وعشرين ليلة حتىٰ جهدهم الحصار ، وقذف الله الرعب في قلوبهم(٤) ، ولما اشتد عليهم الحصار نزلوا علىٰ حكم رسول الله ﷺ فأمر برجالهم فكتفوا بالحبال ونحوا ناحيتها وأخرج النساء والذرية فنحوا ناحية أخرىٰ ، فتواثب رجال من الأوس فقالوا : يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت بموالي إخواننا بالأمس ما عملت ، فقال لهم رسول

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي : ٣/ ٣٤ (كتاب المغازي ـ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلىٰ بني قريظة) .

ومسلم ، صحيح : ٣/ ١٣٩١ (كتاب الجهاد والسير ـ باب المبادرة بالغزو) .

(٢) ابن سعد ، الطبقات الكبرىٰ : ٢/ ٧٤ .

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٢٤٥ .

(٤) المرجع السابق : ٣/ ٢٤٦ .

الله ﷺ: **ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم ؟** قالوا : بلىٰ ، قال رسول الله ﷺ : **فذاك لسعد بن معاذ** (١) ، فلما حكمه رسول الله ﷺ فيهم ، أتاه قومه وجعلوا يقولون له : يا أبا عمرو أحسن في مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثروا عليه قال : آن لسعد أن لا تأخذه في ذلك لومة لائم ، فحكم فيهم سعد بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبىٰ النساء والذراري ، فقال رسول الله ﷺ لسعد : **لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**(٢) أي سماوات .

وقد أخرج البخاري(٣) أن أبا سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال : «نزل أهل قريظة علىٰ حكم سعد بن معاذ ، فأرسل النبي ﷺ إلىٰ سعد فأتىٰ . . . فقال رسول الله ﷺ هؤلاء نزلوا علىٰ حَكمك ، فقال سعد : تقتل مقاتلتهم وتسبىٰ ذراريهم ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : **قضيت**

(١) وعندما نزلوا علىٰ حكم رسول الله ﷺ أحب أن يكل الحكم عليهم إلىٰ واحد من رؤساء الأوس ؛ لأنهم كانوا حلفاء بني قريظة ، فجعل الحكم فيهم إلىٰ سعد بن معاذ .

(٢) الواقدي ، المغازي : ٢/ ٥٠٩ ـ ٥١٢ .
وابن هشام ، السيرة : ٣/ ٢٤٩ ـ ٢٥١ .

(٣) أبو عبد الله ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري ، ولد في بخارىٰ سنة ١٩٤هـ ، نشأ يتيماً ، قام برحلة طويلة سنة ٢١٠هـ وهو في ريعان شبابه إلىٰ خراسان والحجاز والعراق ومصر والشام في طلب الحديث ، فسمع الحديث من نحو ألف رجل ، وجمع نحو ستمائة ألف حديث اختار منها في صحيحه ما وثق برواته ، وكتابه صحيح البخاري يعد أوثق كتب الحديث ، مات في سمرقند سنة ٢٥٦ هـ .
النووي ، تهذيب الأسماء واللغات : ١/ ٦٧ .
والذهبي ، تذكرة الحفاظ : ٢/ ٥٥٥ .

بحكم الله» (١) .

يدل هذا الحديث الذي أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري في تنفيذ قضاء سعد ، على قتل الرجال المقاتلين ، بمعنى أنه حدد المحكوم عليهم بالقتل وهم الرجال المقاتلون ، أما غير المقاتلين فلا يشملهم القتل ، وكذا تضمن الحكم سبي الذراري ، ولكنه لم يذكر سبي النساء وتقسيم الأموال .

تعليل قتل بني قريظة بتحكيم سعد بن معاذ :

إذا كان دين الإسلام دين رحمة وعدل وسلام ، ورسوله محمد ﷺ مبعوثاً رحمة للعالمين ، يوصي بالرفق ويحسن إلى من أساء إليه ويعفو عمن ظلمه وقد عفا عن أهل مكة جميعاً وقال : «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»(٢) .

إذا كان الأمر كذلك فما هو تعليل ذلك العقاب القاسي الذي حكم به سعد ابن معاذ على بني قريظة ، بقتل رجالهم وسبي نسائهم وذراريهم ؟ ونفذه النبي ﷺ عليهم ، وما كان ذلك إلاَّ لما أحاط بهذه القضية من ظروف وملابسات خاصة استوجبت مثل هذا الإجراء الحاسم ولا يعد ما طبق فيها نظاماً عاماً ينظم حالة الحرب ؛ إنما هو استثناء خاص لحالة استثنائية خاصة للأسباب التالية :

١ ـ كان موقف اليهود من الدعوة الإسلامية موقف العداء والغدر وتحين الفرص للانقضاض على الرسول ﷺ والمسلمين منذ قدومهم إلى

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي : ٣/ ٣٤ (كتاب المغازي ـ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة) .

(٢) البيهقي ، السنن الكبرى : ٩/ ١١٨ (كتاب السير ـ باب فتح مكة) .

المدينة ، فكانوا يرون في النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ منافساً جديداً يوشك أن يقضي على نفوذهم ، وعلى نفوذ النصارى أيضاً ، وأن ينزع من الفريقين لواء الزعامة الدينية الذي كانوا يتجاذبونه ، وازداد خوفهم وظهر حسدهم له ؛ عندما رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، فأخذوا يكيدون له وللمسلمين بالدس والخيانة والإرجاف بالجدل والمحاجة ، وكانوا إذا سئلوا عن شيء مما في كتبهم حرفوا الكلم عن مواضعه ، كل ذلك والنبي ﷺ يصبر عليهم ويصابرهم ، ويفي بما عاهدهم عليه عند مقدمه إلى المدينة ، وعندما رأوا ما كان بشأن بني قينقاع وجلائهم عن المدينة لخيانتهم للعهد واعتدائهم على المسلمين، ثم ما آل إليه بنو النضير عند خيانتهم للعهد وخروجهم من المدينة يضربون في الأرض حيث شاءوا، وهكذا لم يبق من يهود المدينة إلاّ بنو قريظة وقد سالمهم الرسول ﷺ ولم يأخذهم بجريرة إخوانهم حتى جاءت غزوة الأحزاب فنقضوا العهد في أحرج الأوقات فنفذ فيهم تحكيم سعد بن معاذ الذي رضوا به(١) .

على أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن ذلك لم يكن أول غدر يصدر عن بني قريظة، بل كانوا قاموا من قبل بمد قريش بالأسلحة في وقعة بدر ، ولكن النبي ﷺ كان قد عفا عنهم هذا الغدر(٢) .

٢ ـ إن جريمة بني قريظة في غدرهم ونقضهم العهد في تلك الظروف العصيبة وموالاتهم للأعداء لإبادة المسلمين في معركة الخندق (الأحزاب) لهي أعظم من جريمة صدرت من غيرهم من اليهود ، ويبدو من الحوار الذي جرى بين حيي بن أخطب النضري وكعب بن أسد القرظي أن التعاقد بين

---

(١) حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام : ١/ ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣١ ـ ١٣٣ .

(٢) المنصورفوري ، رحمة للعالمين : ١/ ١٥٣ .

اليهود والمشركين قد تم على إبادة المسلمين عن آخرهم ، فكان من كلام حيي بن أخطب لكعب وهو يستدرجه للغدر والخيانة : « جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد ، قد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه»(١) .

ولعل اليهود بذلك أرادوا تنفيذ تعاليم أحبارهم في كتبهم المحرفة والتي مايزالون يتداولونها إلى اليوم والتي تأمر بإبادة الأعداء ونصها ما يلي :

«حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك بالتسخير ، ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة ، كل غنيمتها فتغنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً ، التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريماً . . . كما أمرك الرب إلهك»(٢) .

لقد شط بنو قريظة في الخبث والغدر والخيانة حتى إنه لما ذهب إليهم

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٢٣٢ .

(٢) سفر التثنية ـ التوراة : ٢٠/ ١٠ (الاصحاح العشرين عدد : ١٠) نقلاً عن المراجع التالية :
حسن البناء ، السلام في الإسلام : ٤٩ ، ٥٠ .
والزحيلي ، آثار الحرب : ٤٤ .
والسيد سابق ، فقه السنة : ٣/ ١٢٥ .

سعد بن معاذ وجماعة معه للتحري عن نقضهم العهد والخيانة ، لم يلقوا منهم إلا الشتائم والنيل من الرسول ﷺ (١) .

٣ ـ لقد وعى المسلمون الدرس من إجلاء بني النضير وتجمعهم في خيبر وقيام زعمائهم من أمثال حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق بالطواف على القبائل العربية يثيرون الأحقاد ويوغرون القلوب ويذكرون بالثارات ويعدون بالمناصرة ويستغلون كل فرصة للنيل من المسلمين إلى أن شفوا غليلهم في تحزبهم ومهاجمتهم المدينة في غزوة الخندق (الأحزاب) ، فلو فعل الرسول ﷺ ببني قريظة مثلما فعله بغيرهم من اليهود واكتفى من عقابهم بالإجلاء عن المدينة لكان من المؤكد أن يلعبوا دوراً أكبر في الكيد للمسلمين وتحزيب الأعداء عليهم ، ولو أن هؤلاء اليهود تركوا للسماحة والعفو موضعاً ، لكان بالإمكان إجلاؤهم أو العفو عنهم ، ولكنهم استمروا في غيِّهم ، وبذا استحق بنو قريظة هذا العقاب الصارم كما قال الله تعالى فيهم : **﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾** (٢) .

إن العقاب الذي نزل ببني قريظة بتحكيم سعد بن معاذ ، هو نفس العقاب الذي يعاقب به اليهود أعداءهم ، وهو الذي يوجد في نصوص شريعتهم التي يتداولونها اليوم ، بل كان اليهود يعاقبون أسراهم أشد من

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

(٢) الأنفال : ٥٥ ـ ٥٧ .

ذلك كما ورد في العهد القديم (١) .

ومن الدلائل والنظائر ما يؤكد أن بني قريظة لو سلّموا أمرهم إلىٰ النبي ﷺ لم يحكم فيهم بهذا الحكم الصارم ؛ وإنما قد يأمرهم بالخروج إلىٰ خيبر أو إلىٰ أي بلد يريدونه ، أسوة بما فعله مع بني قينقاع وبني النضير وعن بعض بني قريظة أيضاً حيث أمر بالإفراج عن الزبير بن باطا مع الأهل والولد والمال ، وكذا رفاعة بن سموأل القرضي وخلىٰ سبيلهما (٢) .

وقد تضمنت هذه الغزوة آداب وحكم منها :

- أنه يجوز للمسلمين قتال من نقض العهد إذا رأوا المصلحة في ذلك ، وهذا ما تنفذه الدول حتىٰ اليوم حيث تحكم بقتل الذين يخونون بلادهم

(١) فقد ذكر في (الاصحاح الحادي والعشرين : ٩ ، ١٠) ما يلي : «وسبىٰ بنوا إسرائيل نساء مِدْيان وأطفالهم ، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار ، وسخط موسىٰ وقال : هل أبقيتم كل أنثىٰ حية ؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها ، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات» .

وكذلك ورد في رك ويد ، مندل ٤ ، منتر١٦ ، رتا١٠ «إنه أهلك ودمّر خمسين ألفاً من الأعداء السود في الحرب» .

وورد في مندل١٠ ، منتر٤٩ ، رتا٧ : «نحن قطعنا العبيد في قطعتين ، وقد خلقهم القدر لذلك» .

وورد في مندل٢ ، منتر٢٠ ، رتا٦ ، ٧ : «إندرالذي قتل ورترا ، ودمّر بلدة بلدة وقرية قرية ، والذي يدمّر جيش العبيد السود» .

- المنصورفوري ، رحمة للعالمين : ١/ ١٥٤ ، نقلا : من كتاب حضارة الهند القديمة للأستاذ آر سي دت .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٢٥٥ .

ويتواطأون مع الأعداء .

ـ جواز التحكيم في شؤون المسلمين في زمن الحرب مع غيرهم ، وإسناد مهمة التحكيم والفصل في الحكم إلىٰ حكم مسلم عدل صالح للحكم ، كما في تحكيم سعد بن معاذ ، سيد الأوس في بني قريظة .

ـ تأكد نبوة محمد ﷺ عند اليهود ، وأنهم كانوا علىٰ يقين من نبوته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، يدل علىٰ ذلك فحوىٰ حديث كعب بن أسد زعيم بني قريظة مع بعض زعماء اليهود ، وذلك عندما حاصرهم الرسول ﷺ وقال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، لقد تبين لكم أنه النبي ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم ، لكنهم تكبروا وأصروا علىٰ عنادهم وكيدهم(١) .

٥ ـ غزوة خيبر :

بعد أن تم تطهير المدينة من اليهود نتيجة غدرهم ونقضهم العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين ، أصبحت خيبر مركز التجمعات اليهودية ووكر للخديعة والغدر ، ومنها أصبحوا يقومون بما يريدون من مؤامرات ومكائد ضد المسلمين ، وكان المسلمون قد أمِنوا قريشاً وجهة جنوب المدينة كله بعد صلح الحديبية ، ولكنهم لم يأمنوا ناحية الشمال لا سيما أهل خيبر ، وليس من المستبعد أن يستعين هرقل أو كسرىٰ بهؤلاء اليهود في النيل من المسلمين ، واليهود أشد عداوة من قريش للمسلمين ، وأنهم يسعون للثأر لأنفسهم إذا ما وجدوا من ناحية هرقل مدداً . كان لابد حيال ذلك كله من العمل علىٰ

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٢٤٦ .

القضاء على شوكة هؤلاء اليهود حتى لا تقوم لهم قائمة ، وأن يكون ذلك على وجه السرعة حتى لا يكون لديهم من الوقت متسع للاستعانة بغطفان أو بغيرها من القبائل العربية المعادية لمحمد ﷺ والموالية لهما وما كان يخفى على رسول الله ﷺ شيء من هذا القبيل(١) .

تجمعت جموع اليهود في خيبر ، فراحوا يبنون الحصون ويستعدون لحرب أخرى يعلنونها على المسلمين ، حتى صرح قائدهم وهو سلام بن مشكم بضرورة المبادرة إلى تأليف اتحاد يهودي يجمع يهود خيبر ووادي القرى وفدك وتيما ، ثم يزحفون على يثرب ، كما طلب بعض زعمائهم بوجوب التحالف مع قبائل غطفان العربية وهي أقرب وأقوى القبائل العربية إليهم ليستعينوا بها على حرب محمد ﷺ(٢) .

لما فرغ رسول الله ﷺ من صلح الحديبية أراد أن يبادئ هؤلاء اليهود ـ الذين يخططون لقتاله ـ قبل أن يبدأوه ، وأن يفاجئهم قبل أن يستكملوا استعداداتهم وترتيب مخططاتهم لمهاجمته ، فالفرصة مواتية له لأن يقضي على الخطر الجديد الذي يسعى إلى الانقضاض عليه ، فخرج إلى خيبر في أواخر شهر محرم في السنة السابعة من الهجرة ، ومعه من شهد الحديبية وكان عددهم ألف وأربعمائة مقاتل ما بين فارس وراجل(٣) .

سار الجيش الإسلامي إلى خيبر بروح إيمانية قوية على الرغم من علمهم بمنعة حصون خيبر وشدة بأس رجالها وعتادهم الحربي ، وكانوا

(١) هيكل ، حياة محمد : ٣٨٥ ، ٣٨٦ .
(٢) الدرة ، معارك العرب الكبرى : ١٦١ .
(٣) المباركفوري ، الرحيق المختوم : ٣٥٠ ، ٣٥١ .

يكبرون ويهللون بأصوات مرتفعة ، فطلب منهم النبي ﷺ أن يرفقوا بأنفسهم قائلاً : «إنكم لاتدعون أصمَّ ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» (١) ، وسلكوا طريقاً بين خيبر وغطفان ليحولوا بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ؛ لأنهم كانوا أعداء للمسلمين ، وقد حاولت غطفان نجدة حلفائهم يهود خيبر ، وتوجهوا إلىٰ خيبر لإمداد اليهود ، فلما ساروا مرحلة سمعوا خلفهم حساً ولغطاً ، فظنوا أن المسلمين قد خالفوا إليهم وأغاروا علىٰ أهليهم وأموالهم فرجعوا و خلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر (٢) .

فلما أشرف النبي ﷺ علىٰ خيبر قال لأصحابه : «**قفوا**» ثم قال : «**اللهم رب السماوات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها . أقدموا باسم الله**» (٣) .

وكان النبي ﷺ إذا أتىٰ قوماً بليل ، لم يقربهم حتىٰ يصبح ، فإن سمع أذاناً أمسك وإن لم يسمع أذاناً أغار ، فبات رسول الله ﷺ ، ولما أصبح أقبل ، وقد خرج أهل خيبر بمساحيهم ومكاتلهم قاصدين مزارعهم ، فلما رأوا جيش المسلمين قالوا : محمد والله ، محمد والخميس(٤) ، ثم رجعوا هاربين إلىٰ مدينتهم ، فقال النبي ﷺ «**الله أكبر خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا**

---

(١) البخاري ، صحيح البخاري بحاشية السندي : ٣/ ٥٠ (كتاب المغازي ـ باب غزوة خيبر) .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٣٤٤ .

(٣) المرجع السابق : ٣/ ٣٤٣ .

(٤) الخميس : الجيش ، لانتظامه خمس فرق : الميمنة ، والميسرة ، والمقدمة ، والمؤخرة ، والقلب .

بساحة قوم فساء صباح المنذرين»(١) .

وكان النبي ﷺ اختار لمعسكره منزلاً ، فأتاه حباب بن المنذر فقال : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أنزلكه الله ، أم هو الرأي في الحرب ؟ قال : بل هو الرأي ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا المنزل قريب جداً من حصن نطاة ، وجميع مقاتلي خيبر فيها ، وهم يدرون أحوالنا ، ونحن لا ندري أحوالهم ، وسهامهم تصل إلينا ، وسهامنا لا تصل إليهم ، ولا نأمن من بياتهم ، وأيضاً هذا بين النخلات ، ومكان غائر ، وأرض وخيمة لو أمرت بمكان خال عن هذه المفاسد نتخذه معسكراً قال ﷺ : الرأي ما أشرت ، ثم تحول إلى مكان آخر(٢) .

ولما كانت ليلة الدخول، دفع الراية إلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال علي : يا رسول الله ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟ أي مسلمين ، فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «**أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام . وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**»(٣) .

خرج علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بالمسلمين إلى حصون وقلاع خيبر ، ودعا اليهود إلى الإسلام ، فرفضوا الدعوة وبرزوا إلى

---

(١) صحيح البخاري بحاشية السندي : ٣/ ٤٩ (كتاب المغازي ـ باب غزوة خيبر) .

(٢) المباركفوري ، الرحيق المختوم : ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

(٣) صحيح البخاري بحاشية السندي : ٣/ ٥١ (كتاب المغازي ـ باب غزوة خيبر) .

المسلمين ، فأخذ المسلمون في افتتاح حصونهم واحداً تلو الآخر ، وكان أول ما سقط من حصونهم ، حصني ناعم والصعب بمنطقة النطاة ثم حصني أبي والنزار بمنطقة الشق، وكانت هاتان المنطقتان في الشمال الشرقي من خيبر ، ثم حصن القموص المنيع وهو حصن ابن أبي الحقيق من بني النضير في منطقة الكتيبة ، ثم أسقطوا حصني الوطيح والسلالم(١) . وقد واجه المسلمون مقاومة شديدة وصعوبة كبيرة عند فتح بعض هذه الحصون، واستمات اليهود في الدفاع عن حصونهم .

وبعد أن ضيق المسلمون الحصار على اليهود، حينئذ طلب اليهود الصلح على أن يحقن المسلمون دماءهم . ثم إنهم سألوا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن تبقى خيبر تحت أيديهم يعملون فيها ويزرعونها ؛ لأنهم أعرف بأراضيهم وأعمر لها . ولهم شطر ما يخرج منها ، فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك وقال لهم : «**على أنَّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم**»(٢) .

لقد كان فتح خيبر والقضاء على اليهود المقيمين بها وكسر شوكتهم ، إنهاء للصراع المسلح بين المسلمين واليهود في الجزيرة العربية ، فدانت اليهود كلها لسلطان المسلمين ، وانتهى كل ما كان لهم من سلطان في بلاد العرب ، فلم يعد لهم قوة يخشى منها على الإسلام والمسلمين .

---

(١) الواقدي، المغازي: ٢/ ٦٤٥ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٥٩، ٦٦٤ ، ٦٦٦ـ ٦٧٠ .
وابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(٢) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ٣٥٢ .

تضمنت هذه الغزوة آداب وحكم منها :

ـ لما انتهى المسلمون من فتح حصن القموص، وهو حصن بني أبي الحقيق، أتى بلال بصفية بنت حيي بن أخطب وامرأة أخرى معها إلى رسول الله ﷺ ومرَّ بهما على قتلى من قتلى اليهود، فلما رأت المرأة التي مع صفية القتلى، أجهشت بالبكاء وصكت وجهها، فلما علم رسول الله ﷺ بذلك قال لبلال : «**أنزِعت منك الرحمة يا بلال، حين تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما؟** »(١) .

وفي هذا دليل على أن الإسلام رحيم بأسرى الحرب، لدرجة عالية فاقت كل ما صاغه بني الإنسان من قوانين في هذا الشأن، فها هو رسول الله ﷺ يستنكر على بلال مروره بين القتلى ومعه المرأتين الأسيرتين ؛ لأن ذلك يدخل الحزن على نفوس الأسرى عند رؤيتهم قتلاهم ، وفي هذا دليل على أن الإسلام يرحم الإنسان ولو خالفه في الدين ولو كان محارباً له ، وينهى عن لحوق الأذى بالأسير ويأمر بالإحسان إليه وحسن معاملته .

ـ إن هذه الغزوة تختلف عن الغزوات السابقة التي كانت كلها قائمة على أسباب دفاعية ، حيث المسلمون يدافعون بها هجمات الأعداء، أما هذه الغزوة وقد جاءت بعد وقعة بني قريظة وصلح الحديبية ، فإن وضعها يختلف عما سواها من غزوات سابقة، مما يدل على أن الدعوة الإسلامية قد دخلت مرحلة جديدة مرتكزة على قول الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد وقعة الخندق : «**الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم** »(٢) .

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية : ٣/ ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(٢) فتح الباري : ٧/ ٤٦٧ (كتاب المغازي ـ باب غزوة الخندق).

ـ جواز الإغارة على من بلغتهم الدعوة الإسلامية بدون إنذار سابق أو تجديد الدعوة .

ـ جواز عقد الصلح مع المحاربين واشتراط إمام المسلمين فسخ العقد متى شاء .

ـ ظهرت أهمية مبدأ الشورى في ميدان القتال ، وهي من الآداب الإسلامية في الحرب التي يسعى الإسلام إلى تأصيلها .

٦ ـ استنتاج عام حول مواقف اليهود في العهد النبوي :

إن المتتبع لمراحل الحروب التي جرت بين اليهود والمسلمين بقيادة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقف على حقيقة واحدة وهي أن اليهود هم الذين ناوأوا الإسلام وأخذوا يتحينون الفرص لينقضوا على المسلمين ويصبوا عليهم سهام غدرهم وإلباسهم الحق بالباطل ، وقد وقف ﷺ منهم موقف القائد السديد الرأي ، فأبطل خططهم وكشف زيف خداعهم ، فتصدى لمجادلتهم وطعنهم في العقيدة بقوة بيانه وفصاحة لسانه .

أما نقض اليهود للعهد وإعلانهم الحرب على المسلمين ، فقد قابله ـ عليه الصلاة والسلام ـ بقوة وحزم ، فحطم أسلحتهم وكسر شوكتهم وحطم حصونهم وقلاعهم وأذاقهم سوء عاقبة أفعالهم ، وطهر المدينة منهم ، وعندئذ استتب الأمن بها وصفا العيش للمسلمين فيها .

ولما وضعوا أسلحتهم ، مد رسول الله ﷺ لهم يد الإحسان وتجاوز عن إساءاتهم ، وتركهم أحراراً في أمورهم ، فلم يفتنهم في دينهم ، ولم يقطع منهم رقاباً .

من هنا نستنتج أن ولي أمر المسلمين يتوجب عليه العمل على تأمين المسلمين في بلادهم بأي وسيلة يتحقق فيها الأمن والسلم في البلاد ، فإن تصرف الإمام منوط بالمصلحة العامة للمسلمين ، فله أن يعقد المعاهدات بين المسلمين وبين جيرانهم ليتحقق للجميع العيش في أمن وسلام وكفالة حرية ممارسة الشعائر الدينية والتعاون فيما بينهم للنهرض بمجتمعاتهم وحمايتها من أي اعتداء عليها ، أسوة في ذلك برسول الله ﷺ عند مقدمه المدينة مهاجراً إليها ، فقد مد يد المسالمة لليهود والمشركين المقيمين بها والقاطنين حولها ، وعقد اتفاقيات أمن بينهم وبين القبائل المجاورة لهم للعيش معاً في أمن وسلام ، والتمتع في حرية العقيدة لكل منهم والدفاع المشترك فيما بينهم جميعاً عن المدينة عندما يداهمها العدو .

تلك من آداب الإسلام في حسن الجوار ، والتي طبقها النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في زمن السلم وفي زمن الحرب على حد سواء ، فأين موقف الدول والشعوب في هذه الأيام من سياسة القائد الأعظم ، رسول المحبة والسلام .

إن هيئة الأمم المتحدة متمثلة في ميثاقها والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وماتبعهما من وثائق تنادي بتطبيق هذه السياسة ، ورغم المحاولات المضنية ، والجهود الكبيرة التي تبذل في سبيل تحقيق هذا الهدف ، فقد فشلت في تحقيق ذلك في هذا العصر ، ولكن الإسلام سبقهم بأربعة عشر قرناً من الزمان ، فضرب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أروع الأمثلة في تحقيق سياسة حسن الجوار ، الأمر الذي يظهر عظمة الإسلام ، وأنه دين سلام لا دين حرب كما يفتري المفترون ، إذ لو كان كذلك لأعلن الرسول ﷺ

الحرب بينه وبين اليهود المقيمين بالمدينة والقبائل المجاورة له ولم يكف عن قتالهم حتىٰ يسلموا أو يقضي عليهم ، ولكنه بدأ بمسالمتهم ، وأخذ بمجاراتهم وصبر عليهم وتحمل أذاهم حتىٰ تفاقم الأمر ، وما اعتدىٰ علىٰ أحد منهم إلا إذا كان هو البادئ بالاعتداء ، فالمتتبع لمراحل الصراع التي جرت بين المسلمين واليهود يجد أن المسلمين كانوا أوفياء معهم ، واليهود كانوا هم البادئون بالاعتداء ، وهم الذين نقضوا العهد مع المسلمين .

وعلىٰ هذا فإنه متىٰ تيقن المسلمون أن أعداءهم نقضوا عهدهم ، وأعدوا العدة واستعدوا لمحاربتهم والاعتداء عليهم ؛ جاز للمسلمين في هذه الحالة أن يباغتوهم في ديارهم ، وأن يبادئوهم بالاعتداء عليهم وكسر شوكتهم ليكون ذلك جزاء لهم وموعظة لغيرهم حتىٰ يعتبروا بحالهم ، فلا يقدموا علىٰ القتال ولايعود المعاهد منهم مرة أخرىٰ لنقض العهد ؛ وذلك لأن الهجوم القوي ، أنجح وسيلة للدفاع ، كما أنه يعطي الثقة التامة للقوات المحاربة ويمنحهم أعظم الفرص لإحراز النصر ، وكذا فإن تطويق الجيوش وحصارها أسرع وسيلة للقضاء علىٰ العدو حيث يصبح بقواته في وضع لا يمكنه من الدفاع ويضطر معه إلىٰ التسليم ، كما حدث عندما نقضت بنو قينقاع عهدها مع المسلمين مما حدا بالرسول الكريم ﷺ أن يأمر بتجهيز جيش لمهاجمة حصونهم ، وكما حدث في بني النضير وخروجهم من المدينة ، وفي غزوة خيبر خرج ﷺ بجيشه حتىٰ إن أهالي خيبر فوجئوا بالجيش وهو علىٰ مشارف البلدة ، فهربوا مذعورين .

أما إذا خيف من قوم معاهدين نكثاً للعهد بأمارات ظاهرة تدل علىٰ ذلك ، فإن الحق للمسلمين بأن ينبذوا إليهم عهدهم ولا يفاجئوهم بالحرب

وهم على توهم ببقاء العهد، فيكون ذلك خيانة منهم ، والله لا يحب الخائنين في العهد ولا يرضى لعباده الخيانة ، قال تعالى : ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾(١) . يقول الفخر الرازي عند تفسيره لهذه الآية :

[قال أهل العلم : آثار نقض العهد إذا ظهرت ، فإما أن تظهر ظهوراً محتملاً أو ظهوراً مقطوعاً به ، فإن كان الأول وجب الإعلام على ما هو مذكور في هذه الآية، وذلك لأن بني قريظة عاهدوا النبي ص ثم أجابوا أبو سفيان ومن معه من المشركين إلى مظاهرتهم على رسول الله ﷺ ، فحصل لرسول الله خوف الغدر منهم به وبأصحابه ، فهنا يجب على الإمام أن ينبذ إليهم عهودهم على سواء ويؤذنهم بالحرب .

أما إذا ظهر نقض العهد ظهوراً مقطوعاً به ، فهنا لا حاجة إلى نبذ العهد كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة ، فإنهم لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم من ذمة النبي ﷺ ، وصل إليهم جيش رسول الله ﷺ بمرّ الظهران وذلك على أربعة فراسخ من مكة](٢) .

إن الإسلام يعاهد ليصون العهد، فإذا تأكدت المخاوف من الخيانة من الجانب الآخر ، كان له الحق في نبذ العهد القائم جهرة وعلانية دون أن يكون في ذلك غدر أو خيانة أو خديعة؛ لأنه يصارح الآخرين بأنه نقض العهد، فليس بينه وبينهم بعد ذلك أمان، وبذلك يرتفع الإسلام بالبشرية إلى آفاق

---

(١) الأنفال : ٥٨ .

(٢) التفسير الكبير : ١٥/ ١٨٣ ، بيروت دار إحياء التراث العربي .

الشرف بالاستقامة وإلى آفاق من الأمن والطمأنينة ، إنه لا يبيت الآخرين بالهجوم الغادر وهم آمنون مطمئنون إلى عهود ومواثيق لم تنقض ، ولا يروع الذين لم يأخذوا حذرهم حتى وهو يخشى الخيانة والغدر من جانبهم ، فبعد نبذ العهد فالحرب خدعة ؛ لأن كل خصم قد أخذ حذره ، فإذا جازت الخدعة عليه فهو غير معذور به ، إنما هو غافل ، وكل وسائل الخدعة حينئذ مباحة ؛ لأنها ليست غادرة .

المبحث الرابع

حروب الرسول - عليه الصلاة والسلام - مع النصارى

حروب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع النصارى

١ ـ معركة مؤتة :

وقعت معركة مؤتة في شهر جمادىٰ الأولىٰ من السنة الثامنة للهجرة، ومن أسباب هذه المعركة أن رسول الله ﷺ بعث بكتاب إلىٰ ملك بصرىٰ بالشام مع الحارث بن عمير الأزدي(١) يدعوه إلىٰ الإسلام ، فلما وصل إلىٰ مقربة من مؤتة(٢) ، عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني ـ وكان عاملاً علىٰ البلقاء من أرض الشام من قبل قيصر الروم ، فسأله عن جهته فأخبره بأنه ذاهب إلىٰ الشام ، فقال له شرحبيل لعلك من رسل محمد؟ قال : نعم أنا رسول رسول الله ؛ فقبض عليه شرحبيل الغساني ومرافقوه ، فأوثقوا رباطه ثم ضرب عنقه ، ولم يقتل للنبي ﷺ رسول غيره (٣) . فلما علم النبي ﷺ بقتل رسوله ، دعا المسلمين وأخبرهم بمقتل الحارث بن عمير وبمن قتله، ثم أمرهم بالتهيؤ للخروج إلىٰ مؤتة ثأراً لمقتل مبعوثه ، ولتأديب القبائل هناك

(١) الحارث بن عمير الأزدي اللهبي، صحابي، بعثه الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلىٰ ملك الروم في بلاد الشام بكتاب ، فلما نزل مؤتة ـ قرب الكرك بشرق الأردن ـ عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه رباطاً وضرب عنقه صبراً، وعلىٰ أثر مقتله كانت غزوة مؤتة وذلك في السنة الثامنة للهجرة .
ابن سعد ، الطبقات الكبرىٰ : ٤/ ٣٤٣.

(٢) مؤتة : قرية علىٰ مشارف الشام وهي التي تسمىٰ اليوم : الكرك .
ياقوت الحموي ، معجم البلدان : ٥/ ٢٢٠ .
والبوطي، فقه السيرة : ٢٥٨ .

(٣) الواقدي ، المغازي : ٢/ ٧٥٥.

كي لا تعاود الاعتداء على المسلمين واعتراض طريقهم عندما يذهبون إلى الشام، فاجتمع ثلاثة آلاف مقاتل، ولم يخرج معهم رسول الله ﷺ وأمَّر على الجيش زيد بن حارثة وقال للمسلمين: إن قتل زيد فأميرهم جعفر بن أبي طالب، فإن قتل، فعبد الله بن رواحة، فإن قتل جعلوا الإمارة لرجل فيهم يختارونه من بينهم. وأوصاهم أن يأتوا المكان الذي قُتل فيه الحارث بن عمير في الشام، وأن يدعوا الناس من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله عليهم وقاتلوهم[1]، وقال لهم: اغزوا باسم الله في سبيل الله، فقاتلوا من كفر بالله، لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا وليداً... ولا امرأة، ولا صغيراً، ولا كبيراً فانياً، ولا رجالاً معتزلين الناس في الصوامع، ولا تغرقن نخلاً ولا تقطعن شجراً، ولا تهدموا بيتاً[2]. ثم قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً**»[3] وتحرك جيش المسلمين في اتجاه الشمال إلى البلقاء، وكانت موطن نفوذ الغساسنة حتى وصلوا إلى بلدة معان من أرض الشام مما يلي الحجاز الشمالي، حينئذ بلغهم أن هرقل نزل بمكان يقال له مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ومعه من قبائل بهراء وبلقين وبلي ولخم وجذام مائة ألف أخرى، عليهم رجل من بلي يُقال له مالك بن رافلة، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما

(١) الواقدي، المغازي: ٢/ ٧٥٦، ٧٥٧.

(٢) المرجع السابق: ٧٥٧، ٧٥٨.

(٣) المرجع السابق: ٧٥٧.

أن يأمرنا بأمره ، فنمضي له . فشجع ابن رواحة الناس وقال : «يا قوم ، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون : (الشهادة)، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة» فقال الناس : «قد والله صدق ابن رواحة» . فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم جموع هرقل ، من الروم والعرب ، بقرية مشارف من قرى البلقاء، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية مؤتة ، وعسكروا هناك وعبؤوا أنفسهم فيها(١)، وهناك في مؤتة التقى الفريقان ، وبدأ القتال المرير ، ثلاثة آلاف رجل يواجهون هجمات مائتي ألف مقاتل ، معركة عجيبة تشاهدها الدنيا بالدهشة والحيرة ، ولكن إذا هبت ريح الإيمان جاءت بالعجائب(٢) .

فاستشهد قواد المسلمين الثلاثة ، ثم ولى المسلمون عليهم خالد بن الوليد، فبذل جهده في إنقاذ بقية جنود المسلمين ، فغير هيئة العسكر ، فجعل الميمنة ميسرة، والميسرة ميمنة ليتوهم العدو أن المدد قد جاء المسلمين، ويتأخر بالمسلمين قليلاً قليلاً ، مع حفظ جيشه ، ولم يتبعهم الرومان ظناً منهم أن المسلمين يخدعونهم ، ويحاولون القيام بمكيدة ترمي بهم في الصحراء(٣) .

فقد قاتل خالد بن الوليد الروم ببسالة فائقة حتى فض صفوفهم بعدما

(١) الطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٣/ ١٩ ، ٢٠ .

(٢) المباركفوري، الرحيق المختوم : ٣٧٥ .

(٣) الواقدي، المغازي: ٢/ ٧٦٤ .

انكسرت في يده تسعة سيوف[1] ، مما يدل على شدة القتال قبل أن ينسحب من ميدان القتال.

قال ابن حجر : « . . . ثم اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد ، فهزم الله العدو وأظهر المسلمين »[2] .

قال ابن كثير : «ويمكن الجمع بأن خالداً حاز المسلمين وبات ، ثم أصبح وقد غير هيئة العسكر فجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة ، ليتوهم العدو أن مدداً قد جاء المسلمون ، فحمل عليهم خالد فولُّوا فلم يتبعهم ورأى الرجوع بالمسلمين هي الغنيمة الكبرى»[3] .

وهكذا انحاز العدو عن ميدان المعركة ورعبوا ، وانكشفوا منهزمين ، ولم يفكروا في القيام بمطاردة المسلمين ، ونجح المسلمون في الانحياز سالمين حتى عادوا إلى المدينة .

وعلى الرغم من ضراوة هذه المعركة وكثرة أعداد جيش العدو إلا أنه لم يستشهد من المسلمين سوى اثنى عشر رجلاً[4] تقريباً ، أما الأعداء ، فلم يعرف عدد قتلاهم ، غير أن وصف المعركة يدل على كثرتهم وقد قتل

---

(١) ابن سعد ، الطبقات : ٤/ ٢٥٣ .
وابن كثير ، البداية والنهاية : ٢/ ٧٠٧ .

(٢) فتح الباري : ٧/ ٥٨٦ .

(٣) البداية والنهاية : ٢/ ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ .
وابن حجر ، فتح الباري : ٧/ ٥٨٦ .

(٤) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٢/ ٧٠٧ .

منهم خلق كثير(١) ، ولذلك فإن معركة مؤتة كانت نصراً للمسلمين الذين تمكنوا من مجابهة قوات كبيرة جداً تفوقهم بعشرات الأضعاف، ومع ذلك فقد أنزلوا فيها أفدح الخسائر ثم تمكنوا من الانسحاب بخسائر قليلة جداً .

ومن الآداب والحكم التي تضمنتها معركة مؤتة ما يأتي :

ـ قوة المسلمين المعنوية وثقتهم في النفس ، فقد أبلوا في هذه المعركة بلاءً حسناً ، وسجلوا من المواقف البطولية ما يعد بحق مثلاً أعلىٰ يتأسىٰ به المسلمون في جميع معاركهم الجهادية ، فلا يأس ولا قنوط ، ولكن أخذاً بالأسباب ، وصدق النية في الالتجاء إلىٰ رب العباد وعدم التخاذل، مهما كثر الأعداء في العدد والعتاد ؛ لأن نصر الله للمؤمنين لا يكون بكثرة العدد والعدة ، وإنما بقوة الإيمان ، فقوة الإيمان وثبات العقيدة وصدق النية والالتجاء إلىٰ الله عز وجل في ميدان القتال من عوامل النصر ، فقد كان عدد الأعداء يزيد عن عدد المسلمين بحوالي سبعين ضعفاً في العدد، ومع ذلك ما وهن المسلمون وما ضعفوا ، بل كافحوا وجاهدوا وناضلوا وصبروا، وسجل عبد الله بن رواحه بأحرف من نور كلماته التي ملأت قلوب المؤمنين سكينة حين قال لهم : «يا قوم ، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون (الشهادة) ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا إنما هي إحدىٰ الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة» ، وفي ذلك دليل علىٰ قوة الإيمان الذي يحرك الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ نحو ميادين الجهاد .

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٢/ ٧٠٧ .

ـ دلَّت هذه المعركة على أنه يجوز لإمام المسلمين أن يعلق إمارة أحد الناس بشرط ، وأن يولي المسلمين عدة أمراء بالترتيب ، كما فعل النبي ﷺ في تولية زيد ابن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحة ، ولا تنفذ إلا مرتبة .

ـ دلَّت وصية الرسول ﷺ أيضاً للقادة المسلمين على مشروعية اجتهاد المسلمين في اختيار أميرهم في زمن الحرب متى غاب أميرهم الأساس .

ـ كانت معركة مؤتة معركة استطلاعية أفادت المسلمين كثيراً في معرفة خواص قوات الروم وتسليحها وأساليب قتالها ، فأفادوا من هذه المعلومات في قتالهم بعد ذلك للروم .

٢ ـ غزوة تبوك:

كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من الهجرة، وتبوك موضع معروف في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق، وسبب الغزوة أن الرسول ﷺ بلغه أن هرقل ملك الروم ، قد حشد جموعاً كثيرة وأنها قد وصلت مقدماتها إلى أرض البلقاء من أرض الشام في طريقها إلى المدينة تريد غزو المسلمين في بلادهم .

ولما علم النبي ﷺ أن الروم قد جمعوا جيشاً عظيماً وتحشدوا ، بدأ في أخذ الاستعدادات لمواجهة هذا العدو الذي أصبح يهدد المسلمين ، وحينئذ أعلن في الصحابة أن يتجهزوا للقتال، وبعث إلى القبائل من العرب يحضهم على الجهاد والتأهب ويرغبهم في الخروج للعدو وبذل الصدقات وإنفاق كرائم الأموال في سبيل الله ، وكان من سياسته الحكيمة : أنه إذا

علم أن قوماً هموا بغزوه فإنه يبادرهم قبل أن يغزوه ، وكان كلما خرج لغزوة ورىَّ بغيرها لتعمى الأخبار على الأعداء، أما في هذه الغزوة ، فقد أخبر جنده بقصده لبعد الشقة وشدة الزمان ، وكثرة العدو حتى يأخذ المسلمون الحيطة بذلك ويستعدوا للعدو(١) .

وقد نفر المؤمنون الصادقون استجابة لنداء رسول الله ﷺ وتجمَّع حوالي ثلاثين ألف رجل، معهم عشرة آلاف من الخيل واثنا عشر ألف بعير(٢) .

ولما كان هذا الجيش الكبير محتاجاً إلى تجهيز يتناسب مع ظروف المعركة التي سيخوضها مع عدوه، فقد دعا الرسول ﷺ أصحابه للجهاد وحث أهل الغنى منهم إلى الإنفاق في سبيل الله فاستجابوا لهذا النداء، فجاء أبو بكر الصديق بكل ماله ، وجاء عمر بنصف ماله ، وجهز عثمان ثلث الجيش(٣) ، وأقبل أهل الغنى من الرجال والنساء على التبرع ببعض أموالهم(٤) .

وهكذا تجهز الجيش ، ثم تحرك رسول الله ﷺ نحو الشمال يريد تبوك، والتي سميت الغزوة باسمها ، فلما وصل الجيش الإسلامي تبوك ،

---

(١) الواقدي، المغازي : ٣/ ٩٩٠ .
والطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٣/ ٥١ .
(٢) الواقدي، المغازي: ٣/ ٩٩١ ، ٩٩٦ ، ١٠٠٢ ، ١٠٤١ .
وابن سعد ، الطبقات : ٢/ ١٦٦ ، ١٦٧ .
(٣) الواقدي ، المغازي : ٣/ ٩٩١ .
(٤) المرجع السابق : ٣/ ٩٩١، ٩٩٢ .

عسكر هناك، وأقام بتبوك نحو عشرين ليلة[١]، وكان لمبادرته بهذا الجيش أثرها في صرف أولئك النصارىٰ عما كانوا قد عزموا عليه، فلم يتقدم أحد من الروم وحلفائهم لحرب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فكان لذلك أحسن الأثر بالنسبة للمسلمين وسمعتهم العسكرية في داخل الجزيرة العربية وخارجها، هذا ولم يجاوز الجيش الإسلامي تبوك إلىٰ ما بعدها، ولم يقع قتال بينه وبين الروم، كما كان متوقعاً، بل اكتفىٰ بتوطيد سلطانه السياسي علىٰ شمال الحجاز، فقد جاءه يُوحنه بن رُؤبة صاحب أيلة، فصالح الرسول ﷺ ومعه أهل جرباء وأذرح وبعض أهل بلاد الشام، فصالحهم وفرض عليهم الجزية، وكانوا يهوداً[٢]، وكذلك رأىٰ الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أثناء إقامته في تبوك: أن يبعث خالد بن الوليد إلىٰ دومة الجندل، علىٰ رأس حملة لمناسبة خروج ملكها، أكيدر بن عبدالملك ومعاونته لجيوش الروم فيما إذا أتت من ناحيته، وتحقيقاً لسياسته التي ترمي إلىٰ بسط سلطاته علىٰ شمال الحجاز، أمر رسول الله ﷺ، خالد بن الوليد بأن يأتي بأكيدر حيا ونهاه عن قتله، ثم إن خالداً قدم بأكيدر علىٰ رسول الله فحقن دمه، وصالحه علىٰ الجزية، ثم خلىٰ سبيله، فرجع إلىٰ

---

(١) الواقدي، المغازي: ٣/ ١٠١٥.
وابن سعد، الطبقات: ٢/ ١٦٦.

(٢) الواقدي، المغازي: ٣/ ١٠١٩، ١٠٣١، ١٠٣٢.
وابن هشام، السيرة: ٤/ ١٦٩.
وياقوت الحموي، معجم البلدان: ١/ ١٢٩، ٢٩٢، ٢/ ١١٨.
وابن كثير، البداية والنهاية: ٣/ ٢٠ ـ ٢٣.

قريته وكتب له رسول الله ﷺ كتاب صلح حين أجاب إلى الإسلام[١] .

هكذا أيقنت القبائل التي كانت تعمل لحساب الرومان أن اعتمادها على سادتهم من الروم قد فات أوانه ، فانقلبت تناصر المسلمين ، ورجع الجيش الإسلامي من تبوك منصوراً وكفى الله المؤمنين القتال .

وهكذا توسعت حدود الدولة الإسلامية ، حتى لاقت حدود الرومان مباشرة، وشهد عملاء الرومان نهايتهم إلى حد كبير .

وعلى كل حال ، فقد كانت غزوة تبوك معركة ذات غرض استراتيجي، وقد وصل إليه النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ دون قتال ، فقد أدت إلى تأمين حدود بلاد المسلمين الشمالية ، وجعلت أمراء أطراف بلاد الشام حلفاء لهم، وقد أوضحت للقبائل العربية التي لا تزال على الشرك أن دولة الروم قد خافت قوة المسلمين ، فبدأت تلك القبائل تفد إلى المدينة لإظهار الولاء لدولة الإسلام والدخول في دين الله أفواجاً، وعلى هذا الأساس تظهر قيمة غزوة تبوك ومدى المكاسب التي حققها المسلمون من هذه الغزوة .

ومن الآداب والحكم التي تضمنتها غزوة تبوك ما يلي:

ـ نتج عن هذه الغزوة إلقاء الرعب في نفوس الرومان، الأمر الذي

---

(١) الواقدي، المغازي : ٣/ ١٠٢٥ـ١٠٢٨ ، ١٠٣٠ .
وابن هشام ، السيرة : ٤/ ١٦٩ ، ١٧٠ .
وابن سعد ، الطبقات : ٢/ ١٦٦ .
وابن كثير ، البداية والنهاية : ٣/ ٢٣ .

يجعلهم لايفكرون بعد ذلك في القيام بأي نشاط عسكري من شأنه الكيد بالإسلام والمسلمين .

ـ لا يعد خروج الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ في غزوة تبوك ، أمراً عدوانياً ضد الروم . وإنما يعد دفاعاً مشروعاً يقره الإسلام ، وذلك لأن الرسول ﷺ لم يبادئهم بالاعتداء إلا بعد أن جمعوا له الجموع لغزوه مستغلين الظروف الصعبة التي كان المسلمون يمرون بها ، وأرادوا القضاء عليه في بلاده ، فلولا عداؤهم وتجمعهم لغزوه ؛ ما خرج إليهم رسول الله ﷺ فهو لم يسبق أن اعتدىٰ عليهم أو مسهم بسوء ، فهم بذلك البادئون بالعدوان .

ـ يجوز للمسلمين محاربة أهل الكتاب إذا رأىٰ الإمام أن المصلحة تقتضي ذلك كأن يظهروا عداءهم ، أو يعدوا العدة لمحاربة المسلمين .

ـ إذا استنفر الإمام المسلمين للجهاد وجب النفير عليهم جميعاً، ولا يجوز لأحد التخلف إلا بإذنه .

ـ وجوب الجهاد بالمال ، كما يجب بالنفس ، فإن الأمر بالجهاد بالمال شقيق الأمر بالجهاد بالنفس ، وقد يكون مقدم عليه .

ـ مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب ، وأنهم يحرزون بذلك دماءهم وأموالهم .

ـ رفع معنويات المسلمين تجاه الروم وحلفائهم من نصارىٰ العرب وغيرهم ، وأصبح المسلمون يعتقدون أن في إمكانهم محاربة الروم والقضاء علىٰ جيوشهم ومخططاتهم داخل بلادهم نفسها .

المبحث الخامس
نظرة عامة حول الحروب في العهد النبوي

نظرة عامة حول الحروب في العهد النبوي

يتضح بعد هذا العرض السريع لحروب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع المشركين واليهود والنصارىٰ أن جميع هذه الحروب مشروعة ، ولم يكن الغرض منها قهر الناس علىٰ اعتناق الإسلام كما يدعي أعداؤه افتراءً وكذباً، وإنما هي حرب مشروعة استهدفت الخير والعدل ودفع الظلم عن المظلوم وتأمين حرية التمتع بالشعائر الدينية ، ورد كيد المعتدين، وبذلك فإن الحرب في الإسلام ليست عدوانية ، وأن المسلمين لا يلجأون إلىٰ الحرب إلا مضطرين ؛ إذ لو كانت الحرب في الإسلام للاعتداء وإكراه الناس علىٰ الدخول في الإسلام؛ لكان مباحاً للمسلمين فعل كل ما يحقق لهم أغراضهم ، وقد نهىٰ الإسلام عن الاعتداء ومحاربة من سالم المسلمين كما أنه أوجب الوفاء بالعهود للمعاهدين وحرم الغدر والخيانة ، الأمر الذي يبطل دعوىٰ القائلين بأن الإسلام ما قام إلا بحد السيف ، كما يثبت أن غير المسلمين من مشركين ويهود ونصارىٰ هم الذين أعلنوا الحرب علىٰ الدين الحق ، فهم في عملهم هذا يعدون محاربين لنور الله سواء بحملهم السلاح، أو بما يطلقونه من دسائس وفتن ، أو بما يحرضون به أتباعهم وحلفاءهم علىٰ حرب هذا الدين وأهله ، أو الوقوف سراً في وجهه ، فهم بذلك يلتقون مع بعضهم في نفس الهدف ، فإذا كان المشركون قاتلوا رسول الله ﷺ وصحابته ، فالنصارىٰ واليهود كذلك حاولوا وبذلوا ما يستطيعونه من الخيانة والغدر والاعتذاء ليقضوا علىٰ الدعوة ، وكان من الوسائل التي اتخذوها تجميع الجموع وتحزيب الأحزاب لمقاتلة الرسول ـ عليه الصلاة

والسلام ـ وصحابته ، وقد بيَّن القرآن الكريم أن عداء المشركين وأهل الكتاب للإسلام والمسلمين طبيعة دائمة متأصلة في نفوسهم وليست حالة عارضة تزول بزوال سببها ، فقد قال سبحانه وتعالىٰ في شأن المشركين : ﴿...وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا...﴾(١) حيث يخبر سبحانه وتعالىٰ بأن فتنة المشركين للمسلمين لقصد إرجاعهم عن دينهم الحق إلىٰ الكفر بحبسهم وسجنهم ومنعهم وتعذيبهم حتىٰ يهلكوا وذلك يعد أشد جرماً من القتل ، إضافة إلىٰ عزمهم علىٰ قتال المسلمين ليردوهم عن دينهم ، وهذه الفتنة التي يسعون إليها هي شرك وكفر بالله وهي عند الله أكبر من القتل وتعدياً علىٰ الحقوق(٢) .

ذلك أن مشركي قريش يقاتلون المسلمين لصدهم عن دينهم الإسلام ليردوهم إلىٰ الكفر كما كانوا يفعلون بمن قدروا عليه منهم قبل الهجرة(٣) .

وقال في شأن أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ : ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...﴾(٤) . يخبر سبحانه وتعالىٰ رسوله الكريم وأمته تابعة له بأن اليهود وكذا النصارىٰ ليست براضية عنه أبداً ، ليدع طلب مايرضيهم ويوافقهم ، ويقبل علىٰ طلب رضاء الله تعالىٰ وإلىٰ مابعثه

---

(١) البقرة : ٢١٧ .
(٢) الطبري ، جامع البيان : ٤/ ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، تحقيق محمود شاكر .
وابن عطية ، المحرر الوجيز : ٢/ ٢٢٣ .
وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ١/ ٤٥٠ .
(٣) الطبري ، جامع البيان : ٤/ ٣١٥ ، ٣١٦ ، تحقيق محمود شاكر .
(٤) البقرة : ١٢٠ .

الله به من الحق، فإن دعوته إليهم لهي السبيل إلى الألفة والدين الحق، ولاسبيل إلى إرضائهم باتباع ملتهم؛ لأن اليهود ضد النصرانية، والنصرانية ضد اليهودية ولاتجتمع النصرانية واليهودية في شخص واحد في حال واحدة، واليهود والنصارى لاتجتمع على الرضاء بالرسول إلا أن يكون يهودياً نصرانياً، وذلك مما لايكون منه أبداً؛ لأنه شخص واحد، ولن يجتمع فيه دينان متضادان في حال واحدة، ففي هذا نهي عن اتباعهم وأمر بوجوب لزوم هدي الله الحق الذي فيه الألفة لجميع الخلق (١) . فعداء المشركين وأهل الكتاب للإسلام والمسلمين عداء متأصل فيهم، فلايتخلون عن هذا العداء أبداً إلا أذا كانوا في حالة ضعف، ومع ذلك فلو كانوا في حالةضعف ، فلابد أن يسعوا في الأرض فساداً بما يطلقونه من دسائس وأكاذيب.

لقد جاءت دعوة الإسلام للناس أجمعين، والله سبحانه وتعالى أمر رسوله الكريم محمداً عليه الصلاة والسلام بتبليغ الدعوة عن طريق الحجة والكلمة البالغة قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾(٢) ورغم الصاق التهم الكاذبة برسول الله ﷺ من قبل معارضيه، والكيد له والتعرض لأتباعه بالإيذاء والتعذيب فقد صبر المسلمون بمكة ثلاث عشرة سنة على النكال والعذاب وهم يقابلون ذلك بالحكمة والحسنى وبجميع صنوف البر والصلة والمودة وحتى أَذِنَ لهم الله تعالى بمقاتلة من يقاتلهم والاعتداء على من يعتدي عليهم ومسالمة من يسالمهم قال تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...**﴾(٣) وقال تعالى:

---

(١) الطبري، جامع البيان: ٢/ ٥٦٢، ٥٦٣، تحقيق محمود شاكر.

(٢) النحل: ١٢٥.

(٣) الحج: ٣٩.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(١) وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...﴾(٢).

ولم يلجأ المسلمون إلىٰ الجهاد المسلح إلا بعد استنفاد جميع وسائل الترغيب والترهيب فكان جهادهم دفاعاً عن دينهم وذوداً عن عقيدتهم، ومنعاً لحدوث اعتداء علىٰ الإسلام والمسلمين، وإزالة الحواجز التي تقف في وجه نشر هذه الدعوة؛ الدعوة التي هي الرحمة إلىٰ الناس أجمعين ولم تكن أبداً عدوانا أو انتقاماً(٣).

لقد دعا الرسول محمد ﷺ ملك الفرس وقيصر الروم وعظيم القبط وملك الحبشة وغيرهم إلىٰ الإسلام بكتابات جمعت أسمىٰ معاني الرحمة والرأفة بهم وبشعوبهم(٤) مما كان له الأثر القوي في دعم وتوثيق الصلة بين تلك الدول والدولة الإسلامية الناشئة وتصفية الكثير من المشكلات والخلافات بينهما، والعمل علىٰ حماية المصالح والدفاع عن الحقوق علىٰ أسس من التعاون والعدل، فتزداد الروابط قوة بين الشعوب ويحل الأمن والاستقرار بين الأمم، فالدين الإسلامي يقيم العلاقات الإنسانية في أسمىٰ صورها، ويؤلف القلوب علىٰ الحق والعدل والتضامن لبناء الحياة الطيبة السليمة الخالية من الأحقاد والمشاحنات والتنازع والشقاق، فالإسلام يأمر بالإصلاح بين الناس ويحافظ علىٰ حقوقهم المشروعة، ليسعوا في عمارة الأرض بالعمل والبناء والإنتاج وعدم الإفساد فيها بالإثم والبغي والعدوان ليتحقق الأمن ويستقر السلم.

---

(١) البقرة: ١٩٠.

(٢) الأنفال: ٦١.

(٣) العسل، الجهاد الإسلامي أحكام وتطبيقات: ٤١.

(٤) انظر الملاحق.

الخاتمـــــة

الخاتمــة

- إن الجهاد أبعد مدىٰ من القتال بالسلاح ، يتبين ذلك من أن النبي - عليه الصلاة والسلام - لم يؤمر بالقتال إلا بعد هجرته إلىٰ المدينة ولكنه أُمر بالجهاد منذ بعثته في مكة ، ولذلك نلاحظ أن نوع الجهاد الذي قصَّه القرآن الكريم بدأ مع مطلع الدعوة الإسلامية في مكة بالتخلص من الهوىٰ والتجرد للغاية الأسمىٰ وهي إعلان عبودية الله في النفس ، ثم التحرك بعدها إلىٰ إعلانها في المجتمع ، وأخذت هذه المرحلة فترة ليست بالقصيرة إذا ما قيست بالآلام التي لاقاها المؤمنون في سبيل الدعوة الجديدة ، ولقد قرر القرآن الكريم هذا المفهوم بقوله تعالىٰ : ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(١) .

وكانت مرحلةالدعوة الإسلامية في مكة تؤدىٰ بهذا النوع من الجهاد بكل أبعاده ، ولذلك قال سبحانه وتعالىٰ : ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا**﴾(٢) .

فهذه سورة مكية أمر الله سبحانه وتعالىٰ فيها رسوله ﷺ بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن ومجاهدة النفس علىٰ ما تلاقي من الصد والعدوان والصبر عليهما حيث لم يؤمر ﷺ بغير ذلك في مكة ، وقد سماه القرآن الكريم «جهاداً كبيراً» فحياة الرسول ﷺ من أول البعثة كانت جهاداً

(١) العنكبوت : ٦٩ .

(٢) الفرقان : ٥١ ، ٥٢ .

متواصلاً في سبيل الدعوة؛ لإعلاء كلمة الله تعالىٰ في الأرض، إلىٰ جانب نصرة الإسلام والدفاع عن حرمات المسلمين، ولهذا يتبين أن لفظ الجهاد أعم من لفظ الحرب أو القتل المجرد، وقد شرع الله سبحانه وتعالىٰ في مكة جهاد النفس والهوىٰ والشيطان كأساس أصيل لكل أنواع الجهاد فكان هذا النوع من الجهاد مرحلة سابقة علىٰ القتال؛ لأن من جاهد نفسه وهواه، اندفع للجهاد بالنفس والمال، والجهاد بمعناه العام واجب علىٰ الأمة الإسلامية كل علىٰ قدر استطاعته من يوم بعثته ﷺ إلىٰ يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ـ بما أن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لكل البشر وقد ورث المسلمون نبيهم في الدعوة إلىٰ الله والمحافظة عليها، وأُمروا في تبليغها، فلا بد حينئذ من أن يكون لهذه الدعوةالعالمية قوة تحميها وتزيح من أمامها كل عقبة تقف في طريقها حتىٰ تصل هذه الدعوة للناس جميعاً وتسلّم الأمانة لأصحابها، من هنا شرع الله الحرب في الإسلام وجعلها ضرورة تمليها طبيعة الشرك نفسه، وما وضع من عقبات أمام تبليغ الدعوة من ظلم وفتنة للناس، وإلا فسدت الأرض وهدمت أماكن العبادة وذهبت مقدسات الإيمان وتخلخل السلم واهتز الأمن، وعلا الباطل، فالإسلام يجعل من المسلمين قوة أمن ذاتية تقوم علىٰ حراسة الأمن وحماية العدل والفضيلة ودفع الظلم ومنع الاعتداء، والحق مهما كان واضحاً، إذا لم تسنده القوة علا عليه الباطل، وإن كان زائفاً.

ـ أظهرت الحروب الإسلامية في العصر النبوي عظمة الإسلام، ولقد كان الرسول الكريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو المثل الأعلىٰ والقدوة الحسنة

للمسلمين ، فقد علمهم الآداب التي يجب أن يتحلىٰ بها المجاهدون المسلمون، وأوصاهم عند لقاء العدو بوصايا تتصف بالإنسانية التي يجب أن تكون رحيمة الهدف بعيدة عن التعدي والظلم ، وبيَّن لهم أن الإسلام جاء ليحترم كرامة الإنسان وأنه ليس دين قتل وتخريب وتدمير ، والحرب ليست مقصودة لذاتها ، وإنَّما هي رداً لاعتداءات المعتدين ودفاعاً عن الحق ودرءاً للفتنة ومنعاً للظلم . كما أظهرت هذه الحروب مدىٰ التزام المسلمين في حروبهم مع غيرهم بآداب الإسلام في الحرب ، وأن المعركة يجب أن تكون قاصرة علىٰ ميدان القتال ولا تتعداه إلىٰ الآمنين أو قتل من لا يقاتل أو التمثيل بجثث القتلىٰ ووجوب دفنها احتراماً لبشرية الإنسان الذي خلقه الله وكرمه ، وغير ذلك من الآداب الإسلامية في أثناء الحروب .

ـ يعد حفر الخندق في غزوة الأحزاب ـ الخندق ـ خطة حربية دفاعية ، ودليلاً مادياً علىٰ أن المسلمين لا يقصدون في دعوتهم الحرب أو إراقة الدماء، وأن الحرب في الإسلام ليست مقصودة لذاتها ؛ ذلك أن الإسلام إذا لم توضع أمام دعوته الحواجز التي تمنع إيصالها إلىٰ الناس فهو يؤثرَ السلم علىٰ الحرب .

ـ يدخل حفر الخندق في مفهوم الحث علىٰ الاستعداد للقتال واتخاذ وسائل القوة الممكنة المتاحة للمسلمين والتي تردع العدو وتخيفه وتحد من كبريائه ليركن إلىٰ السلم .

ـ تَظهَر الآداب الإسلامية في الحرب ناصعة جلية في أثناء غزوة فتح مكة، ومدىٰ سماحة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعفوه عمن أساء

إليه، يتمثل ذلك في عفوه الشامل عن كفار قريش الذين وقفوا بالأمس في سبيل دعوته وحاربوه وأخرجوه من مكة بعد أن تعرضوا له ولمن آمن به بالإيذاء ومن ثم لحقوه بالمدينة وحاربوه يريدون القضاء عليه وقت أن كانوا أقوياء، واليوم وهم ضعفاء أذلاَّء وقد نصره الله عليهم. فأين هذا مما يفعله قادة الاستعمار في العصر الحديث في ظل القانون الدولي العام من القتل الجماعي والإبادة الجماعية وفتح السجون والمعتقلات وغير ذلك من وسائل التنكيل والتعذيب ؟!! .

واللهَ أسألُ مخلصاً أن يوفق الجميع وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

علي بن عبد الرحمن الطيَّار

الملاحق

ملحق رقم (١)
وثيقة المدينة

وثيقة المدينة

« بسم الله الرحمن الرحيم »

١ ـ هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

٢ ـ أنهم أمة واحدة من دون الناس .

٣ ـ المهاجرون من قريش على ربعتهم [١] يتعاقلون [٢] بينهم ، وهم يفدون عانيهم [٣] بالمعروف والقسط [٤] بين المؤمنين .

٤ ـ وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥ ـ وبنو الحارث بن الخزرج على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٦ ـ وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

---

(١) الربعة : الحال التي جاء الإسلام وهم عليها ، والمعنى أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه .

(٢) المعاقل : الديات ، الواحدة معقُلة ـ بضم القاف ـ وهي الدية ، ومعنى يتعاقلون : أي يكونون على ماكانوا عليه في الجاهلية ، من أخذ الديات وإعطائها .

(٣) العاني : الأسير .

(٤) القسط : العدل .

٧ ـ وبنو جُشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨ ـ وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٩ ـ وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠ ـ وبنو النَّبِيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١١ ـ وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٢ ـ وأن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحاً (١) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .

١٢ ب ـ وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

١٣ ـ وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منه ، أو ابتغى دسيسة (٢) ظلم ، أو إثماً ، أو عدواناً ، أو فساداً بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم .

---

(١) المفرح : المثقل بالدين .

(٢) وفي رواية دسيعة ، والدسع : الدفع والعطية ، أي طلب دفعاً على سبيل العطية .

١٤ ـ ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .

١٥ ـ وأن ذمة الله واحدة يجير [١] عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس .

١٦ ـ وأنه من تبعنا من يهود [٢] ، فإن له النصر والأسوة [٣] غير مظلومين ، ولا متناصر عليهم .

١٧ ـ وأن سلم[٤] المؤمنين واحدةٌ ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء [٥]وعدل بينهم .

١٨ ـ وأن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً[٦] .

١٩ ـ وأن المؤمنين يُنبيءُ [٧] بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله .

---

(١) أي إذا أجار واحد من المسلمين واحداً أو جماعة من الكفار وأمنهم ، جاز ذلك على جميع المسلمين ، لاينقض عليه جواره وأمانه .

(٢) يقال « يهود» بدون ألف ولام ، وهو اسم للقبيلة ، وقالوا : «اليهود» فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب يريدون اليهوديين .

(٣) الأسوة : بالضم والكسر ، القدوة .

(٤) السلم بكسر السين وفتحها : الصلح ، والمعنى : لا يصالح واحد دون أصحابه ، وإنما يقع الصلح بينهم ، وبين عدوهم باجتماع ملئهم على ذلك .

(٥) السواء : العدل والنصفة كالسوية ، ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ أي عدل .

(٦) أي يكون الغزو بينهم نوبا ، فإذا خرجت طائفة ثم عادت ، لم تكلف أن تعود ثانية حتى تعقبها أخرى غيرها وهكذا .

(٧) يُنبيء بعضهم عن بعض : يتعادلون ويتكافئن .

٢٠ ـ وأن المؤمنين المتقين على أحسن هدىً وأقومه .

٢٠ ب ـ وأن لا يجير مشركٌ مالاً لقريش ، ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن .

٢١ ـ وأنه من اعتبط [١] مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود [٢] به ، إلا أن يرضىٰ ولي المقتول بالعقل ، وأن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

٢٢ ـ وأنه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً [٣] أو يؤويه ، وأن من نصره أو آواه ، فإنه عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف [٤] ولا عدل [٥].

٢٣ ـ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله ، وإلى محمد.

٢٤ ـ وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٢٥ ـ وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، ولليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يُوتغ [٦] إلا نفسه وأهل بيته .

٢٦ ـ وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

---

(١) اعتبطه : قتله بلا جناية منه توجب قتله .

(٢) القود : القصاص أي أن القاتل يقاد به ويقتل قصاصاً .

(٣) المحدث : مرتكب الجناية الكبيرة .

(٤) ، (٥) الصرف : التوبة ، والعدل : الفدية .

(٦) يوتغ : يهلك.

٢٧ ـ وأن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

٢٨ ـ وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

٢٩ ـ وأن ليهود بني جُشَم مثل ما ليهود بني عوف .

٣٠ ـ وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

٣١ ـ وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتغ إلا نفسه وأهل بيته .

٣٢ ـ وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

٣٣ ـ وأن لبني الشُّطَيَة مثل ما ليهود بني عوف ، وأن البرَّ [١] دون الإثم .

٣٤ ـ وأن موالي ثعلبة كأنفسهم .

٣٥ ـ وأن بطانة [٢] يهود كأنفسهم .

٣٦ ـ وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد .

٣٦ ب ـ وأنه لا ينحجز [٣] على ثأرِ جُرحٍ ، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم ، وأن الله على أبَرِّ هذا [٤] .

٣٧ ـ وأن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم .

---

(١) البر : الصدق والوفاء وكل ضروب الخير التي ينبغي أن تكون حاجزاً عن الإثم .

(٢) بطانة يهود : اليهود الذين خارج المدينة .

(٣) حجزه فانحجز : منعه وحال بينه وبين غرضه .

(٤) على أبر هذا : أي أن الله وحزبه المؤمنين على الرضاء به .

٣٧ ب ـ وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وأن النصر للمظلوم .

٣٨ ـ وأن اليهود يُنفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٣٩ ـ وأن يثرب حرامٌ جوفُها لأهل هذه الصحيفة [١] .

٤٠ ـ وأن الجار كالنفس غير مُضارٍّ [٢] ، ولا آثم .

٤١ ـ وأنه لا تُجار حرمةٌ [٣] إلا بإذن أهلها .

٤٢ ـ وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث ، أو اشتجار [٤] يُخاف فسادُه ، فإن مَرَدَّه إلى الله وإلى محمد رسول الله ، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرِّه .

٤٣ ـ وأنه لا تُجار قريش ولا من نصرها .

٤٤ ـ وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

٤٥ ـ وإذا دُعوا إلى صلح يُصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وأنهم إذا دَعوا إلى مثل ذلك ، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين .

٤٥ ب ـ على كل أناس حِصَّتهم من جانبهم الذي قِبَلهم .

٤٦ ـ وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع

---

(١) أي حرم لهم لا يحل انتهاكه .

(٢) ضارة ضراراً ومضارة : ضره .

(٣) الحرمة : ما لا يحل انتهاكه .

(٤) الاشتجار : التخالف والتنازع .

البرِّ المحض من أهل هذه الصحيفة ، وأن البرَّ دون الإثم لا يَكسِب كاسب إلا على نفسه ، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأَبَرِّه .

٤٧ ـ وأنه لا يحول هذا الكتابُ دون ظالمٍ أو آثم ، وأنه من خرجَ آمنٌ ، ومن قعد آمنٌ بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وأن الله جارٌ لمن بَرَّ واتّقى ، ومحمد رسول الله ﷺ[1] .

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية : ٢/ ٦٤ ، ٦٥ .
والسهيلي ، الروض الأنف : ٢/ ١٦ ـ ١٧ .
وحميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية : ٥٩ ـ ٦٢ .
وصفوت ، جمهرة رسائل العرب : ١/ ٢٥ ـ ٣٠ .
والقاسمي ، نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي : ١/ ٣٢ ـ ٣٦ .

ملحق رقم (٢)
صلح نجران

صلح نجران

« بسم الله الرحمن الرحيم »

هذا ما كتب محمدٌ النبيُّ رسولُ الله ﷺ لأهل نجران :

ـ إذا كان عليهم حُكمه ـ في كل ثمرةٍ ، وفي كل صفراءَ [١] وبيضاء [٢] وسوداء ورقيق [٣] ، فأفضلَ [٤] ذلك عليهم ، وتَركَ ذلك كُلَّه لهم ، على ألفي حُلَّة من حُلَلِ الأواقي : في كل رجب ألفُ حُلّة ، وفي كل صَفَر ألفُ حُلّة ، كل حلة أوقية [٥] من الفضة ، فما زادت على الخراج ، أو نَقَصَتْ عن الأواقي فبالحساب [٦] ، وما قضوا من دروع ، أو خيلٍ أو ركابٍ [٧] ، أو عروضٍ [٨] أُخِذَ منهم بالحساب . وعلى نجران مثواةُ رسلي [٩] شهراً فدونه ،

---

(١) الصفراء : الذهب .

(٢) البيضاء : الفضة .

(٣) سوداء ورقيق : أي جارية وعبد .

(٤) فأفضل : أي أبقاه لهم .

(٥) كل حلة أوقية : أي ثمن كل حلة أوقية . والأوقية : زنة سبعة مثاقيل ، وزنة أربعين درهماً ، والجمع الأواقي بالتشديد والتخفيف .

(٦) فبالحساب : أي أنهم إن أدوا حلة بما فوق الأوقية حسب لهم فضل ذلك ، وإن أدوا بما دون الأوقية أخذ منهم النقصان .

(٧) الركاب : الإبل ، واحدتها راحلة .

(٨) العروض : الأمتعة جمع عرض ، وهو المتاع ، وكل شيء عرض إلا الدراهم والدنانير فإنها عين .

(٩) مثواة رسلي : أي مسكنهم مدة مقامهم وإضافتهم .

ولا تحبس رسلي فوق شهر ، وعليهم عاريَّة[١] ثلاثين درعاً ، وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً ، إذا كان كيد باليمن ومعرة[٢] وما هلك مما أعاروا رسلي من دروع ، أو خيل ، أو ركاب ، أو عروض فهم ضُمُن [٣] حتىٰ يردوه إليهم .

ولنجران وحاشيتها جوار الله ، وذمة محمد النبي رسول الله ، وعلىٰ أموالهم وأنفسهم، وأرضهم وملتهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وعشيرتهم وبِيَعهم [٤]، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، ولا يُغير أُسقُفٌ عن أُسْقُفِّيته ، ولا راهب عن رهبانيته ، ولا كاهن عن كهانته ، وليس عليهم دنية [٥] ولا دم جاهلية ، ولا يُحشَرُون [٦] ولا يُعَشَّرون [٧] ولا يطأُ

---

(١) العارية بالتشديد وقد تخفف : الشيء المستعار ، وهي اسم من الإعارة ، والمراد بها هنا المعنىٰ المصدري، أي الإعارة .
صفوت ، جمهرة رسائل العرب : ١/ ٧٨ .

(٢) المعرة : الخيانة والأذىٰ والإثم ، وقيل: ومغدرة ، أي إذا كان كيد بغدر منهم ، والمعنىٰ: إذا كان كيد باليمن يدعو إلىٰ تخلفهم هنالك ولبثهم لدرء هذا الكيد .
البلاذري ، فتوح البلدان : ٧٦ .

(٣) فهم ضمن : أي ضامنون له وكافلون ، والضامن والضعين : الكافل .

(٤) البيع : جمع بيعة ، وهي متعبد النصارىٰ .

(٥) الدنية : الشيء الدنيء الخسيس ، وفي فتوح البلدان : (وليس عليهم رهق) والرهق بالتحريك: الظلم ، واسم من الإرهاق، وهو أن تحمل علىٰ الإنسان ما لا يطيقه .
البلاذري ، فتوح البلدان : ٧٦ .
وصفوت ، جمهرة رسائل العرب : ١ / ٧٨ .

(٦) لا يحشرون : أي لا يندبون إلىٰ المغازي .

(٧) لا يعشرون : أي لا يؤخذ عشر أموالهم .

أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النَّصفُ (١) غيرَ ظالمين ولا مظلومين، ومن أكل منهم ربا من ذي قِبَل (٢) فذمتي منه بريئة ، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر ، ولهم على ما في هذا الكتاب جوارُ الله ، وذمة محمد النبي رسول الله أبداً ، حتىٰ يأتي الله بأمره ما نصحوا وأصلحوا فيما عليهم غيرَ منفلتين بظلم » (٣).

---

(١) النصف : الإنصاف والعدل .

(٢) ربا من ذي قبل : أي في المستقبل . تقول : أفعل ذلك من ذي قبل بفتح الباء وفتح القاف وكسرها : أي فيما أستقبل ، وافعل ذلك من ذي قبل : أي فيما تستقبل .
صفوت ، جمهرة رسائل العرب : ١/ ٧٩ .

(٣) أبو يوسف ، الخراج : ٨٥ ، ٨٦ .
وأبو عبيد ، الأموال : ٤١ .
و البلاذري ، فتوح البلدان : ٧٥، ٧٦ .
وابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٦٣٤ ، ٦٣٥ .
وحميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية : ١٧٥ ، ١٧٦ .
وصفوت ، جمهرة رسائل العرب : ١/ ٧٦ـ٧٨ .

ملحق رقم (٣)
صلح الحديبية

صلح الحديبية

« باسمك اللهم ؛ هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله وسهيل ابن عمر ، و اصطلحا على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه لا إسلال ولا إغلال [١] ، وأن بيننا عيبة مكفوفة [٢] ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده دخل ، وأنه من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل ، وأنه من أتى محمداً منهم بغير إذن وليّه رده إليه ، وأنه من أتى قريشاً من أصحاب محمد لم ترده ، وأن محمداً يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ، ويدخل علينا قابل [٣] في أصحابه فيقيم ثلاثاً ، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر ، والسيوف في القُرُب » .

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح تسعة شهود ، سبعة من المسلمين هم :

أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، ومحمد

---

(١) الأسلال : السرقة الخفية ، والإغلال : الخيانة .

(٢) العيبة : بفتح العين ، أي بيننا وبينكم عيبة مكفوفة ، أي صدور منطوية على ما فيها ، لاتبدي عداوة .

السهيلي ، الروض الأنف : ٢/ ٢٣٠ .

(٣) قابل : أي العام القادم .

بن مسلمة الأنصاري . واثنين من المشركين هما :

حويطب بن عبد العزىٰ ، ومكرز بن حفص بن الأخيف [1] .

---

(١) الواقدي ، المغازي : ٢/ ٦١٢ .
وابن هشام ، السيرة النبوية : ٣/ ١٧١ ، ١٧٢ .
وابن سعد ، الطبقات الكبرىٰ : ٢/ ٩٧ .
والطبري ، تاريخ الأمم والملوك : ٣/ ٦٣٦ .
وابن الأثير ، الكامل : ٢/ ١٣٨ ، ١٣٩ .
وابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٢٩٤ ، ٢٩٥ .
والحلبي ، السيرة الحلبية : ٢/ ٧٠٧ـ ٧١٢ .
وحميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية : ٧٧ ، ٨٠ .

ملحق رقم (٤)

عهده ﷺ لأهل أيلة بالأمان

عهده ﷺ لأهل أيلة بالأمان

لما كان ﷺ بتبوك (١) ـ سنة تسع ـ أتاه يُحَنَّة بن رُؤْبَة صاحب أيْلَة (٢)، وصحبته أهل جَرْباَء ، وأهل أذْرُح، وأهل ميناء ، فصالح رسول ﷺ على إعطاء الجزية ، وكتب له ولأهل أيلة كتاباً صورته :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أَمَنَة (٣) من الله ومحمد النبيِّ رسول الله لِيُحَنَّةَ بن رُؤْبَةَ ، وأهل أيْلَةَ ، سُفُنِهِمْ وَسَيَّارَتِهم (٤) في البَرِّ والبحر ، لهم ذمة اللّه وذمةُ محمد النبي ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ؛ فمن أحدث منهم حَدَثا فإنه لايَحُوزُ مَالَهُ دون نفسه ، وإنه طيِّب (٥) لمن أخذه من الناس ، وإنه لايَحِلُّ أنْ يُمنعوا ماءً يَرِدُونَه ، ولا طريقاً يُريدونه من برّ أو بحر» (٦) .

---

(١) موضع بين وادي القرى والشام ، وكان عليه الصلاة والسلام قد سار إليها لغزو من انتهى إليه أنه قد تجمع بها من الروم وحلفائهم لحرب المسلمين وهي آخر غزواته عليه الصلاة والسلام.

(٢) مدينة على خليج العقبة من شماليه .

(٣) أي أمان أمن كفرح أمنا بالسكون وأماناً وأمنا وأمنة محركتين وإمنا بالكسر .

(٤) السيارة : القافلة . وفي تاريخ ابن عساكر والمواهب «أساقفتهم وسائرهم» . أي باقيهم مكان قوله : «سفنهم وسيارتهم» .

(٥) وفي السيرة الحلبية : «وإنه لطيبة» . وهو على تقدير أنه صفة لموصوف محذوف أي لغنيمة طيبة لمن أخذه .

(٦) سيرة ابن هشام ٤٠/ ١٦٩ .
والسيرة الحلبية : ٣/ ١١٧ .
وصفوت ، جمهرة رسائل العرب : ١/ ٥١ .

ملحق رقم (٥)

مكاتبات الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء

مكاتبات الرسول ـ ﷺ ـ إلى الملوك والأمراء

في أواخر السنة السادسة للهجرة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية كتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام .

ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء قيل له : إنهم لا يقبلون إلا وعليه خاتم ، فاتخذ النبي ﷺ خاتماً من فضة ، ونقشه : محمد رسول الله ، كان هذا النقش ثلاثة أسطر مكتوباً على النحو التالي :

الله

رسول

محمد

واختار من أصحابه رسلاً لهم معرفة وخبرة ، وأرسلهم إلى الملوك والأمراء (١) ، وفيما يلي بعض نصوص هذه الكتب .

١ ـ كتابه ـ ﷺ ـ إلى النجاشي ملك الحبشة :

« **بسم الله الرحمن الرحيم .**

من محمد رسول الله ، إلى النجاشي . . ملك الحبشة .

سلم أنت . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، الملك ،

(١) الغضبان ، المنهج الحركي للسيرة النبوية : ٣/ ٤٨ .
والمباركفوري ، الرحيق المختوم : ٣٣٦ .

القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، وأشهد أن عيسىٰ بن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلىٰ مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسىٰ ، فخلقه الله من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده ونفخه .

وإني أدعوك إلىٰ الله وحده لا شريك له ، والموالاة علىٰ طاعته ، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني ، فإني رسول الله .

وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ، ونفراً معه من المسلمين . فإذا جاءك فأُقرِهم ودع التجبر ، فإني أدعوك وجنودك إلىٰ الله ، فقد بلّغت ونصحت ، فاقبلوا نصحي . والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ » (١) .

٢ ـ كتابه ـ ﷺ ـ إلى المقوقس ملك مصر :

« من محمد عبد الله ورسوله ، إلىٰ المقوقس عظيم القبط .

سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ ، أما بعد : فإني أدعوك بدعاية (٢) الإسلام ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فعليك إثم القبط .

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد : ٣ / ٦٨٩ .
والحلبي ، السيرة الحلبية : ٣ / ٢٩٣ .
وصفوت ، جمهرة رسائل العرب : ١ / ٤١ .

(٢) أي بالكلمة الداعية إلىٰ الإسلام ، وهي كلمة التوحيد : أي أدعوك إليها .

مُسْلِمُونَ ﴾ (١) » (٢) .

٣ ـ كتابه ـ ﷺ ـ إلى هرقل قيصر الروم :

« بسم الله الرحمن الرحيم .

من محمد عبد الله ورسوله ، إلىٰ هرقل عظيم الروم .

سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ . أما بعد : فإني أدعوك بدعاية الإسلام .

أسلم تسلم (٣) ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين (٤) . و ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا**

---

(١) آل عمران : ٦٤ .

(٢) الحلبي ، السيرة الحلبية : ٣/ ٢٩٥ .
وحميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية : ١٣٥ .
وصفوت ، جمهرة رسائل العرب : ١ / ٤٢ .

(٣) حمل الجزاء علىٰ عمومه في الدنيا والآخرة ، فلو أسلم فإنه يسلم من كل شيء يخافه ، فليس في هذه العبارة ما يشير إلىٰ فكرة البدء بالعدوان لو لم يسلموا ، وإنما معناها السلام الروحي ، والنجاة الأخروية ، والاطمئنان الذي يتوفر بالإيمان . قال تعالىٰ : ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ الرعد : ٢٨ .
الحلبي ، السيرة الحلبية : ٣/ ٢٨٧ .
والزحيلي ، آثار الحرب : ٣٢٢ .

(٤) المراد : إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لأمرك ؛ لأنه إذا أسلم أسلموا ، وإذا امتنع امتنعوا .

فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (١)» (٢) .

٤ ـ كتابه ـ ﷺ ـ إلى كسرى ملك فارس :

« **بسم الله الرحمن الرحيم** . من محمد رسول الله إلىٰ كسرىٰ عظيم فارس ، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .

أدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلىٰ الناس كافة ، لأنذر من كان حياً ويحق القول علىٰ الكافرين ، وأسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس» (٣) .

٥ ـ كتابه ـ ﷺ ـ إلى حاكم البحرين :

كتب النبي ﷺ إلىٰ المنذر بن ساوي حاكم البحرين كتاباً يدعوه فيه إلىٰ الإسلام ، وبعث إليه العلاء بن الحضرمي بذلك الكتاب ، فكتب المنذر إلىٰ رسول الله ﷺ :

---

(١) آل عمران : ٦٤ .

(٢) فتح الباري : ٦/ ١٢٩ (كتاب الجهاد والسير ـ باب دعاء النبي ﷺ إلىٰ الإسلام والنبوة) ط ١ : ١٤٠٧هـ ، دار الريان للتراث ، القاهرة .
وصحيح مسلم : ٣/ ١٣٩٦ (كتاب الجهاد والسير ـ باب كتاب النبي ـ ﷺ ـ إلىٰ هرقل يدعوه إلىٰ الإسلام) ، المكتبة الإسلامية للطباعة ، استانبول ، تركيا .

(٣) ابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٦٨٨ .
والحلبي ، السيرة الحلبية : ٣/ ٢٩١ .
وحميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية : ١٤٠ .

أما بعد يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين ، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ، ومنهم من كرهه ، وبأرضي مجوس ويهود ، فأحدث إلي في ذلك أمرك ، فكتب رسول الله ﷺ :

« **بسم الله الرحمن الرحيم** . من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي ، سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه ، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيراً ، وإني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب ، فاقبل منهم ، وإنك مهما تصلح فلم نعزلك عن عملك ، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية» (١) .

٦ ـ كتابه ـ ﷺ ـ إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة :

« **بسم الله الرحمن الرحيم** . من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي ، سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخف والحافر (٢) ، فأسلم تسلم ، وأجعل لك ما تحت يديك » (٣).

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٦٩٢ .

و الحلبي ، السيرة الحلبية : ٣/ ٣٠٠ .

وصفوت ، جمهرة رسائل العرب : ١/ ٤٦ .

(٢) أي حيث تقطع الإبل والخيل .

(٣) الحلبي ، السيرة الحلبية : ٣/ ٣٠٣ .

وحميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية : ١٥٦ .

والمباركفوري ، الرحيق المختوم : ٣٤٤ .

٧ ـ كتابه ـ ﷺ ـ إلى ملك عمان وأخيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله إلىٰ جيفر وعبد ابني الجلندي ، سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ ، أما بعد ، فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما ، فإني رسولِ الله ﷺ إلىٰ الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول علىٰ الكافرين ، فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل ، وخيل تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتي علىٰ ملككما »(١) .

---

(١) ابن القيم ، زاد المعاد : ٣/ ٦٩٣ .
و الحلبي ، السيرة الحلبية : ٣/ ٣٠١ .
وصفوت ، جمهرة رسائل العرب : ١ / ٤٩ .

الفهارس

فهـرس الآيـات القرآنية

فهـرس الأحـاديث النـبوية

فهـرس المصـادر والمراجـع

فهـرس الموضـوعـات

فهـرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا... ﴾	٤٠ ـ ٤٤	١٨٨
﴿ولَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ...﴾	٨٩	١٨٩، ١٩٠
﴿ولَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	١٢٠	٢٤٦
﴿وقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا...﴾	١٩٠	٤٢، ٤٧، ٩٩, ٢٤٨
﴿ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾	١٩٠	٤٨
﴿... فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ...﴾	١٩١	١٠٣
﴿وقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ...﴾	١٩٣	٤٦، ١٠٠، ١٠٣، ١٣٤، ١٣٥
﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾	١٩٤	٤٦
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ...﴾	٢١٦	١٠٦
﴿والْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ...﴾	٢١٧	٤٦، ١٣٥، ٢٤٦
﴿ولا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ...﴾	٢١٧	٤٦، ٢٤٦
﴿...ولَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ...﴾	٢٥١	٤٢
﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾	٢٥٦	٣٩، ١٣١
﴿... قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ...﴾	٢٥٦	٤٠
سورة آل عمران		
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ... ﴾	١٢، ١٣	٢٠٠

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾	٢٠	١٣١
﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ... ﴾	٦٤	٢٦، ٢٨٤، ٢٨٥
﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ...﴾	٦٩ـ٧٢	١٩٣
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ... ﴾	٩٨ـ١٠٥	١٩٥
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾	١٠٤	٥٣
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ... ﴾	١١٠	٢١
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ... ﴾	١٢٨	١٦١
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ...﴾	١٤٤	١٢٥
﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾	١٤٦	١٢٤، ١٢٥، ١٢٦
﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ...﴾	١٥٢	١٥٨، ١٦٣
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾	١٥٩	١٦٤
﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ...﴾	١٨١، ١٨٢	٢٠٣
﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ...﴾	١٨٦	١٩٦
﴿ ... وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾	١٨٦	١٩٦
سورة النساء		
﴿إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ...﴾	٩٠	٩٩
سورة المائدة		
﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	٢	٣٢، ٧٥
﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا...﴾	٨	٣٤
﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ...﴾	٤٩، ٥٠	١٩٣

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا ...﴾	٦٤	٢٠٤
﴿...والله يعصمك من الناس...﴾	٦٧	٢٠٧
﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ...﴾	٧٨	٢٠٧
سورة الأنعام		
﴿وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾	١٩	٣٠
﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا...﴾	٣٤	٩٦
﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب...﴾	٥٠	٤٤
﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾	٩٠	٥٥
سورة الأعراف		
﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ...﴾	١٥٨	٢٤
﴿إني رسول الله إليكم جميعا﴾	١٥٨	٢٤
﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾	١٩٩	٩٦
سورة الأنفال		
﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم...﴾	٩	١٤٨
﴿وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر...﴾	١٠	١٤٩
﴿وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم﴾	١٠	١٥٠
﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا...﴾	١٢	١٤٩
﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله ...﴾	٣٦	١٥٣
﴿فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون﴾	٣٦	١٥٣
﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾	٣٩	٤٠، ١٠٠
﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى...﴾	٤٢	١٤٥
﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله...﴾	٤٥	١٢٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرًا ...﴾	٤٧	١٤٢
﴿إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون...﴾	٥٥ـ٥٨	١٩٩، ٢١٧
﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء﴾	٥٨	٢٠٠، ٢٢٨
﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل...﴾	٦٠	١٢٣، ١٧٢، ١٧٩
﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها...﴾	٦١	١٠٣، ٢٤٨
﴿إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾	٧٣	٤٧
سورة التوبة		
﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم...﴾	٥	١٠٣
﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾	٥	١٠٣
﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره ...﴾	٦	٦٢
﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ...﴾	٢٩	١٠٠، ١٠٩
﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ...﴾	٣٣	٣٠
﴿...وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة...﴾	٣٦	١٠٨
﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا...﴾	٣٨، ٣٩، ٤١،	١٠٧
﴿إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما...﴾	٣٩	١١٣
﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله...﴾	٤١	٨٨
﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر ...﴾	٦٧	٢٢
﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ...﴾	٧١	٢٢
سورة يونس		
﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا... ﴾	٩٩	٣٩، ١٣١
﴿قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم ﴾	١٠٨	٦٣

الآيـة	رقمها	الصفحة
سورة هود		
﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾	٧	٧٧
﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال... ﴾	٨٤	٥٨
﴿ إن أريد إلاَّ الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلاَّ بالله... ﴾	٨٨ـ٩٠	٥٨
سورة يوسف		
﴿ إن الحكم إلاَّ لله أمر ألاَّ تعبدوا إلاَّ إياه ذلك الدين القيم ... ﴾	٤٠	٤٤
﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾	١٠٨	٢٠
سورة إبراهيم		
﴿ وما أرسلنا من رسول إلاَّ بلسان قومه ليبين لهم ﴾	٤	٦٣
سورة الحجر		
﴿ ...فاصفح الصفح الجميل ﴾	٨٥	١٠٢
﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾	٩٤	٩٦، ١٠٢
سورة النحل		
﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... ﴾	١٢٥	٥٥، ١٠٢، ٢٤٧
﴿ ...وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾	١٢٥	٥٩
﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم ... ﴾	١٢٦	١٦٢
سورة الإسراء		
﴿ ...وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾	١٥	١٩٦
﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا ﴾	٨١	١٧٩
سورة الكهف		
﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾	٢٩	٣٩
﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾	٢٩	١٣١

الآيـة	رقمها	الصفحة
سورة طه		
﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ... ﴾	٤٣، ٤٤	٥٤
سورة الأنبياء		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	١٠٧	١٩، ٣١
سورة الحج		
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾	٣	٦٠
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾	٣٨ـ٤٠	٩٧
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا...﴾	٣٩	١٠٢، ١٢٢، ١٣٩، ٢٤٧
﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ... ﴾	٤٠	٤٢، ٩٨
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ...﴾	٧٧، ٨٧	٧٥
﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ...﴾	٧٨	٨٨
سورة الفرقان		
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا...﴾	٥١، ٥٢	٢٥١
﴿فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾	٥٢	١٢٨
سورة الشعراء		
﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ...﴾	٣، ٤	٣٩
سورة العنكبوت		
﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٤٦	٥٩
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾	٦٩	٢٥١
سورة الروم		
﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ...﴾	٦٠	٩٦

الآيـة	رقمها	الصفحة
سورة الأحزاب		
﴿يا أيُّها الَّذين آمَنُوا اذْكُرُوا نعْمَةَ اللَّه عليْكُمْ... ﴾	٩	١٦٩
﴿لقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُول اللَّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾	٢١	٧٠، ٧١
﴿وردَّ اللَّهُ الَّذين كَفرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ ينَالُوا خَيْراً...﴾	٢٥	١٧٠
سورة سبأ		
﴿وما أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاس بَشيراً ونَذيراً﴾	٢٨	٢٣، ٣١
سورة غافر		
﴿وجَادَلُوا بالْبَاطل لِيُدْحضُوا به الْحَقَّ ﴾	٥	٥٩
﴿لمقْتُ اللَّه أَكْبَرُ من مَّقْتِكُمْ أَنفُسكُمْ﴾	١٠	١٤٦
سورة فصلت		
﴿حمَ * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ...﴾		
﴿ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّه وعَمِلَ صَالِحًا...﴾	١ـ٣٨	٦١
﴿ولا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾	٣٣	٧٦
سورة الشورى		
﴿شرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ ما وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ...﴾	٣٤	٣٣
﴿وأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾		
سورة الزخرف	١٣	٣٢
﴿فاصْفَحْ عَنْهُمْ وقُلْ سَلامٌ ...﴾	٣٨	١٦٤
سورة محمد		
﴿ ... إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾	٨٩	٩٦
سورة الحجرات		
﴿يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَىٰ وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا...﴾	٧	١٥٠

الآيـة	رقمها	الصفحة
سورة ق		
﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾	١٣	٣١، ٣٢
سورة الممتحنة		
﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ...﴾	٤٥	١٣١
سورة الصف		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا...﴾	٨، ٩	١٩ ، ٤٧
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ...﴾		
سورة القلم		
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٢، ٣	٧٤

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	مخرجه	الصفحة
ـ أ ـ		
الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم	البخاري	١٧٠، ٢٢٤
ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم . . .	البخاري	١٣٠
ادعوك بدعاية الإسلام	البخاري	١٣
إذا اكثبوكم فارموهم بالنبل . . .	البخاري، أبوداود	١٤٦، ١٤٧
إذا اكثبوكم فعليكم بالنبل	البخاري	١٤٦
إذهبوا فأنتم الطلقاء	البيهقي	٢١٤
أسلم تسلم يؤتك الله أجرك . . .	مسلم	٢٦
أشيروا عليّ أيها القوم	ابن هشام، ابن سعد	١٤٣
أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي . . .	البخاري، مسلم	٢٤
أغزو باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر . . .	مسلم	٣٤
أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة . . .	مسلم	١٧٧
ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيكم . . .	الواقدي، ابن هشام	٢١٣
الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم . . .	البخاري	٢٢١
اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام . . .	الطبري	١٤٨
اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها . . .	ابن هشام	١٧٤
اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب . . .	مسلم	١٧١

طرف الحديث	مخرجه	الصفحة
اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها . . .	الواقدي	١٤٥
أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا . . .	البخاري، مسلم	٤٧، ١٠١
أنزعت منك الرحمة يابلال . . .	ابن هشام	٢٢٤
أنفذ علىٰ رسلك حتىٰ تنزل بساحتهم . . .	البخاري	٢٢٢
إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء . . .	مسلم	٦٩
إني أخاف من بني قينقاع	ابن سعد، الطبري	٢٠٠
إني أمرت بالعفو فلا تقاتلوا القوم	النسائي، الحاكم، البيهقي	٩٧
أوصيكم بتقوىٰ الله وبمن معكم من المسلمين خيراً	الواقدي	٢٣٤
أويقضي الله خيراً من ذلك ياسعد .	ابن هشام، ابن سعد	١٤٤
أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات . . .	البخاري، مسلم، ابن هشام	١٧٨
ـ ب ـ		
بعثت إلىٰ الناس كافة	البخاري، مسلم	٢٥
ـ ج ـ		
جاهدوا المشركين بأموالكم وألسنتكم	أبوداود، النسائي	١١١
ـ ح ـ		
حتىٰ أقبلت كتيبة لم ير مثلها . . .	البخاري	٧٧
ـ ر ـ		
رب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه منه . . .	الترمذي، أبواود	٧٦

طرف الحديث	مخرجه	الصفحة
- س -		
سيروا على بركة الله ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين . . .	ابن هشام ، ابن سعد	١٤٥
- ع -		
على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم	ابن هشام	٢٢٣
- ف -		
فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا . . .	ابن هشام	١٥٥
فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته . . .	البيهقي ، ابن القيم	١٨١
فذاك لسعد بن معاذ	الواقدي ، ابن هشام	٢١٣
فضلت على الأنبياء بست : . . .	مسلم	٢٥
- ق -		
قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم إلا الخروج . . .	ابن كثير	١٥٧
قضى الله خيراً	الواقدي ، ابن هشام	١٧٨
قضيت بحكم الله	البخاري	٢١٣
قفوا . . اللهم ربّ السموات وما اظللن ورب الأرضين . . .	ابن هشام	٢٢١
- ك -		
كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود	مسلم	٢٥

طرف الحديث	مخرجه	الصفحة
- ل -		
لاتتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية . . .	البخاري ، مسلم	١٣٠
لاهجرة بعد الفتح	ابن حجر، النووي	١١٠
لم أؤمر بعد بالقتال	القرطبي	٩٧
ليخرج من كل رجلين . . .	الإمام أحمد، مسلم	١١٢
لينبعث من كل رجلين . . .	الإمام أحمد، مسلم	١١٢
لايصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	البخاري، مسلم	٢١١
لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة	الواقدي، ابن هشام	٢١٣
لِمَ؟ أظنك سمعت منهم لي أذىٰ	ابن هشام	٢١٢
لولا أن تحزن صفية ويكون سنة من بعدي لتركته . . .	ابن هشام، ابن كثير	١٦٣
ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسىٰ أن يبلغ . . .	البخاري، مسلم	٧٦
- م -		
ماينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتىٰ يحكم الله بينه . . .	ابن هشام، ابن القيم	١٥٧
المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً	مسلم	١١٩
مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد . . .	مسلم	١١٩
من رأىٰ منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه . . .	مسلم	٧٦
من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا، . . .	البخاري ، مسلم	١١٠

طرف الحديث	مخرجه	الصفحة
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله	البخاري	١٣٠
من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بغزو . . .	مسلم، ابوداود، النسائي	١١١
ـ هـ ـ		
هاك مفتاحك ياعثمان ، اليوم يوم برو وفاء	ابن هشام	١٨١
هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها . . .	ابن هشام، ابن سعد	١٤١
ـ و ـ		
. . . وإذا القيت عدوك من المشركين فادعهم . . .	مسلم، ابن ماجة	١٠١
. . . وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون	مسلم	٢٥
والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة . . .	مسلم	٢٥
والذي نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم . . .	ابن هشام، الطبري	١٤٨
ـ ي ـ		
يامعشر قريش، ماترون أني فاعل بكم	البيهقي، ابن القيم	١٨١

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

ـ أ ـ

ابن الأثير ، علي بن محمد بن محمد . (ت : ٦٣٠ هـ)

١ ـ الكامل في التاريخ . بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م .

ابن الأثير ، المبارك بن محمد . (ت : ٦٠٦هـ)

٢ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر . تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي ، مصر : دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه .

أحمد بن حنبل (الإمام) . (ت : ٢٤١ هـ)

٣ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي ، الطبعة الخامسة ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

وبيروت : المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، ودار صادر للطباعة والنشر .

والطبعة الأولى ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣م .

الأسنوي ، عبد الرحيم بن الحسن . (ت : ٧٧٢ هـ)

٤ ـ طبقات الشافعية . الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧ م .

الألوري ، آدم عبد الله .

٥ ـ تاريخ الدعوة إلى الله بين الأمس واليوم . الطبعة الثانية ، القاهرة: مكتبة وهبه ودار التراث العربي ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

ـ ب ـ

الباجوري ، إبراهيم . (ت : ١٢٧٧ هـ)

٦ ـ حاشية الباجوري على شرح ابن قاسم الغزي ، الطبعة الثانية ، بيروت : دار المعرفة ، ١٩٧٤م .

البخاري ، محمد بن إسماعيل . (ت : ٢٥٦ هـ)

٧ ـ صحيح البخاري بحاشية السندي ، بيروت : دار المعرفة .

٨ ـ صحيح البخاري مع شرح فتح الباري . الطبعة الأولى ، القاهرة: دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

البلاذري ، أحمد بن يحيى . (ت : ٢٧٩ هـ)

٩ـ فتوح البلدان . عني بمراجعته والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان ، بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

البهي ، محمد .

١٠ ـ الإسلام دعوة . . وليس ثورة . الطبعة الثانية ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

البوطي ، محمد سعيد رمضان .

١١ ـ فقه السيرة النبوية . الطبعة الحادية عشرة ، دمشق : دار الفكر ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

البيهقي ، أحمد بن الحسين . (ت : ٤٥٨ هـ)

١٢ ـ السنن الكبرى . بيروت : دار المعرفة ، مصورة من الطبعة

الأولى لمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن الهند : ١٣٥٦هـ .

بيومي ، مصلح سيد .

١٣ ـ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة . . . الطبعة الرابعة ، الكويت : دار القلم ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

ـ ت ـ

الترمذي ،محمد بن عيسى . (ت : ٢٧٩ هـ)

١٤ ـ سنن الترمذي. الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم . (ت :٧٢٨هـ)

١٥ ـ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية . تحقيق بشير محمد عون ، دمشق : مكتبة دار البيان ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

ـ ج ـ

الجبوري ، جميل عائد .

١٦ ـ الجهاد في سبيل الله . الطبعة الثانية ، المدينة المنورة ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .

جرار ، حسني أدهم .

١٧ ـ الدعوة إلى الإسلام مفاهيم ومنهاج وواجبات . الطبعة الأولى ، الأردن ـ عمان : دار الضياء للنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

جريشة ، علي محمد .

١٨ ـ مناهج الدعوة وأساليبها . الطبعة الأولىٰ ، مصر ـ المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

الجصاص ، أبو بكر أحمد بن علي . (ت : ٣٧٠ هـ)

١٩ ـ أحكام القرآن . بيروت : دار الكتاب العربي ، طبعة مصورة عن الطبعة الأولىٰ ، بمطبعة الأوقاف الإسلامية : ١٣٣٥هـ .

و الطبعة الأولىٰ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م .

جعفر شيخ إدريس.

٢٠ ـ أساليب الدعوة ووسائلها ـ ندوات ، إصدار تسجيلات التقوىٰ الإسلامية ـ الرياض : شريط كاسيت رقم ٥٨٩١ ، ٥٨٩٢ .

ـ ح ـ

الحاكم النيسابوري ، محمد بن عبد الله بن حمدويه . (ت : ٤٠٥ هـ)

٢١ ـ المستدرك علىٰ الصحيحين . بيروت : دار الكتاب العربي .

ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي . (ت : ٨٥٢هـ)

٢٢ ـ الإصابة في تمييز الصحابة . وبهامشه الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (المتوفىٰ سنة ٤٦٣ هـ). طبعة بالأوفست ـ مكتبة المثنىٰ بغداد ، عن الطبعة الأولىٰ ، مصر : مطبعة السعادة ١٣٢٨ هـ .

٢٣ ـ تقريب التهذيب . حققه وعلق على حواشيه وقدم له : عبدالوهاب عبداللطيف ، الطبعة الثانية ، المدينة المنورة : المكتبة العلمية ، وبيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٩٥/ ١٩٧٥م .

٢٤ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة . تحقيق : محمد سيد جادالحق ، القاهرة : دار الكتب الحديثة .

٢٥ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري . تحقيق : محب الدين الخطيب ، الطبعة الأولى ، القاهرة : دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م .

حسن البنا .

٢٦ ـ السلام في الإسلام وبحوث أخرى . القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر .

حسن ، حسن إبراهيم .

٢٧ ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي . الطبعة السابعة ، القاهرة : دار إحياء التراث العربي ، ومكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤م .

حسين ، محمد الخضر .

٢٨ ـ الدعوة إلى الإصلاح ، الشارقة : مطبعة صوت الخليج .

الحسيني ، محمد بن علي بن الحسن . (ت : ٧٦٥ هـ)

٢٩ ـ ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي ، مكة المكرمة : دار الباز للنشر والتوزيع ، ودار إحياء التراث العربي ، د . ت .

الحلبي ، علي بن برهان الدين . (ت : ١٠٤٤ هـ)

٣٠ـ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (أنسان العيون) . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠ م .

حمد ، أحمد .

٣١ـ الجانب السياسي في حياة الرسول ﷺ . الطبعة الأولىٰ ، الكويت : دار القلم ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م .

حميد الله الحيدرأبادي ، محمد .

٣٢ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة . الطبعة السادسة ، بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

ابن حيان ، محمد بن يوسف . (ت : ٧٤٥ هـ)

٣٣ـ البحر المحيط . الرياض : مكتبة ومطابع النصر الحديثة .

ـ خ ـ

الخازن ، علي بن محمد البغدادي . (ت : ٧٢٥ هـ)

٣٤ـ لباب التأويل في معاني التنزيل . ضبطه وصححه : عبد السلام شاهين ، الطبعة الأولىٰ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م .

خطاب ، محمود شيت .

٣٥ـ الرسول القائد . الطبعة الثانية ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، وبغداد : مكتبة النهضة ، ١٩٦٠م .

الخطيب ، عبد الكريم .

٣٦ ـ الدعوة إلى الإسلام ، مضامينها وميادينها . الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢ م .

ـ د ـ

أبو داود سليمان بن الأشعث . (ت : ٢٧٥ هـ)

٣٧ ـ سنن أبي داود . الطبعة الأولى ، سوريا ـ حمص : دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١ م .

وبيروت : دار الكتب العلمية ، بمراجعة وتعليق محمد محي الدين عبدالحميد .

الدرة ،محمود .

٣٨ ـ معارك العرب الكبرى . الرياض : الفاخرية ، وبيروت : دار الكاتب العربي .

الدعيج ، فهد عبد العزيز .

٣٩ ـ الأمن والإعلام في الدولة الإسلامية . الرياض : المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

ـ ذ ـ

الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان . (ت : ٧٤٨ هـ)

٤٠ ـ تذكرة الحفاظ . دار إحياء التراث العربي .

٤١ ـ تهذيب سير أعلام النبلاء . الطبعة الأولى ، بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م .

ـ ر ـ

الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد . (ت : ٥٠٢هـ)

٤٢ ـ المفردات في غريب القرآن . تحقيق : محمد سيد كيلاني ، مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .

الراوي ، محمد.

٤٣ ـ الدعوة الإسلامية . . دعوة عالمية . الطبعة الثانية ، بيروت : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع .

ـ ز ـ

الزبيدي ، محمد محمد المرتضى . (ت : ١٢٠٥هـ)

٤٤ ـ تاج العروس من جواهر القاموس . بيروت : دار مكتبة الحياة .

الزحيلي ، وهبة .

٤٥ ـ آثار الحرب في الفقه الإسلامي . دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

الزركلي ، خير الدين .

٤٦ ـ الأعلام . الطبعة السابعة ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦ م .

الزمخشري ، محمود بن عمر . (ت : ٥٣٨ هـ)

٤٧ ـ أساس البلاغة . الطبعة الثانية، مصر : ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٧٣م .

٤٨ ـ الكشاف . بيروت ، دار المعرفة .

أبو زهرة ، محمد .

٤٩ ـ العلاقات الدولية في الإسلام . دارالفكر العربي ، د، ت .

زيدان ، عبد الكريم .

٥٠ ـ أصول الدعوة . الطبعة الثالثة ، بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .

الزيلعي، عثمان بن علي . (ت : ٧٤٣هـ)

٥١ ـ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق . الطبعة الأولىٰ ، مصر : المطبعة الكبرىٰ الأميرية ، ١٣١٣هـ .

ـ س ـ

السرخسي، محمد بن أحمد بن سهل . (ت : ٤٨٣هـ)

٥٢ ـ المبسوط . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع . (ت : ٢٣٠ هـ)

٥٣ ـ الطبقات الكبرىٰ . بيروت : دار صادر .

السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله . (ت : ٥٨١ هـ)

٥٤ ـ الروض الأنف . باكستان ـ ملتان : المكتبة الفاروقية ، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

السيد سابق .

٥٥ ـ دعوة الإسلام . بيروت : دار الكتاب العربي ، د ، ت .

٥٦ ـ فقه السنة . جدة : مكتبة الخدمات الحديثة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

سيد قطب .

٥٧ ـ السلام العالمي والإسلام . الطبعة السابعة ، القاهرة : دار الشروق ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٥٨ ـ في ظلال القرآن . الطبعة الثالثة ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٩٦١م .

ابن سيد الناس ، محمد بن عبد الله بن يحيى . (ت : ٧٣٤هـ)

٥٩ ـ السيرة النبوية ، المسمى عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير . بيروت : دار الحضارة للطباعة والنشر .

السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد . (ت : ٩١١هـ)

٦٠ ـ الإتقان في علوم القرآن . الطبعة الرابعة ، مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م .

٦١ ـ أسباب النزول . الطبعة الأولى، دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ـ ش ـ

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد . (ت: ٧٩٠هـ)

٦٢ ـ الموافقات في أصول الشريعة . بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر .

الشافعي ، محمد بن إدريس (الإمام) . (ت: ٢٠٤هـ)

٦٣ ـ الأم ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر .

شلبي، رؤوف .

٦٤ ـ الجهاد في الإسلام منهج وتطبيق . الطبعة الأولى، الكويت: دار القلم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

الشوكاني، محمد بن علي . (ت : ١٢٥٥هـ)

٦٥ ـ نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار . الطبعة الأولى ، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ـ ص ـ

صفوت، أحمد زكي . (ت: ١٢٤١هـ)

٦٦ ـ جمهرة رسائل العرب . الطبعة الأولى ، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م، وبيروت: المكتبة العلمية، د . ت .

- ض -

الضياف، عبد الله سعد .

٦٧ - القدوة الحسنة وأثرها في الإعلام بالإسلام . ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

- ط -

الطبري، محمد بن جرير. (ت : ٣١٠هـ)

٦٨ - تاريخ الأمم والملوك، بيروت : دار القاموس الحديث للطباعة والنشر .

وبيروت : مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٦٩ - جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م .

والطبعة الثانية ، تحقيق محمود محمد شاكر ، مصر : دار المعارف .

٧٠ - مختصر جامع البيان في تأويل القرآن . اختصار وتحقيق : محمد علي الصابوني، وصالح أحمد رضا، الطبعة الأولى ، بيروت : دار القرآن الكريم، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

- ع -

عبد الباقي، محمد فؤاد .

٧١ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٣٦٤ هـ/ ١٩٤٥م .

عبد القادر ، عبد الشافي غنيم ، ورأفت الشيخ .

٧٢ـ قضايا إسلامية معاصرة. القاهرة : عالم الكتب، ١٩٨٠م .

أبو عبيد، القاسم بن سلام . (ت: ٢٢٤هـ)

٧٣ـ الأموال . تحقيق وتعليق محمد خليل هراس، الطبعة الأولى : بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

ابن العربي محمد بن عبد الله. (ت: ٥٤٣ هـ)

٧٤ـ أحكام القرآن . تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

العسل، إبراهيم حسين.

٧٥ـ الجهاد الإسلامي أحكام وتطبيقات . بيروت: دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

ابن عطية الأندلسي، أبومحمد عبدالحق .

٧٦ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق وتعليق: الرحالي الفاروق وآخرون، الطبعة الأولى ، الدوحة :مؤسسة دار العلوم للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

العقاد، عباس محمود .

٧٧ـ عبقرية محمد . الطبعة الثانية، بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م. وطبعة دار الهلال، ١٩٦٦م.

علوان ، عبد الله ناصح.

٧٨ـ هذه الدعوة . . ما طبيعتها . الطبعة الثانية ، القاهرة وحلب وبيروت : دار السلام للطباعة والنشر ، ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦م .

٧٩ـ وجوب تبليغ الدعوة . الطبعة الثانية ، القاهرة وحلب وبيروت : دار السلام للطباعة والنشر ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد . (ت : ١٠٨٩هـ)

٨٠ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب . بيروت : دار الكتب العلمية .

ـ غ ـ

الغزالي، محمد .

٨١ـ مع الله . . دراسات في الدعوة والدعاة . الطبعة الخامسة ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

الغضبان، منير محمد .

٨٢ـ المنهج الحركي للسيرة النبوية ، مكتبة المنار .

ـ ف ـ

الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن . (ت : ٦٠٦هـ)

٨٣ـ مفاتيح الغيب ، المشتهر بالتفسير الكبير . الطبعة الأولى مصر : المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر ، سنة ١٣٠٧هـ .

والطبعة الثالثة ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

ابن فرحون ، إبراهيم بن علي. (ت : ٧٩٩هـ)

٨٤ ـ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، تحقيق وتعليق محمد الأحمدي أبو النور ، القاهرة ، دار التراث للطباعة والنشر ، ١٩٧٢م .

الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب . (ت : ٨١٧هـ)

٨٥ ـ القاموس المحيط . تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولي ، بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

ـ ق ـ

القادري، عبد الله بن أحمد .

٨٦ ـ الجهاد في سبيل الله . الطبعة الأولى ، جدة : دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

القاسمي، ظافر.

٨٧ ـ نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي ، الحياة الدستورية . الطبعة الخامسة، بيروت : دار النفائس ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد بن محمد . (ت: ٦٢٠هـ)

٨٨ ـ المغني مع الشرح الكبير . بيروت : دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

القرشي، عبد القادر بن محمد. (ت: ٧٧٥هـ)

٨٩ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية . تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة: مطبعة عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

القرضاوي، يوسف.

٩٠ـ الحل الإسلامي : فريضة وضرورة . الطبعة الثالثة ، القاهرة: مكتبة وهبه، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

القرطبي، محمد بن أحمد . (ت: ٦٧١هـ)

٩١ـ الجامع لأحكام القرآن . الطبعة الثالثة، القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر . (ت: ٧٥١هـ)

٩٢ـ زاد المعاد في هدي خير العباد . تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة السادسة عشرة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، والكويت : مكتبة المنار الإسلامية ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

ـ ك ـ

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر . (ت : ٧٧٤ هـ)

٩٣ـ البداية والنهاية . الطبعة الثانية ، القاهرة: دار الغد العربي ،

١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

وبيروت: دار الفكر، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م.

والطبعة الأولى، بيروت: مكتبة المعارف، والرياض: مكتبة النصر، ١٩٦٦م .

٩٤ ـ تفسير القرآن العظيم . الطبعة الثانية ، بيروت : دارالفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٩٥ ـ السيرة النبوية . تحقيق مصطفى عبد الواحد ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

الكيلاني، مؤيد .

٩٦ ـ كيف انتشر الإسلام . الرياض: الفاخرية، بيروت: دار الكتاب العربي.

ـ ل ـ

أبو لبابه حسين .

٩٧ ـ الإسلام والحرب. الطبعة الأولى ، الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

ـ م ـ

ابن ماجه ، محمد بن يزيد . (ت : ٢٧٥هـ)

٩٨ ـ سنن ابن ماجه . تأليف : محمد بن ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧ م .

المباركفوري ، صفي الرحمن .

٩٩ ـ الرحيق المختوم . الطبعة الثانية . بيروت : دار القلم ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨ م .

محفوظ ، محمد جمال الدين .

١٠٠ ـ المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية . مصر : دار الاعتصام ، ودار النصر للطباعة الإسلامية .

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. (ت : ٢٦١هـ)

١٠١ ـ صحيح مسلم . استانبول ـ تركيا : المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع .

المصري ، محمد أمين .

١٠٢ ـ سبيل الدعوة الإسلامية . الطبعة الأولى ، الكويت : دار الأرقم ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

المقريزي ، أحمد بن علي . (ت : ٨٤٥ هـ)

١٠٣ ـ امتاع الأسماع ، بما للرسول من الأنباء والأموال والحفدة والمتاع . شرح وتصحيح : محمود محمد شاكر ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤١م .

المنصور فوري ، محمد سليمان .

١٠٤ ـ رحمة للعالمين . تعريب : مقتدي حسن ياسين الأزهري ، الطبعة الأولى ، بومباي ـ الهند : الدار السلفية ، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .

ابن منظور ، محمد بن مكرم . (ت : ٧١١هـ)

١٠٥ ـ لسان العرب . الطبعة الأولى ، بيروت : دار صادر ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

المنهل ، مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة ، جدة .

١٠٦ ـ العدد : ٤٤٩ ، الربيعان ١٤٠٧هـ/ نوفمبر وديسمبر ١٩٨٦م .

آل موسى ، عبد الله بن محمد .

١٠٧ ـ أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي . الطبعة الأولى ، الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

ـ ن ـ

الندوة العالمية للشباب الإسلامي .

١٠٨ ـ الدعوة الإسلامية : الوسائل ـ الخطط ، المداخل . أبحاث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، المنعقد في نيروبي بكينيا بتاريخ ٢٦ من جمادى الثاني إلى أول رجب ١٤٠٢ هـ الموافق ٢٠ من إبريل ـ ٢٤ منه ١٩٨٢م ، الطبعة الثانية ، الرياض : الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ .

النسائي ، أحمد بن شعيب بن علي . (ت : ٣٠٣ هـ)

١٠٩ ـ سنن النسائي ، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي . الطبعة الأولى المفهرسة ، حلب : مكتب المطبوعات الإسلامية ، بيروت : دار البشائر ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

نوفل ، عبد الرزاق .

١١٠ ـ الدعوة إلىٰ الإسلام . الطبعة الأولىٰ ، القاهرة : مكتبة الوعي العربي .

النووي ، يحيي بن شرف . (ت : ٦٧٦هـ)

١١١ ـ تهذيب الأسماء واللغات . بيروت : دار الكتب العلمية .

١١٢ ـ شرح صحيح مسلم . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

١١٣ ـ روضة الطالبين . الطبعة الثانية ، بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

النيسابوري ، الحسن بن محمد بن الحسين. (ت : ٧٢٨ هـ)

١١٤ ـ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان . بهامش تفسير الطبري ـ جامع البيان في تفسير القرآن ، بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، مصورة عن الطبعة الأولىٰ بالمطبعة الكبرىٰ الأميرية ببولاق مصر سنة ١٣٢٧هـ .

ـ هـ ـ

ابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب . (ت : ٢١٣ هـ)

١١٥ ـ السيرة النبوية . بيروت : دار القلم ، تحقيق : مصطفى السقا ، وآخرون.

والقاهرة : دار الفكر العربي ، ودار التوفيقية للطباعة بتحقيق : محمد السرجاني.

الهيتمي ، أحمد بن محمد بن علي بن حجر. (ت : ٩٧٤هـ)

١١٦ ـ تحفة المحتاج بشرح المنهاج . بمباي : مكتبة ومطبعة أصح المطابع .

هيكل، محمد حسين .

١١٧ ـ حياة محمد . الطبعة الثالثة عشرة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨م .

ـ و ـ

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد . (ت : ٢٠٧هـ)

١١٨ ـ كتاب المغازي . تحقيق الدكتور مارسدن جونس، الطبعة الثالثة، بيروت : عالم الكتب ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

ـ ي ـ

ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي . (ت : ٦٢٦هـ)

١١٩ ـ معجم البلدان . بيروت : دار صادر ، ودار بيروت للطباعة ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم. (ت : ١٨٢هـ)

١٢٠ ـ الخراج . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة :	٥
الفصل الأول: الدعوة الإسلامية وصلتها بالجهاد.	٩
المبحث الأول: مفهوم الدعوة.	١١
أ ـ الدعوة لغة .	١٣
ب ـ المعنى الاصطلاحي للدعوة.	١٤
المبحث الثاني: خصائص الدعوة .	١٧
المبحث الثالث: صلة الدعوة بالجهاد.	٣٧
المبحث الرابع: أساليب نشر الدعوة ووسائلها .	٥١
١ـ أساليب نشر الدعوة.	٥٤
ـ أهم أساليب نشر الدعوة :	٥٦
أ ـ الحكمة.	٥٦
١) الحكمة في اللغة.	٥٦
٢) الحكمة في الاصطلاح.	٥٦
ب ـ الموعظة الحسنة .	٥٧
جـ ـ المجادلة بالتي هي أحسن .	٥٨
٢ـ وسائل نشر الدعوة .	٦٢
أ ـ الكلمة.	٦٢

الموضوع	الصفحة
ـ الخطبة .	٦٤
ـ الدرس .	٦٤
ـ المحاضرة .	٦٥
ـ الوعظ والإرشاد .	٦٦
ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .	٦٦
ـ الكتابة .	٦٦
ب ـ القدوة .	٦٨
جـ ـ مجال الخدمات الاجتماعية .	٧٤
الفصل الثاني: مفهوم الجهاد وتشريعه .	٨٣
المبحث الأول: تعريف الجهاد .	٨٥
أ ـ الجهاد في اللغة .	٨٧
ـ معاني الجهاد .	٨٧
١) جهاد النفس .	٨٧
٢) جهاد الشيطان .	٨٧
٣) جهاد العدو الظاهر .	٨٨
ب ـ الجهاد في الاصطلاح .	٨٨
ـ نتيجة .	٩٠
ـ استعمال علماء الشريعة لفظ الجهاد بدلاً من لفظ الحرب .	٩١

الموضوع	الصفحة
المبحث الثاني: تشريع الجهاد في الإسلام .	٩٣
ـ مراحل تشريع الجهاد :	٩٥
١) مرحلة الصفح وعدم القتال .	٩٥
٢) مرحلة الإذن بالقتال .	٩٧
٣) مرحلة فرض القتال لمن قاتل المسلمين .	٩٩
٤) مرحلة فرض القتال لجميع الكفار ابتداءً .	١٠٠
المبحث الثالث: أدلة تشريع الجهاد .	١٠٥
أ ـ أدلة تشريع الجهاد من القران الكريم .	١٠٧
ب ـ أدلة تشريع الجهاد من السنة النبوية	١١٠
جـ ـ إجماع المسلمين حول تشريع الجهاد .	١١٤
الفصل الثالث: تطبيقات إسلامية للجهاد في العهد النبوي.	١١٥
المبحث الأول: الأسس التي قامت عليها الدولة الإسلامية الناشئة .	١١٧
المبحث الثاني: حروب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع المشركين .	١٣٧
ـ أهم المعارك ضد المشركين في العهد النبوي :	١٤١
١) غزوة بدر الكبرىٰ	١٤١
ـ الآداب والحكم التي تضمنتها غزوة بدر الكبرىٰ .	١٥٢
٢) غزوة أحد .	١٥٣

الموضوع	الصفحة
ـ الآداب والحكم التي تضمنتها غزوة أحد .	١٦٣
٣) غزوة الخندق .	١٦٦
ـ الآداب والحكم التي تضمنتها غزوة الخندق .	١٧٢
٤) فتح مكة .	١٧٣
ـ الآداب والحكم التي تضمنتها غزوة فتح مكة .	١٧٩
المبحث الثالث: حروب الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع اليهود .	١٨٥
١) موقف اليهود من الدولة الإسلامية الناشئة .	١٨٧
٢) يهود بني قينقاع .	١٩٨
ـ من الآداب والحكم التي تضمنتها غزوة بني قينقاع .	٢٠٢
٣) يهود بني النضير .	٢٠٢
ـ من الآداب والحكم التي تضمنتها غزوة بني النضير .	٢٠٧
٤) يهود بني قريظة .	٢٠٨
ـ تعليل قتل بني قريظة بتحكيم سعد بن معاذ .	٢١٤
ـ من الآداب والحكم التي تضمنتها غزوة بني قريظة	٢١٨
٥) غزوة خيبر .	٢١٩

الموضوع	الصفحة
- من الآداب والحكم التي تضمنتها غزوة خيبر .	٢٢٤
٦) استنتاج عام حول مواقف اليهود في العهد النبوي .	٢٢٥
المبحث الرابع: حروب الرسول - عليه الصلاة والسلام - مع النصارى .	٢٣١
١) معركة مؤتة .	٢٣٣
- من الآداب والحكم التي تضمنتها معركة مؤتة .	٢٣٧
٢) غزوة تبوك .	٢٣٨
- من الآداب والحكم التي تضمنتها غزوة تبوك .	٢٤١
المبحث الخامس: نظرة عامة حول الحروب في العهد النبوي .	٢٤٣
الخاتمة: أهم نتائج البحث.	٢٤٩
الملاحق:	٢٥٥
ملحق رقم (١) وثيقة المدينة .	٢٥٧
ملحق رقم (٢) صلح نجران .	٢٦٧
ملحق رقم (٣) صلح الحديبية .	٢٧٣

الموضوع	الصفحة
ملحق رقم (٤) عهد الرسول ﷺ لأهل أيلة بالأمان.	٢٧٧
ملحق رقم (٥) مكاتبات الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء.	٢٨١
١) كتابه ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة.	٢٨٣
٢) كتابه ﷺ إلى المقوقس ملك مصر.	٢٨٤
٣) كتابه ﷺ إلى هرقل قيصر الروم.	٢٨٥
٤) كتابه ﷺ إلى كسرى ملك فارس.	٢٨٦
٥) كتابه ﷺ إلى حاكم البحرين.	٢٨٦
٦) كتابه ﷺ إلى هوذة بن علي صاحب اليمامة.	٢٨٧
٧) كتابه ﷺ إلى ملك عمان وأخيه.	٢٨٨
الفهارس:	
فهرس الآيات القرآنية.	٢٨٩
فهرس الأحاديث النبوية.	٢٩١
فهرس المصادر والمراجع.	٣٠١
فهرس الموضوعات.	٣٠٩
	٣٣٣